١٣١

تاريخ المصريين

الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢

١٩٥٢ - ١٩٥٨

تأليف : جَايَلْ مَايَر

ترجمة : د. عبدالرءوف أحمد عمرو

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

● تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة :

د. سمير سرحان

رئيس التحرير :

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير :

محمود الجزار

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢
١٩٥٢ - ١٩٥٨

تأليف
جايل ماير

ترجمة
د. عبد الرءوف أحمد عمرو

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة
١٩٩٦

الاشراف الفنى

محمود الجزار

هــذه ترجمـــة كتـــاب :

EGYPT

and THE UNITED STATES

THE FORMATIVE YEARS

GAIL E. MEYER

Rutherford — Madison — Teaneck

Fairleigh Dickinson University Press

London : ssociated University Presses

اهـــــداء

الى اخى عمرو أحمد عمرو الخبير بالأمــــم المتحدة فيينا ـ النمسا ـ مع جزيل شكرى الى مابذله من مساعدة فى اخراج هذا الكتاب ٠

المترجم

د/ عبد الرؤوف أحمد عمرو

تقـــديم

يسرني ان أقدم للقارىء الكريم هذا الكتاب عن « الولايات المتحدة وثورة يوليو » الذى كتبه « جيل مييار » ، وترجمه الدكتور عبد الرءوف عمرو ، الذي سبق ان ترجم في هذه السلسلة مذكرات اللورد كيلرن . وعبد الناصر والحرب العربية الباردة .

والكتاب يبدأ بثورة يوليو ، وينتهى بقيام الوحدة المصرية السورية ، وهى فترة شهدت تغيرا جذريا فى العلاقات المصرية الأمريكية ، تبدأ بالتقارب وانتهى بالتباعد ! والمؤلف هنا يتتبع — من موقعه الأمريكى وبالاستناد الى الوثائق الأمريكية والمصادر المصرية المتاحة — هذا التغير بدقة وبموضوعية الى حد كبير ، وقد قابل من أجل ذلك عددا من الشخصيات المصرية السياسية والصحفية ، واطلع على عدد من الوثائق التى لم تنشر ، ورجع الى الصحف المصرية .

وبالرغم من ذلك — وكما ذكر المؤلف نفسه — فان افتقاره الى كثير من الوثائق التى كانت طى الكتمـــان وقت كتابته مؤلفه ابقى كثيرا من الأحداث متسمة بالغموض والتداخل .

والكتاب ينقسم الى ثمانية فصول ، قدم لها المؤلف بمدخل تمهيدى عن « الشرق الأوسط من منظور الواقع ، تحدث فيه عن صحوة القومية المصرية ، وتزعم مصر القومية العربية ، وتطور العلاقات المصرية الأمريكية » ٠

وفى الفصل الأول تناول العلاقات المصرية الأمريكية منذ القرن التاسع عشر حتى قيام الثورة ، وتعرض لعلاقة ثورة يوليو بالولايات المتحدة عند قيامها .

أما الفصل الثانى فهو بعنوان : موقف أمريكا بين مصر وبريطانيا ، وتحدث فيه عن دورها فى عقد معاهدة الجلاء بين مصر وبريطانيا فى ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ .

أما الفصل الثالث ، فهو بعنوان : « مصر واسرائيل والبحث عن حل » ٠ وفيه تحدث عن دور الولايات المتحدة فى النزاع العربى الاسرائيلى وفشلها فى ايجاد حل لهذا النزاع .

وفى الفصول التالية من الرابع الى الثامن تناول موقف أمريكا من معاهدة الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط ، وتحدى عبد الناصر للغرب ، ومشكلة مشروع السد العالى ، وحرب السويس ، واختتمه بمشروع ايزنهاور ١٩٥٧ .

والكتاب مهم ، يعرض وجهة نظر أمريكية فى الصراع العربى الاسرائيلى ، وتأثير هذا الصراع على العلاقات بين ثورة يوليو والولايات المتحدة . وهو جدير بالقراءة .

والله الموفق .

رئيس التحرير

د ٠ عبد العظيم رمضان

مقدمة المؤلف

فجرت حرب أكتوبر ١٩٧٣ الأحداث فى منطقة الشرق الأوسط لتبلغ الذروة وتطفو فوق كل الأحداث العالمية · ومما يلفت النظر ويثير الانتباه انزلاق الولايات المتحدة الى منطقة العالم العربى منذ أزمة ١٩٥٦ ، وحرب ١٩٦٧ ، وأصبحت الولايات المتحدة طرفا فى كل أحداث المنطقة العربية بصفة عامة ، ومصر بصفة خاصة ، واقحمت أمريكا نفسها فى مشاكل المنطقة بهدف المحافظة على مصالحها ، والتصدى للخطر الشيوعى ·

وان التطور التاريخى للأحداث لايمكن فهمه بدون ادراك الأبعاد الحقيقية للسياسة الأمريكية تجاه مصر والعالم العربى حتى انفجار حرب أكتوبر ١٩٧٣ ·

ولكى ندرك هذه الأبعاد الحقيقية للعلاقات المصرية ـ الأمريكية لابد من القاء نظرة على تلك العلاقات التى تسبق فترة البحث هذه (١٩٥٢/١٩٥٨) حيث كانت أمريكا حريصة على حل مشاكل المنطقة على المستوى المحلى بدلا من حلها على المستوى العالمى ·

وهذه الفترة محل الدراسة محكمة بعدة عوامل ، وهى أن تبدأ

بتغيير جذرى فى العلاقات المصرية ـ الأمريكية ، ففى يوليو ١٩٥٢ قام الضباط الأحرار بالاستيلاء على السلطة فى مصر والتخلص من نظام الحكم الملكى القديم ، وفى يناير ١٩٥٣ تولى الرئيس ايزنهاور Eisenhower السلطة فى أمريكا وتولى جون فوستر دلاس G.F. Dulles وزارة الخارجية الأمريكية ، ومن هنا بدأ المسئولون الأمريكيون ينظرون نظرة جديدة الى منطقة الشرق الأوسط على قدم المساواه مع جميع مناطق الحرب الباردة خاصة منذ وفاه ستالين Stalin فى مارس ١٩٥٣ ٠

ان الفترة الزمنية موضوع البحث ، التى تنتهى عام ١٩٥٨ بقيام الوحدة بين مصر وسوريا ، بدأت فيها مصر توثق علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي ، الذى كان له علاقات قوية مع كل من العراق وسوريا ، بينما كانت أمريكا تركز كل جهودها فى مقاومة النفوذ السوفيتى الذى بدأ يتغلغل فى منطقة الشرق الأوسط ، وظل الوضع هكذا حتى وفاة جون فوستر دلاس وزير الخارجية الأمريكية عام ١٩٥٨ ٠

ومن الملاحظ أن العلاقات بين البلدين : مصر وأمريكا خلال الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٥٦ تزداد قربا أو بعدا حسب تغير المواقف والأحداث ، فى وقت كانت مصر تولى المشاكل السياسية جل اهتمامها منذ قيام الثورة حتى انتهاء الاحتلال البريطانى لمصر ، ثم بدأت مصر بعد ذلك تهتم بمشاكل العالم العربى وتتخذ موقف المعارضة بل مقاومة السياسة الغربية فى المنطقة برغم احتياج دول المنطقة الى المساعدات الأمريكية فى المجال العسكرى والاقتصادى والفنى ٠ وفى الفترة الأخيرة ١٩٥٦ الى ١٩٥٨ اتسم تاريخ العلاقات المصرية ـ الأمريكية بالتدهور والانهيار التام ٠

ومنذ وقعت مصر اتفاقية الجلاء مع بريطانيا فى ١٩٥٤ كان النشاط السياسى هو السمة المميزة للسياسة المصرية ، وبدات مصر تقحم نفسها فى مشاكل العالم العربى السياسية ، ومنذ ذلك الوقت فانه يجب وضع العلاقات المصرية ـ الامريكية فى اطارها الصحيح ، ومن خلال مشاكل المنطقة ، ومن هنا كان المسـئولون الأمريكيون يحاولون فرض نفوذهم على منطقة الشرق الأوسط من خلال :

- علاقاتهم بمصر .
- اقحام انفسهم فى العلاقات المصرية ـ الانجليزية .
- العداء العربى ـ الاسرائيلى .
- مشروعات أمريكا الدفاعية عن منطقة الشرق الأوسط .
- استغلال كتلة عدم الانحياز الذى كان موجها بالدرجة الأولى ضد السياسة الغربية .
- حرب السويس ١٩٥٦ والتصدى لحلفائها .
- وأخيرا مشروع ايزنهاور ١٩٥٧ الذى أعقب هذه الحرب .

ولقد استقيت المعلومات الخاصة بهذه الدراسـة من خـلال المصدرين : المصرى والأمريكى معتمدا على الوثائق المنشورة وغير المنشورة ، وبمذكرات رئيس وزراء انجلترا انتونى ايدن Anthony Eden وكذلك مذكرات الرئيس الأمـريكى دويت ايزنهاور Dwight Eisenhower ومذكرات وزير الخارجية الأمريكـى John Foster Dulles وغيرهم من الشخصيات السياسية والتى ورد ذكرهم فى هوامش كل فصل .

واطلعت كذلك على الكتب التى كانت بقلم جمال عبد الناصر

واللواء محمد نجيب ، وأنور السادات بالاضافة الى مذكرات بعض الضباط الأحرار التى تنطوى على كثير من الحقائق .

كما أجريت أحاديث مع بعض الشخصيات المصرية ، واستعنت بمذكراتهم وهم : محمود رياض وزير الخارجية المصرية السابق ، وأحمد أنيس المتحدث الرسمى ، والدكتور بطرس غالى مساعد وزير الخارجية المصرية ، هذا بالاضافة الى بعض كتابات الصحفيين المشهورين والكتاب مثل : محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام وهو من الشخصيات المقربة الى عبد الناصر والتى يثق بها ، كذلك كلوفس مقصود الكاتب السياسى السابق بالاهرام ، وأحمد بهاء الدين المحرر الأول بالأهرام وغيرهم .

وأخيرا فان هناك جانبا من الوثائق لم تنشر والتى حرصت على جمعها من خلال مقابلاتى للعديد من الشخصيات التى اشتركت فى صنع الأحداث بطريق مباشر أو غير مباشر وأن أهم هذه المذكرات تلك التى كتبها جون بدو Bedeau John السفير الأمريكى السابق بالقاهرة ، وكذلك رياموند هير Raymond Hare السفير الأمريكى السابق بالقاهرة والدكتور هارى هوارد Harry Howard وكيل أول وزارة الخارجية الأمريكية ، ولوى هندرسون Henderson مساعد وزير الخارجية الأمريكية .

كما استعنت كذلك بالصحف المصرية والأمريكية المتضمنة للعديد من المقالات والتحقيقات المنشورة والتى تتناول القضايا السياسية والعلاقات الدولية .

وبالرغم من كل هذا فان أحداث الشرق الأوسط تتسم بالغموض ، والتداخل . والتغيير المفاجيء فى بعض الأحيان ومن الصعب فهم هذه الأحداث الا من خلال معايشتها عن قرب .

وبالرغم من الجهد الذى بذلته ، فما زالت بعض الوثائق فى طى الكتمان سواء فى مصر أو واشنطون .. وحاولت قدر جهدى أن أقترب من حقيقة أحداث هذه الفترة التى شهدتها منطقة الشرق الأوسط .

جايل ماير

مدخل تمهيدى

الشرق الأوسط من منظور الواقع

١ ـ صحوة القومية المصرية

٢ ـ مصر زعيمة للقومية العربية

٣ ـ مصر تتأهب للثورة

٤ ـ تدخل أمريكا فى شئون الشرق الأوسط

٥ ـ تطور العلاقات المصرية الأمريكية

ان تعبير الشرق الأوسط ليس قائما على أساس جغرافى انما هذا تعبير سياسى دبلوماسى – وهو يشمل المنطقة التى تتركز بهـا مصالح القوى الكبرى فى افريقيا وأسيا وأوربا ، ومن ثم فقد كانت هذه الدراسة عن المنطقة التى تمتد من الناحية الشمالية من تركيا حتى باكستان وتمتد ناحية الجنوب لتشمل شبه الجزيرة العربيـة والحبشة والسودان ومن ناحية العرض تمتد ما بين المحيط الأطلسى غربا الى الخليج العربى شرقا · هذه المنطقة الشاسـعة يوجد بهـا ٦٠٪ من احتياطى بترول العـالم ، وتعتبر من أهم الطـاقات الاستراتيجية وقت السلم والحرب ·

ومن هنا فان تعبير دول الشرق الأوسط يختلف عن تعبير دول العالم العربى ، كما أن مصر هى قلب العالم العربى بين مشـرقه ومغربه ، ودول العالم العربى ذات أنماط مختلفة من الحكم والنظم الاقتصادية والتطور الاجتماعى مع اختلاف لهجاتهم العربية ·

ان منطقة الشرق الأوسط كانت بمثابة غنيمة تكالبت عليهـا الدول على مر العصور ، فكثير من الوكالات التجارية شهدتها هذه المنطقة فى القرن الثامن عشر · اذ كانت تتصارع من أجل الاستحواذ على السلطة والنفوذ ، وكانت الامبراطورية العثمانية فى أوج قوتها واستمرت تحكم حوض البحر المتوسط مايقرب من ٥٠٠ سنة ·

ومع بداية هذا القرن انهارت خلاله هذه الدول وأثناء ذلك كانت تتصارع على هذه المنطقة دولتان قويتان هما انجلترا وروسيا • واشتد الصراع بينهما ليشمل شبه جزيرة البلقان أيضا • وكانت كلتا الدولتين تحاول فرض نفوذها والاستحواذ عليها ، وهو ماعرف تاريخيا « بالمسألة الشرقية » •

أن بريطانيا ــ الدولة العظمى ــ كان لها نفوذ بعيد عن منطقة الشرق الأوسط ، ولكنها تولى هذه المنطقة اهتماما بالغا نظرا لمصالحها الاستعمارية فى شبه القارة الهندية ، وكانت هذه المصالح البريطانية معرضة للخطر ، اذا ما تمكنت أى قوى عظمى أن تفرض سيطرتها على الطرق المؤدية اليها والتى تمر بمنطقة الشرق الأوسط •

حينما قام نابليون باحتلال مصر ١٧٩٨ هم بفرض نفوذه على منطقة الخليج العربى ــ احدى الطرق الموصلة الى المستعمرات الانجليزية فى الهند(٢) ، وحينما بدأ الضعف يحيق بالامبراطورية العثمانية بدأت تواجه تهديدا من قبل روسيا •

وفى مواجهة التغلغل الروسى فى أرجاء الامبراطورية العثمانية رأت انجلترا أن تقف بجانب الامبراطورية العثمانية التى كانت فى حالة حرب مستمرة مع روسيا على مدى أربعة قرون ، شهدت العديد من الحروب(٣) وأى ضغط روسى على القسطنطينية كان يقابل بمساندة قوية من انجلترا دفاعا عن الامبراطورية العثمانية •

وحينما اتسعت مناطق المصالح البريطانية فى منطقة البحر المتوسط اضطرت بريطانيا الى أن تزيد من دعمها لتركيا وذلك منذ أن

فرضت الدولة العثمانية نفوذها على مضيق البسـفور كى تحول دون الملاحة الروسية عبر هذا المضيق الى عرض البحر المتوسط ، وبهذا أصبحت تركيا فى حماية بريطانيا من تهديدات روسـيا ، وفى نفس الوقت حماية لمصالح الامبراطورية البريطانية المترامية الأطراف ، وما زالت هذه المنطقة تحظى باهتمام هذه القـوى فى الوقت الحاضر ، وهذا هو موضوع الدراسة ٠

وبدأت السياسة البريطانية تولى منطقـة الشـرق الأوسـط اهتماما بالغا خاصة بعد افتتاح قنـاة السويس للملاحة العالميـة عام ١٨٦٩ مما أدى الى اختصار الطريق التجارى الى الهند ، والى الشرق الأقصى ٠

ففى عام ١٨٨٢ حينما كان أكثر من ٨٠٪ من السـفن التى تعبر القناة سفنا انجليزية(٤) أصبحت مصر لها أهمية كبرى فى نظر انجلترا ، وكان لايمكن لها أن تتجاهل هذه المنطقة المهمة ، وبعد أن تمكنت انجلترا من سحق ثورة أحمد عرابى الوطنية التى نشبت بمصر ، استمرت انجلترا محتلة مصر مايزيد على ٧٢ عاما ٠ ان قناة السويس ومعها مصر أصبحتا أهم حلقتين من حلقات الامبراطورية البريطانية حتى بعد أن أصاب الضعف والوهن القوى الانجليزية ، كان كل بترول الشرق الأوسط يمر عبر القناة الى القارة الأوروبية

وعقب الحرب العالمية الأولى تمزقت الامبراطورية العثمانية ، وبذلك كسبت بريطانيا فى صراعها مع روسـيا على أثر الثـورة البلشفية عام ١٩١٧ التى وحدت بين أقاليمها ٠ وفرضت بريطانيا نفوذها على أقاليم الامبراطورية العثمانية شرقى البحر المتوسط تحت نظام مايسمى بالانتداب الغربى ٠ فكانت فلسطين وامارة شرقى الأردن والعراق تحت الانتداب البريطانى ، وتم انتداب فرنسا على سـوريا

ولبنان ، وفى مصر والعراق اختارت انجلترا أن تحكم هاتين الدولتين بطريق غير مباشر أو من خلال نظم حكم محلية موالية لها ٠ ان سيطرة انجلترا على مصر والسودان ـ الطريق الى الهند ـ كان نفوذا مباشرا ولاتستطيع قوى أخرى أن تنافسها فى هذا المجال ٠

وفى الحرب العالمية الثانية كان لابد من تحالف دول هذه المنطقة ذات الأهمية البالغة نتيجة انتصارات المانيا فى خلال السنوات الأولى من هذه الحرب وبدأت المانيا تسيطر على دول المنطقة ، وهذا لم يقلل من اهتمام القوى الغربية بهذه المناطق ٠

وحينما أصبح الشرق الأوسط محل اهتمام روسيا كانت انجلترا حريصة على الا يحدث تغيير فى داخل هذه الأقاليم ، كما أن الولايات الشمالية للدولة العثمانية كانت محل اهتمام روسيا ، ولكن أمام حاجة التجارة العالمية اضطرت روسيا الى أن تهتم بالوصول الى المياه الدافئة من خلال الخليج العربى أو عبر مضيق البسفور والدردنيل ، لأن البحر الأسود بالنسبة لروسيا كان بمثابة سجن للبحرية الروسية ولذلك دعت روسيا الى حرية العبور والملاحة فى البحر المتوسط ، وبرغم هذا فروسيا كانت تخشى من أن يعبر الأسطول البريطانى الى البحر الأسود ، واذا ماحدث ، فان روسيا يمكنها أن تضغط على تركيا لتحقيق حرية الملاحة عبر مضيق الدردنيل ٠

وبعد عام ١٩١٧ وقيام الثورة الروسية فان المسئولين السوفيت بدأوا يتنبهون الى خطورة الاستعمار البريطانى فى منطقة الشرق الأوسط ، وحلت انجلترا محل روسيا بعد زوال الامبراطورية العثمانية لتستعمر كثيرا من المسلمين ، وجدير بالذكر فان الاتفاقية

التى وقعت بين روسيا وانجلترا فى عام ١٩٠٧ حالت دون وصول روسيا ناحية الجنوب الى الخليج العربى حيث المياه الدافئة(٥) ٠

* * *

وحينما أعلنت الحرب العالمية الثانية ، سارعت المانيا بتوقيع اتفاقية مع الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٣٩ وتقضى بعدم اعتداء أى طرف على الآخر ، وكان هذا هو الاتفاق النازى الرابع ، ووجدها الاتحاد السوفيتى فرصة لكى يأمن عدوان المانيا عليه فى وقت كان الاتحاد السوفيتى يتطلـــع الى فرض نفوذه على أقليمى الباطوم Battum وباكو Bako فى محاولة منه أن ينفذ الى المياه الدافئة(٦) ٠

وبعد أن نقض هتلر هذا التحالف مع روسيا عـــام ١٩٤١ ، واندفاع المانيا داخل الأراضى السوفيتية أصـبحت ايران الميدان الرئيسى للحلفاء : انجلترا ، أمريكا ، الاتحـــاد السوفيتى ، وهذا الميدان يعد طريقا استراتيجيا بالنسبة للاتحاد السوفيتى ٠

وفى أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية كانت أمام السوفيت فرصة الاندفاع الى منطقة الشرق الأوسط ، وعلى الرغم من هذا فان سياسة الشك والحذر قفزت مرة أخرى ناحية الجنوب حيث وصل الأمريكان الى المنطقة ، بينما كانت أمـــريكا تخشـــى من تدفق الشيوعية الى المنطقة لجذب حكومات هذه الدول ناحية الشرق ٠

وكانت الدولة العثمانية هى الطرف الثالث ـ بجانب انجلترا وروسيا ـ فى « المسالة الشرقية » ، وفى منطقة الشرق الأوسط سرعان ما تبددت أحلام وأمانى العرب(٧) ٠

وكان فى امكان الأتراك أن يدعوا أنفسهم كقوة فى المنطقة من خلال انضمامهم الى العرب ، وبعضويتهم فى المؤتمر الاسلامى ، وحينما انهارت الامبراطورية العثمانية بدأت الدول الكبرى تتكالب عليها (٨) ٠

وكان من نتيجة انتهاج رابطة « تركيا الفتاة » سياسة التتريك أن وقفت تركيا بعيدا عن المنطقة العربية بل ومناصبة العرب العداء ، والنتيجة الحتمية لهذه السياسة أن لقيت حتفها فى أتون الحرب العالمية الأولى ٠

ومن الصعب عرض تاريخ منطقة الشرق الأوسط بشكل موجز انما نستطيع أن نؤكد أن الضغوط التى تعرضت لها تركيا من قبل روسيا كان بحجة حماية أملاكها فى الجنوب ، وكانت انجلترا طرفا فى هذا الصراع ثم ظهرت الولايات المتحدة الأمريكيـــة كوريثـة للامبراطورية البريطانية خاصة بعد عدوان ١٩٥٦ على مصر ٠

* * *

١ ـ صحوة القومية المصرية :

تعتبر مصر بكل تأكيد من أقدم الدول فى التاريخ ، فى عصر لم يكن يعرف فيه نظام الدولة ، كما تعتبر أقدم دولة مستقلة فى وادى النيل(٩) بل فى العالم ، وتقع مصر فى الشمال الشرقى من القارة الافريقية ، ويقع البحر المتوسط شمالها ، والبحر الأحمر من ناحية الشرق وتتصل مصر بالقارة الأسيوية عن طريق شبه جزيرة سيناء كما تحيط بها الصحراء الشرقية والغربية ، وتعتبر من أهم عوامل حماية مصر من أعدائها الطامعين فيها على مر العصور مثل الفرس واليونان والرومان والبيزنطيين ، وأخيرا دخل الاسلام الى مصر

الذى ترك أثرا عميقا فى شعبها ، لدرجة أنها كانت ـ مصر ـ نقطة انطلاق لتوسعات كبرى ناحية الغرب حتى الأندلس ٠ ومن هنا كان تأثير الاسلام عميقا وقويا أكثر مما كان من هؤلاء المحتلين(١٠) ٠

لم تكتف مصر بهذا بل أخذت تتوســـع ناحية الجنوب على امتداد وادى النيل أكثر بكثير عن توسعات العصر الفرعونى ، حيث سيطروا على النوبة والسودان وكان ذلك بهدف تأمين نفســـها ، ولتسهيل طرق التجارة المندفعة من القارة الافريقيـــة بما فى ذلك تجارة الرقيق ٠

وفى العصر الحديث كانت انتصــــارات محمد على باشـــا (١٨٠٥/ ١٨٤٠) فى القارة الأسيوية ، والافريقية والأوربية ، كما سعى فى أثناء ذلك الى توحيد وادى النيل من المنبع الى المصب ١٨٢٠/١٨٢١ ، وظل هكذا حتى عام ١٨٨٢ حينما احتلت انجلترا مصر ، وسارعت باحتلال السودان كذلك عام ١٨٩٨ لكى تضمن سيطرتها على وادى النيل بالكامل دون منازع ، وقد أشركت انجلترا القوات المصرية معها فى عملية الغزو هذه ، وهكذا ظل السودان يحكم حكما ثنائيا من ١٨٩٨ الى ١٩٥٤(١١) ٠

وفى الوقت الحاضر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ استولى الضـــباط الأحرار على السلطة فى مصر ، وكانت مشكلة السودان أولـــى القضايا التى تصدوا لحلها ، والعمل على جلاء القوات الانجليزية عن السودان ، وأفرزت الثورة فى مصر شخصية قيادية ليس فى مصر بل فى العالم العربى وهى شخصية جمال عبد الناصر الذى أشـــار فى كتابه « فلسفة الثورة » الى مايلى ! « نحن نتوسط عدة دوائـــر تحيط بنا وتنال كل اهتمامنا ، نحن لانستطيع أن ننظر الى خارطة العالم نظرة سطحية ، ولكننا الآن تحدد موقعنا من العالم ، فنحن نقع

فى قلب العالم العربى وهو قدرنا الذى نوليه كل اهتمامنا ، فنحن لانستطيع أن نتجاهل الدائرة العربية التى تحيط بنا فنحن جزء من هذه الدائرة والتى ندور فى فلكها ، حيث أن تاريخنا نسيج من هذه الدائرة ، وهل نستطيع أن نتجاهل أفريقيا حيث تقع مصر فى هذه القارة التى تعيش صراعا لاسترداد حريتها ، وهذا الصراع نتأثر نحن به شئنا أم أبينا ، وكذلك لانستطيع أن نتجاهل الدائرة الاسلامية فى العالم الذى نرتبط نحن به بالعقيدة الاسلامية بالاضافة الى التاريخ المشترك »(١٢) ٠

والمتأمل فى أحداث الماضى يجد من المنطقى أن هناك عدة روابط قوية تربط مصر بالعالم العربى ، وهى القومية العربية ، وكذلك الروابط الجنسية التى لها تأثير قوى فى أثناء الحرب العالمية الأولى ، وعلاوة على ذلك فانه من الصعب الا يرتبط هذا الشعب بالعالم العربى ومن ثم فقد كانت مصر بمثابة المتحدث الرسمى عن العرب بل وعن الغالبية العظمى من المسلمين ٠ ان الدول العربية لديها قناعة تامة بأن مصر تقحم نفسها فى مشاكل العالم العربى خاصة حين مواجهة الدول الغربية الكبرى ، وهذا هو قدر مصر المحتوم(١٣) ٠

واذا ما عدنا الى تاريخ العرب فى الماضى القريب ، فاننا نجد بعض الدول العربية كانت تضع العراقيل فى طريق القومية العربية ، فى وقت كانت فيه مصر هى الدولة الوحيدة التى تولى القومية العربية الاهتمام البالغ وتسعى الى تحقيقها ، كما تحرص على حريتها واستقلالها(١٤) وهو ما كان يسعى اليه الوالى محمد على باشا بهدف تكوين امبراطورية مستغلا امكانات مصر ٠

ان الشعور بالقومية العربية استمر وتطور بشكل ايجابى بعد عام ١٨٧٠ ، ولكن كان احتكاك القومية العربية بالقوى الكبرى

عام ١٨٨٠ أمرا حتميا ، وانتهى الأمر حينما اجتاحت انجلترا القوى القومية ، وتم احتلال الدولة من أجل حماية ما يعرف بمصالحها الاستراتيجية(١٥) ٠

ان الاحتلال البريطانى لمصر الذى استمر ٧٢ عاما ، كان العامل الأول لتطور ونمو القومية المصرية كعامل منفصل تماما عن القومية العربية بغض النظر عن مقاومة العرب للدولة العثمانية ، وبمجرد نشوب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ سارعت انجلترا بوضع مصر تحت حمايتها ، وبرغم هذا كانت مصر ملجأ لكل القوميين العرب ٠ بل كانت مصر تدافع عن القومية العربية ، كما كان لمصر تأثير قوى شمل العرب جميعا برغم وطأة الاحتلال الانجليزى عليها خلال سنوات الحرب العالمية الأولى وما بعدها(١٦) ٠

وبذلت انجلترا كل مافى وسعها لابعاد مصر عن العرب والاهتمام لمشاكلها وخرجت مصر من الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وهى مفعمة بالأمل فى الحصول على استقلالها الحقيقى من بريطانيا(١٧) على يد سعد زغلول زعيم حزب الوفد المعارض الذى ذهب الى فرساى بفرنسا فى ١٩١٩ مطالبا باستقلال مصر ، ومن هنا نشأ حزب الوفد الذى ظل متمسكا بمسألة المطالبة بحصول مصر على استقلالها التام(١٨) ٠

وحدثت ثورة عارمة فى ١٩١٩ شملت كل أرجاء مصر ضد الاحتلال الانجليزى ، وشاركت المرأة فى هذه الثورة ، ولكن فى عام ١٩٢٢ غيرت انجلترا مسمى احتلالها بأن منحت مصر استقلالا صوريا بانضمامها الى عصبة الأمم المتحدة مع وجود أربعة تحفظات هى :

- لامساس بالامتيازات الأجنبية والأجانب ، حماية لمصالح انجلترا فى مصر ٠
- استمرار احتلال انجلترا للسودان ٠
- استمرار احتلال انجلترا لطرق المواصـلات بما فى ذلك قناة السويس ٠
- تظل العلاقات الخارجية فى يد انجلترا(١٩) ٠

وبالطبع ففى خلال هذه الفترة حاولت انجلترا احباط مقومات القومية العربية ، مما جعل الشعور القومى العربى قويا فى مصر ، وأخذت مصر دورها بجانب الدول الكبرى ، وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية تزعمت مصر الدعوة الى القومية العربية ، وان كان من الملاحظ أن مصر كانت تميل الى دول المحور على أمل أن يخلصها هذا الاتجاه من الاحتلال البريطانى(٢٠) ٠

وعقب الحرب العالمية الثانية سعت مصر الى الحصول على استقلالها كاملا من بريطانيا(٢١) ، كانت مصر خلال هذه الفترة ترفض باستمرار أى تعاون أو تحالف مع القوى الغربية حتى يتحقق الاستقلال التام ٠

وبعد توقيع اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ كانت مصر قد اكتسبت خبرة طويلة فى المعاملة مع انجلترا (قمع الحريات ـ الراسمالية المستغلة ـ الاستعمار والاحتكار ، التفرقة فى المعاملة بين المصريين والأجانب والوعود الجوفاء) كل هذه العوامل هى التى كانت تغلف العلاقة بين القوى الكبرى ومصر ٠

وبعد الثورة كانت مصر تدرك يقينا أن أى تعاون مع الغرب يعيد الى الأذهان ذلك الماضى الاستعمارى البغيض الذى يتسم بالعبودية والسخرة والاستغلال والبطش والجبروت وقتل الحريات ٠

٢ ـ مصر زعيمة العالم العربى :

هناك عوامل كثيرة أثرت فى علاقات مصر بالعالم العربى · فبعد الحرب العالمية الثانية أدركت مصر ان دعم العرب لها أمر لابد منه فى صراعها مع انجلترا ، والحقيقة الأخرى أثناء خوض مصر حربا ضد اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وبقيت مسألة أخرى كانت العامل المهم فى حدوث التطور الكبير فى المنطقة ، مثل ظهور تحالف الدفاع العربى ، ولذا بقيت مصر المحور الديناميكى فى العالم العربى ·

ان الظروف التى أحاطت بتوقيع معاهدة الدفاع العربى كانت وثيقة الصلة بهذا الموضوع ، فكان كل من مصر والعراق الدولتين المهتمتين بالشئون العربية وفى نفس الوقت كانت بريطانيا تسعى الى قيام مايسمى بالوحدة العربية من وجهة نظر بريطانيا اذ كانت تمنى العرب بحصولهم على الاستقلال ، وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية كانت مصر والعراق واقعتين تحت دعاية دول المحور خاصة المانيا ، وكانت مصر تعتقد أن وضعها سوف يكون أفضل فى المستقبل اذا ما استطاعت أن تستغل الوحدة العربية لصالحها ، ومن هنا فان مصر اعترضت على فكرة مايسمى بوحدة سوريا الكبرى تحت حكم دولة العراق(٢٢) ·

وقصارى القول ، ففى عام ١٩٤٤ كان توقيع بروتوكول الاسكندرية الذى كان يهدف الى قيام وحدة عربية شاملة ، ونجحت مصر فى فرض سياستها على العراق وتم اجراء مباحثات تمهيدية فى القاهرة بحيث تكون سكرتاريه هذا الاتحاد مقرها القاهرة ، وزيادة على ذلك فان ٦٠٪ من أعضاء السكرتارية يكونون مصريين ، والتزمت مصر على أن تساهم بنسبة ٤٢٪ من ميزانية هذا الاتحاد(٢٣) ·

ان قيام وحدة عربية بهذا الشكل يعد انتصارا لسياسة مصر التى أعلنتها فى مارس ١٩٤٥ ، وكانت جامعة الدول العربية تتكون من الدول العربية المستقلة حينذاك(٢٤) : مصر والسعودية واليمن والعراق وسوريا ولبنان والأردن ، وبدأ قادة مصر فى ذلك الوقت وضع الترتيبات التى على أساسها تقوم وحدة عربية شاملة تناهض الاستعمار وتكون ركيزة للمنظمة الاسلامية ٠

وسعت مصر الى تكوين جبهة مصرية عربية لتكون فى مواجهة المنظمة الصهيونية(٢٥) ٠ وبعد قيام الوحدة العربية دخلت الدول العربية فى حرب ضد اليهود فى فلسطين فى مايو ١٩٤٨ وساهمت مصر فى هذه الحرب التى كانت انجلترا تحرك خيوطها من وراء ستار والتى انتهت بهزيمة الدول العربية مجتمعة أمام دولة اسرائيل الحديثة النشأة ، وفى النهاية وجد ما عرف بالمشكلة العربية ـ الاسرائيلية ، وهناك دوافع عديدة دفعت بالساسة المصريين الى مناهضة سياسة الغرب فى منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة ٠

* * *

٣ ـ اعلان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :

ان التوازن الذى ظل يحكم مصر كان يقوم على ثلاثة دعائم : هى حزب الوفد والملك والمندوب السامى البريطانى خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، وتعرض الملك لموقف مخز من قبل السفير البريطانى فى ٤ فبراير ١٩٤٢ بفرض حصار عسكرى حول قصر عابدين ، وخير الملك فاروق بين أمرين : اما أن يأتى بحزب الوفد الى الحكم فورا واما أن يفقد عرشه ويغادر مصر الى الأبد ٠ ان حزب الوفد هو القادر الآن ـ أن يضع معاهدة التحالف نصا وروحا موضع التنفيذ ، وهى الموقعة فى عام ١٩٣٦ ، وماحدث من قبل السفير

البريطانى اللورد كليرن بعد اهانة لشعب مصر بصفة عامة وللجيش المصرى بصفة خاصة ٠

وكان الملك فاروق لايقيم وزنا لكل من حزب الوفد والانجليز ، وظل الملك يتحين الفرصة للتخلص من حزب الوفد الـذى فـرض عليه فرضا فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية فى ١٩٤٤ أقال الملك وزارة الوفد ، وحدث فراغ سياسى فى المجتمع المصرى ، وفى ذلك الوقت ظهرت جماعة الاخوان المسلمين كقـــوة عسكرية وسياسية ٠

وفى زمن قصير أصبحت أقوى الجماعات التى كانت تمــلأ الساحة المصرية ، اذ كان عددها يزيد على ثلث مليون وصلوا الى مايزيد على مليون ونصف المليون فى أوائل عام ١٩٥٠ ، كما ظهرت جماعة شيوعية فى مصر ، ولكن هذه الجماعة كانت ضعيفة عديمة التأثير فى المناخ السياسى الذى شهدته مصر(٢٦) ٠

ولكن هناك جماعة قدر لها أن تلعب دورا مهما فى تاريخ مصر المعاصر والتى عرفت « بحركة الضباط الأحرار » فى صفوف الجيش المصرى وكانت النشأة الأولى لهذه الحركة فى منقباد بالوجــــه القبلى ، وكون جمال عبد الناصر وبعض الضباط « جماعة سرية » كان هدفها هو تحرير مصر من الاستعمار(٢٧) وكانت البداية الأولى لهذه الجماعة هى أوائل عام ١٩٣٧ حينما فتحت الكلية الحربيــة ابوابها لقبول الطلبة من الطبقة الوسطى ، وتأثر الجيش المصرى نتيجة اتجاهات هذه الطبقة التى بدأت تطفو على سطح المجتمــع المصرى ٠ ومن هذه الطبقـــة تكونت أيضـــا جمـــاعة الاخوان المسلمين ٠

ويعتبر أنور السادات من الشخصـيات المؤسـسة لحركة الضباط الأحرار التى تشكلت أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية وتتكون هذه المجموعة من أحد عشر شخصا ، وهدف هذا التنظيم هو اقامة النظام الديمقراطى ولو أدى ذلك الى استخدام القوة ، واعلان النظام الجمهورى · وهذه الجماعة أجبرت انجلترا على أن تأخذ عصاها وترحل عن أرض مصر ، وتخلصت كذلك من الأحزاب التى ظلت تحكم مصر دون جدوى ·

وهذه مرحلة طويلة مليئة بالأحداث ، وقاد جمال عبد الناصر الثورة بتكتيك واستراتيجية بارعة(٢٨) ·

ونتيجة انتصار اسرائيل فى ١٩٤٨ فقد ألقى باللـوم على المسئولين السياسيين ، وأفرز الجيش المصـرى الذى اشترك فى حرب فلسطين « حركة الضبط الأحرار » ويقود هذه الحركة جمال عبد الناصر ·

وجاء فى كتاب فلسفة الثورة « دفع بنا الى معركة لم نكـن مستعدين لها فى وقت كان الملك والحكومة ألعوبـة فى يـد قوات الاحتلال ، وتركونا هناك تحت مرمى النيران غير مسلحين ، ممـا جعلنا نفكر بأنه يجـب أن نتخلص أولا من أعدائنـا فى داخـل الوطن »(٢٩) كما جاء فى مذكـرات أنور السـادات « ثورة على النيل » :

« بعد حرب فلسطين تحركت مصر بسرعة نحو الثورة ، كان التذمر والغضب نتيجة عدم كفاءة حكام مصر الذين قادوها الى الهاوية بدلا من تحقيق الانتصارات مما أثار حفيظة بعض الضباط فى الجيش المصرى »(٣٠) ·

ان الضباط الأحرار توصلوا الى قرار ، وهو حتمية القيام بعمل حاسم ٠ وكشفت حرب فلسطين ١٩٤٨ عن مدى الفساد والانهيار الذى عم البلاط الملكى والحكومة ، وكان الرأى العام المصرى يعارض بشدة مثل هذه التصرفات(٣١) ، وكان الجيش مضطرا الى أن يتخذ قراره الحاسم لانقاذ الدولة من الانهيار(٣٢) ، وكان عليه أن يمسك بمقاليد الأمور فى الدولة ، وتشكلت الهيئة التنفيذية لحركة الضباط الأحرار ٠ وفى يناير ١٩٥٠ أختير جمال عبد الناصر رئيسا للحركة ، وأعيد انتخابه للمرة الثانية فى يناير ١٩٥١ ثم فى ١٩٥٢(٣٣) ٠

* * *

واتسمت الأوضاع الاقتصادية والسياسية بالانهيار التام ، وفى هذه الأثناء اتخذ حزب الوفد موقفا متشددا من الاحتلال الانجليزى ، واشتد شعور العداء بينهما ٠ وانفجر الشعب فى ثورة عارمة ضد قوات الاحتلال ، وفلت زمام الموقف من أيدى حزب الوفد ، وبدأ الفدائيون يواجهون قوات الاحتلال فى حرب « قنال السويس » وحدث اشتباك مسلح بين قوات الاحتلال الانجليزى وقوات الشرطة بالاسماعيلية ، نتج عنه استشهاد ما يزيد على ٤٠ مصريا فى يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ ، وفى اليوم التالى « السبت الأسود » قامت الجماهير المصرية فى القاهرة بحرق ونهب كل ماكان يرمز الى سيطرة الأجانب وتواجدهم ٠

انتهز الملك فاروق الفرصة وقام بطرد رئيس حزب الوفد ـ مصطفى باشا النحاس ـ رئيس الوزراء الذى يناصب الملك العداء باستمرار ، ومع طرد حزب الوفد من الحكم ، تولى الحكم بعد ذلك مجموعة من الوزراء دون المستوى ـ حتى تولى زمام البلد ضباط الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

وتفجر الغضب والكراهية ضد الملك والحكومة ، وكانت الجماهير الغاضبة سهلة الانقياد بواسطة جماعة الضباط الأحرار التى تريد التغيير وتسعى اليه ، وبهذا أتيحت الفرصة لأول مرة أن يحكم المصريون مصر منذ آخر فرعون مقدس خضع لحكم الفرس فى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد ٠

* * *

٤ ـ سياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط :

تحولت منطقة الشرق الأوسط سريعا الى ميدان حرب باردة نتيجة المجابهة التى حدثت بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وذلك عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وفى ١٩٤٦ فقدت فرنسا سيطرتها ونفوذها على سوريا ولبنان ، وكانت سياسة بريطانيا تتركز حول مقاومة القوميات فيما تسعى اليه من الاستقلال عنها ٠ بينما أصبحت بريطانيا تعتمد على الاقتصاد والدعم الأمريكى وتحالفها معها عقب الحرب العالمية الثانية ، وأصبحت أقل تقدما وغير مؤهلة أن تحتفظ بنفوذها فى مستعمراتها فى وقت سادت منطقة الشرق الأوسط التيارات السياسية والتنافس الاستعمارى .

كانت روسيا ترغب فى أن تمد نفوذها ناحية الجنوب وحاولت روسيا أن تختبر موقف انجلترا الضعيف فى منطقة الشرق الأوسط ، ففى ايران رأت أن تقيم حكومة شيوعية ، وفى تركيا استخدمت الضغط الدبلوماسى والسياسى بتشجيع من العناصر غير التركية ، ليفرضوا نفوذهم ٠ لاشك أن مثل هذه السياسة الانجليزية وضعفها فى مواجهة الشيوعية أثارت غضب الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى ١٢ مارس ١٩٤٧ أعلن الرئيس هارى ترومان Hary Truman

قـــــرارا بانهـــــاء عزلة وحياد أمريكا(★) بالنســـــبة العالم أجمع ، وفيما بعد لجأ الرئيس ترومان الى توضــيح هذا القــرار بقوله : « ان تراخى وعزلة أمريكا وتقوقعها ··· عصر انتهى وأن الأمم تبنى بالتصدى لتوســع الروس العـــالمى الذى ليـس من حقهم »(٣٥) .

وترتب على قرار ترومان اقرار مشروع مارشال Marshall وكان الهدف منه هو احتكاك أمريكا بالسياسة العالمية ، وبعد أن خصصت مبلغ ٤٠٠ مليون دولار فى مايو ١٩٤٧ قرر الكونجـرس الأمريكـى مشـــروع « النقطـة الرابعـــة » Point Four ثـم بعد ذلك المحافظة على الأمن القومى Mutual Security وفى ١٩٥١ أمكن استغلال هذا القرار(٣٦) .

ومن هنا زاولت الولايات المتحدة ضغطا مكثفا على الاتحاد السوفيتى بسحب قواته من ايران ثم وجهت أساطيلها الى شرق البحر المتوسط لتحافظ على أمن تركيا وتقضى على الشيوعية فى اليونان .

وبالرغم من هذا النجاح الذى صادفته السياسة الأمريكيـــة والذى ينم عن القوة فى مواجهة الأحداث وتحـــدى الشيوعية فى

(★) وذلك بالغـــاء قرار مونرو سنة ١٨٢٣ الذى يقضى بأن تلتزم امريكا بسياسة الحياد والعزلة عن مشاكل القارة الاوربية . وظلت أمريكا ملتزمة بهذا القرار حتى تدخلها فى الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ فى عهد الرئيس ويلسون Willson ، وأيضا تدخلها فى الحرب العالمية الثانية فى ١٩٤١/١٢/٨ على اثر عدوان اليابان على قاعدتها العسكرية وتدمير اسطولها فى قاعدة بير هاربر Pear Harber فى اليوم السابق .

تشيكوسلوفاكيا فان برلين عاصمة المانيا تم فصلها بحائط ليفصل ما بين الشيوعية والرأسمالية • كما فضلت أمريكا مناصرة شيانج كاى شيك Chiang Kai-Shek فى الصين الوطنية ، كما عكست الحرب الكورية ١٩٥١ مخاوف أمريكا من امتداد الشيوعية ناحية الجنوب •

● ● ●

ولقد جذبت ظروف الحرب الباردة الولايات المتحدة الأمريكية الى ميدان الشرق الأوسط والتى أصبحت منوطة بالدفاع عنه ضد تسرب الأفكار الشيوعية اليه •

وجدير بالذكر أن نظام الدفاع الانجليزى كان يعتمد بالدرجة الأولى على الحكومات الموالية لسياسته ، وكان يأتى بالحكومات التى تنزع الى الوطنية وتقرر فى عام ١٩٤٩ مد حلف الأطلنطى NATO الى العالم العربى(٣٧) وفى ١٩٥٠ أصبحت فكرة التحالف مع منطقة الشرق الأوسط قد تقررت ، وتقوم فكرة هذا التحالف الجديد ، على تحالف دول الكومنولث البريطانية مع حلف الناتو الأطلنطى) فى مجال الطيران ، والبحرية وكذلك الحكومات المحلية القائمة(٣٨)وعلى الرغم من أن هذه الفكرة أصبحت مقررة ، فان تحالف دول حلف الأطلنطى مع دول الشرق الأوسط أصبح أمرا حقيقيا عندما أصبحت تركيا عضوا فى الحلف فى شهر فبراير ١٩٥٢ •

وهنا تأتى أهمية قاعدة قناة السويس الاستراتيجية ، ففى خلال النصف الأول من عام ١٩٥٠ نظرت دول حلف الأطلنطى الى مصر كمفتاح لنظام الدفاع الغربى فى المنطقة • ان وجهة النظر الاستراتيجية هذه قد تمت بناء على تحالف قوى وعلاقات عميقة

الجذور بين أمريكا واسرائيل فى عام ١٩٤٨(٣٩) وطلب الرئيس هارى ترومان من بريطانيا بأن تسمح بهجرة ١٠٠٫٠٠٠ مهاجر يهودى سنويا الى فلسطين(٤٠) ، فى وقت أصرت فيه انجلترا على مشاركة أمريكا لها فى تحمل المسئولية ازاء تصاعد العداء العربى لاسرائيل(٤١) .

وعقب عودة ترومان من مؤتمر بوتسدام Postdam عقد مؤتمر صحفى يوضح الآتى :

« ان وجهة النظر الأمريكية تجاه المشكلة الفلسطينية هى أننا نريد أن ندفع بكثير من اليهود الى فلسطين بقدر مانستطيع ، ثم ان بريطانيا تقع عليها المسئولية فى تحمل المشاكل والعقبات السياسية والاقتصادية التى تترتب على ذلك . ثم نبحث بعد ذلك مع بريطانيا والعرب مثل هذه المشاكل ، واذا أمكن أن يقيموا دولة فيمكن أن تقوم هذه الدولة على الأمن والسلام ، وليس لدينا الرغبة بأن نبعث بقوة ٥٠٠٫٠٠٠ جندى أمريكى لكى يحفظوا السلام فى فلسطين »(٤٢) .

وأضاف الى قوله : « ان ادراكى الأساسى لكل أبعاد القضية الفلسطينية هى نوع من المشاكل التى هى من اختصاص الأمم المتحدة »(٤٣) ولقد عرض ترومان هذه المشكلة على البنتاجون Pentagon وعلى وزارة الخارجية موضحا رأيه : « لاشك أن هناك تحيزا وتحاملا ـ ازاء هذه المشكلة ـ من قبل انجلترا وأمريكا نتيجة لمصالحهم الكثيرة والمهمة فى منطقة الشرق الأوسط ، وأهم هذه المصالح هى الخاصة بالبترول »(٤٤) .

وبرغم هذا فقد استدعى ترومان ثلاثة من سفرائه فى منطقة الشرق الأوسط فى أكتوبر ١٩٤٦ لكى يستمع منهم ويتعرف على

أرائهم ووجهات نظرهم عن انزعاج وفزع العرب من نجاح اليهود فى فلسطين(٤٥) ٠

وجرت محاورة بين ترومان والسناتور الديمقراطى هوارد ميكارثى Howard McGrathy جاء بها :

● فى المقام الأول : ان الفضل يرجع الى اليهود فى نجاح الحزب الديمقراطى وكثير منهم دافعى الضرائب ، ولديهم وجهة نظرهم الخاصة بالقضية الفلسطينية(٤٦) وهناك اعتبار آخر خاص بأصوات اليهود فى كل الولايات الأمريكية على الرغم من أن هذه الجالية تمثل ٣½٪ فقط من الشعب الأمريكى ، ولكن لهـا وزنهـا السياسى فى الانتخابات الأمريكية ، ولكن هؤلاء الناخبين تأثيرهم على اسرائيل أمر مغالى فيه كثيرا ٠

وبدون مقدمات ، سارعت أمريكا بعرض القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة فى جلسة عامة ، وأعلنت الولايات المتحدة أنها لاتعارض الرأى القائل بتقسيم فلسطين ، ولكن فى اللحظات الأخيرة وقبل التصويت تلقى - أمريكا - بثقلها لكسب الأصوات التى تحتاج اليها لتأييد وجهة نظرها(٤٨) ٠

كان للاتحاد السوفيتى موقف حاسم فيما يتعلق بهذه الخطوة ومسألة المساعدات العسكرية لمنطقة الشرق الأوسط التى ساعدت اليهود لكى يقاوموا القوات العربية ، وهذا أمر لم يكن معروفا فى عام ١٩٤٨ ٠

وفى مارس ١٩٤٨ عندما تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية باقتراح الى سكرتارية الأمم المتحدة ، وتضمن الاقتراح ، وضـع

فلسطين تحت الوصاية(٤٩) . وفى هذه الأثناء كان الرئيس الأمريكى متشائما جدا وحذرا للغاية ، وكان يرى أن المسألة الفلسطينية يمكن أن تدمر مصالح أمريكا فى منطقة الشرق الأوسط ، وبعد مضى شهرين سارعت اسرائيل بالاعلان عن قيام دولتها عشية انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين فى ١٥/٥/١٩٤٨ ، وسارعت الولايات الأمريكية بالاعتراف بها ، وتلا ذلك اعتراف الاتحاد السوفيتى أيضا . وسارع العرب باعلان الحرب ضد اليهود فى فلسطين ، واذا كانت اسرائيل أخذت نصف فلسطين بمقتضى قرار التقسيم ١٩٤٧ ، فانها تمكنت أن تأخذ النصف الآخر بعد حرب ١٩٤٨ وخروج العرب المشتركين فى الحرب منهزمين وترتب على هذه الحرب تدفق المهاجرين الفلسطينين الى الدول العربية المجاورة ، وعلى العكس حدث تدفق المهاجرين اليهود من شتى أنحاء العالم الى اسرائيل .

وحدثت الهدنة بين العرب واسرائيل فى عام ١٩٤٩ ، وسارعت الولايات المتحدة متحالفة مع انجلترا وفرنسا باصدار البيان الثلاثى Tripartite Declaration فى مايو ١٩٥٠ ليؤكدوا حماية اسرائيل من العرب والدفاع عنها لو حدث اعتداء عليها (دون الرجوع الى اجراءات الأمم المتحدة) لمنع هذا العدوان(٥٠) .

وأكد الرئيس ترومان بأن مثل هذه الاجراءات لا يقصد بها تهديد أى طرف(٥١) . وكان البيان الثلاثى به قصور شديد ، كمثال لهذا : فان الاتحاد السوفيتى لم يكن بين الدول التى يمكن أن تعتدى على اسرائيل ، ولكن فرنسا كانت على استعداد بعدم الالتزام بتنفيذ هذا البيان من أجل تنمية وتوثيق علاقاتها مع العرب فى منطقة الشرق الأوسط .

ومن الملاحظ أن البيان الثلاثى لم يضع فى الاعتبار أصدقاء الغرب فى العالم العربى ، وبرغم هذا مضت أمريكا فى تقديم الدعم العسكرى والاقتصادى والتأييد السياسى لاسرائيل ، مما جعل العرب ينظرون الى أمريكا نظرة ريبة وشك ، وان كانت ماتزال أمريكا تدعم نشاطها فى مجال التعليم والزراعة وأعمال الخير الأخرى فى العالم العربى ، وهكذا وقعت أمريكا فى نفس الخطأ الذى وقعت فيه انجلترا من قبل ، وهو تأييد اسرائيل على حساب علاقاتها مع العرب مما كان سببا فى تدهور هذه العلاقات العربية مع أمريكا ٠

* * *

٥ ـ تطور العلاقات المصرية ـ الأمريكية :

من المفيد أن تتضمن هذه المقدمة التمهيدية بعض الملاحظات التى تجول بخاطرى عن العلاقات المصرية ـ الأمريكية خلال الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٥٨ والتى قد تمت دراستها فى ثنايا هذا البحث ٠

فعقب قيام الثورة فى مصر ، بدأت كل من الدولتين تهتم بتنمية علاقاتها بالدولة الأخرى ، وتوثقت هذه العلاقات بين الدولتين ـ المصرية والأمريكية منذ بدأت المفاوضات المصرية ـ الانجليزية لحل المشكلة المصرية ، وجلاء القوات الانجليزية عن قاعدة قناة السويس ، وعلى الرغم مما انتهى اليه مصير هذه المشكلة فان هناك مشاكل أخرى نالت اهتمام الدولتين ، اذ كانت كل دولة تحاول اقناع الدولة الأخرى بوجهة نظرها عن مستقبل منطقة الشرق الأوسط وكان كل طرف متأثرا الى حد بعيد بالملابسات والظروف التى تفرضها المنطقة التى ينتمى اليها ، وان هناك ثمة دوافع تجبر كل دولة بتمسكها بوجهة نظرها .

ومن الملاحظ أن علاقة أمريكا بحليفتيها - انجلترا وفرنسا - قبل الثورة المصرية فى ١٩٥٢ أقوى من تلك العلاقة التى تسود بينهم بعد هذه الثورة اذ كانت أمريكا تسعى الى سحب البساط من تحت قدمى حليفتيها فى منطقة الشرق الأوسط ، ومن ثم اتسمت السياسة الأمريكية بسياسة معلنة تناقضها سياسة غير معلنة ٠

وأكد المسئولون الأمريكيون بأنهم فشلوا فى تفهم الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط ، اذ كان من المفروض أن نحدد وليات مصالحنا واستراتيجتنا من خلال خطط مدروسة بدقة ، بدلا من اعتمادنا على وجهات نظر بعض الشخصيات فى المنطقة مثل خروتشوف Khrushchev أو ناصر Nasser (٥٢) ٠

* * *

وعقب الحرب العالمية الثانية ، فان المصالح الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط مرتبطة الى حد بعيد بالحرب الباردة بين المعسكرين وكان جل اهتمام الولايات المتحدة منع الاتحاد السوفيتى من النفاذ الى هذه المنطقة ، وملء الفراغ الذى خلقته بريطانيا بجلائها عن قاعدة قناة السويس ، ولقد عارضت مصر - فى بادىء الأمر - هذا الاتجاه ، ومن ثم نصبت نفسها المدافع عن أمنها ، وعن أمن العالم العربى فى مواجهة المخططات الاستعمارية فى ظل تصاعد الحرب الباردة ٠

وارتفعت حدة المعارضة المصرية حينما أدركت مصر بأن السياسة الأمريكية تقف حائلا دون تحقيق الأهداف التى من أجلها قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ خاصة حينما ظهرت شخصية عبد الناصر كزعيم مصرى وعربى ، ومع ازدياد تعاظم شخصية عبد الناصر ، حدث تدهور فى العلاقات المصرية الأمريكية ٠ وكان

من نتيجة الدعوة الى القومية العربية ، وازدياد العداء بين العرب واسرائيل وانعكاس هذا على العلاقات المصرية مع أمريكا خلال الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٥٨ ، اذ اتسمت هذه العلاقات بما يعرف بالمد والجذر من خلال العلاقات التالية :

من خلال العلاقات بين أمريكا وبعض الدول العربية ، وأيضا بين أمريكا وحلفائها فى حلف الأطلنطى ٠

ـ وكذلك العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى ، وكذلك بين مصر واسرائيل ٠

ـ والعلاقة بين مصر والدول العربية ، وبين مصر ودول عدم الانحياز ٠

ـ وأخيرا العلاقة بين الاتحاد السوفيتى وبعض الدول العربية(٥٣) ٠

ومن المعروف تاريخيا أن مصر هى مفتاح الشرق الأوسط ولايمكن لأى من القوتين : الاتحاد السوفيتى وأمريكا التمركز فى هذه المنطقة الا من خلال مصر ، فى وقت كانت فيه مصر تتزعم القومية العربية التى هى فى واقع الأمر السد المنيع أمام تغلغل النفوذ الأجنبى فى العالم العربى ، ومن هنا يمكن أن نقول بأنه كان صراعا بين مصر وأمريكا لاعادة رسم مستقبل الشرق الأوسط(★)

(★) «Thus, when Egypt found itself in opposition to American policy in the Arab Middle East, it was often in a position effectively to hinder the implementation of that policy».

وعلى الرغم من أن السياسة الامريكية ترتكز على مناهضة الاستعمار الأوربى الذى كان سائدا فى القرن التاسع عشر ، ولم تلجأ اليه عقب الحرب العالمية الثانية ، فانها وجدت نفسها متورطة فى حل مشاكل الشرق الأوسط ، معتقدة ـ خطأ ـ أن فى امكانها ازاحة الاستعمار التقليدى ـ الانجليزى والفرنسى ـ لتسارع باحتلال نفس الموقع . والخطأ الآخر الذى وقعت فيه السياسة الأمريكية هو تأييدها لاسرائيل ، ومن ثم فلا يمكن لها أن تقيم علاقات طيبة مع العرب .

وجاء وزير خارجية أمريكا جون فوستر دلاس فى زيارة الى دول المنطقة فى عام ١٩٥٣ على أمل أن يتمكن من حل مشاكل المنطقة من خلال منظور أمريكى ، وكان دلاس مصمما بأن يكسب ناصر الى جانبه أو يجعله يحد من موقفه المتشدد .

ومن ثم كان المسئولون الأمريكيون مندفعين بمعارضة القومية العربية التى كانت سببا فى تدمير العلاقات المصرية ـ الامريكية بينما تصاعدت لدى الشعوب العربية حدة الشعور بالقومية العربية والتمسك بها وتأكد المسئولون الامريكيون مؤخرا أن ناصر لم يكن شيوعيا ولن يكون(٥٤) وهذا هو الاطار العام للعلاقات المصرية ـ الأمريكية منذ قيام الثورة فى ١٩٥٢ ، وحتى وفاة جون فوستر دلاس فى ١٩٥٨ ، وهذا هو ما استعرضناه فى ثنايا الفصول التالية .

NOTES

(1) J.F. Dulles in U.S. Congress, Senate .**The President's Proposal on the Middle East : Hearnigs before the Committe on Foreign Relations and the Committee on Armed Services,** 58h Cong., 1st sess. S.J. Res. 19 and H.J. Res. 117. Pt. 1, 14 January-4 Ferbruary 1957. Washington D.C .: Government Printing Office, 1957, P. 11. Hereafter referred to as Hearings. 1957.

(2) H. L. Hoskins, **The Middle East, Problem Area in World Politics** (New York : The Macmillan Co., 1957), P. 6.

(3) See Ivar Spector, **The Soviet Union and the Muslim World : 1917 — 1958** (Seattle : University of Washngiton Press, 1959). P .3.

(4) W. L. Langer, **European Alliances and Alignments** (New York : Knopf, 1962), P. 252. Britain also held a 44 percéent interest in the Maritime Suez Canal Company, having profited from Egyptian financial difficulties to purchase the Khedive's shares. France held the majority interest.

(5) See **Great Britain : Parliamentary Papers**, vol .125, Cd. 3750 (1908).

(6) U.S. Department of State, **Nazi-Soviet Relations : 1939 — 1941**, Publication 3023, PP. 258 — 59.

(7) See generally George Antonius, **The Arab Awakening** (London : Hamish Hamilton, 1945).

(8) Ibid, PP. 80, 93.

(9) Tom Little, **Modern Egypt** (London : Ernest Benn, 1968), P .28. From the earliest period this feeling was expressed in a vigorous self-awareness and complacent pride as «men» in contrast with Egypt's Nubian. Libyan , and Asiatic neighbors. G. Steindorff and K. G. Seele, **When Egypt Ruled the East** (Chicago : University of Chicago Press, 1963), P. 10.

(10) For the Pharaonic peroid, see Steindorff and Seele, **When Egypt Rueld**, Egyptian frontiers extended to the Euphrates at various points during this period, i.e., Egypt under Tuthmosis I. Tuthmosis III and Ramses III. For the Islamic period, see Philip Hitti, **The History of the Arabs** (New York : Macmillan, 1956). For examples under the Fatamid Caliphs and Salah El Din, see Little, **Modern Egypt**, PP. 21 — 29. For Egypt under Mohammed Ali, see Ibid., PP. 30 — 36.

(11) W.L : Langer. **The Diplomacy of Imperialism** (New York : Alfered A. Knopf, 1965). PP. 103 — 10.

(12) Gamal Abdel Nasser. **The Philosophy of the Revolution** (Cairo : The National Publication House, n.d.), PP. 51 — 53.

(13) See, for example, Pierre Reyssade, **La Ligue Arabe** (Paris : Editions Planète, 1968). P. 110.

(14) Tom Little sets the date for the beginning of modern Egyptian nationalism as 1805, when the Egyptians reasserted Themselves against Turkish domination ot select Mohammed Ali as their leader. Egypt at this point began to reestablish itself as a self-contained political unit. (**Modern Egypt**, PP. 20 — 39). See also Peter Mansfield **Nasser's Egypt** (Baltimore, Md. : Penguni African Library, 1965 PP. 17 — 18.

(15) Langer, **European Alliances**, P. 272.

(16) Hisham B. Sharabi, **Nationalism and Revoluiton in the Arab World** (New York : D. Van Nostrand 1966), PP. 8 — 9.

(17) Patrick Seale, **Struggle for Syria** (Landon : Oxford University Press, 1965), P. 16.

(18) Little ,**Modern Egypt**, P .74.

(19) Mansfield, **Nasser's Egypt**, P. 27. For text of the 1922 Agreement, see Royal Institute of Internatoinal Affairs, **Great Britain and Egypt 1914 — 1936**, Information Department Papers, No. 19 (London : Chatham House, 1937). P. 11.

(20) Anwar El Sadat, **Revolt on the Nile** (New York : J. Day, 1967), PP. 81 — 98 and 107.

(21) See Bevin Sidqi Negotiations, 1946 — 47 and the resulting draft agreement, Great Britain, Foreign Office, **Papers Regarding the Negotiations for a Revision of the Anglo-Egyptian Treaty of 1936, Cd. 7179, London H.M.S.O. 1947**, British withdrawal from Alexandria and Cairo to the Suez Canal Zone in March 1947 did little to quell Egyptian hositlity. See George Kirk, **The Middle East, 1945 — 1950, Survey of Internatoinal Affairs.** (London : Oxford University Press, 1954), PP. 116 — 36.

(22) Beyssade, **La Ligue Arabe**, P. 45.

(23) B. Boutras-Ghali, **Egyptian Foreign Policy and the Arab League** (Cairo : University Press, 1956), cited in Beyssade, **La Ligue Arabe**, P. 111.

(24) Sharabi, **Nationalism and Revolution**, PP. 153 — 54.

(25) See Round Table Conference (February 1939) and Arab Conference in Bludan (1937); J.C. Hurewitz, **The Struggle for Palestine** (New York : W.W. Norton and Co., 1950), PP. 98 — 102.

(26)Manfred Halpern, **The Politics of Social Change in the Middle East and North Africa** (Princeton, N.J. : Princeton University Press, 1965), P. 150 J.C. Groves, «The Arab Attitude to Communism with Special Reference to Nasser's Egypt». Unpublished Memorie de Diplôme, no 88, Geneva, IUHEI, 1962.

(27) William Spencer, **Political Evolutoin in the Middle East** (New York : J.B. Lippincott, 1962), P. 380; El Sadat, **Revolt on the Nile**, PP. 11 — 17.

(28) El Sadat, **Revolt on the Nile**, PP. 13 — 14.

(29) Abdel Nasser, **Philosophy of the Revolution**, PP. 13 — 14.

(30) El Sadat, **Revolt on the Nile**, P. 109.

(31) Abdel Nasser. «The Egyptian Revolutoin,» **Foreign Affairs** 33 (January 1955) : 203.

(32) Abdel Nasser, **Philosophy of the Revolution**, P. 28.

(33) The ten original members of the executive committee were Gamal Abdel Nasser, Abdel Hakim Amer, Anwar El Sadat, Salah Salem, Kamal El Din Hussein, Gamal Salem, Abdul Moneim Abdel Raouf, Hassan Ibrahim, Khaled Mohieddin, and Abdel Latif El Boghdadi, Later they were joined by Hussain Shafi and Zakariyya Mohieddin, El Sadat, **Revolt on the Nile**, P. 112.

(34) P.I. Vatikiotis, **The Modern History of Egypt** (London : Weidenfeld and Nicolson 1969), PP. 265 — 66.

(35) H.S. Truman, **Memoirs : Year of Trial and Hope, 1946 — 1955** (Garden City, N.Y. : Doubleday, 1955), 2 : 102. See also President Truman's official statement at the time in U.S. Department of State, **Bulletin**, 23 March 1947, PP. 534 — 37.

(36) **Public Law 75,** 85th Cong., 1st sess., **Documents on American Foreign Relations, ed.,** R. Dennett and R.K. Turner, val. 11 : January 1 . December 31, 1949 (Princeton, N. J. : Princeton University Press, 1950), P. 10; ibid., 13 : 128 — 39.

(37) J.C. Hurewitz, **Middle East Dilemmas, the Background of United States Policy** (New York : Harper and Brothers, 1953), P. 92.

(38) R.P. Stebbins, **The United States in World Affairs, 1951** (New York : Harper, 1952), P. 284.

(39) Although no official obligations or engagements were made, verbal support was given for the establsihment of a Jewish national home in Palestine even before the war. See **Lodge-Fish** Joint Congressional Resolution (1922) quoted in **Hurewitz, Middle East Dilemmas,** P. 118. American support for the Balfour Declaration was declared in a letter from President Wilson to Rabbi Wise (29 October 1918) Quoted in **George Lenczowski. The Middle East in World Affairs** (Ithaca, N.Y. : Cornell University Press, 1958), P. 81.

(40) Samuel Halperin, **The Political World of American Zionism** (Detroit, Mich. : Wayne State University Press, 1961), P. 186.

(41) Hurewitz, **Middle East Dilemmas,** P. 132.

(42) Truman, **Memoirs,** 2 : 162.

(43) Ibid., P. 140.

(44) Ibid., P. 149.

(45) William Eddy, **F.D.R. Meets Ibn Saud** (New York : American Friends of the Middle East, Inc., 1954). PP. 36 — 37.

(46) **The Forrestal Diaries,** ed., Walter Millis (New York : Viking Press, 1951), P. 345.

(47) A case in point was the re-electoin of President Eisenhower by a margin despite America's position in the Suez Crisis of 1956; see chapter 7 **passim.**

(48) Naday Safran, **The United States and Israel** (Cambridge, Mass. : Harvard University Press, 1963). PP. 3 — 4. See aslo U.S. Department of State, **Bulletin**, 21 September 1947, PP. 546-61.

(49) **U.N. Security Council Official Records**, 3d year, 271st meeting, 19 March 1948, P. 167.

(50) U.S. Department of State, **Bulletin**, 5 June 1950. P. 886.

(51) Ibid.

(52) Eric Johnston, «Formula for a Mideast Settlement,» **New York Times Magazine**, 10 August 1968. P. 46.

(53) Unpubilshed Background Press Conference, 24 March 1957, John Foster Dulles, **The Papers of John Foster Dulles, 1888 — 1959**, Seeley G. Mudd Manuscript Library, Princeton University Princeton, N.J. (hereafter referred to as **Dulles Private Papers**).

(54) Loy Henderson to the author

الفصل الأول

العلاقات المصريــة ــ الأمريكية

قبل وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

حرصت أمريكا على تفادى الانزلاق الى السياسة المصـــرية المعقدة ، مثلها مثل بقية الدول التى ماتزال تـــرزح تحت وطـــأة الاستعمار الأوربى(١) ، ومما لاشك فيه أن أمريكا كانت ملتزمة فى سياستها الخارجية بقرار مونرو ١٨٢٣ والذى يفرض عليها تجنب مشاكل القارة الأوربية والعزلة بنفسها فى نصف الكرة الغربى ، وفى نفس الوقت كانت مصر ركيزة الامبراطورية البريطانية المترامية الأطراف ·

وفى القرن التاسع عشر زادت المصالح الأجنبية الغربية فى مصر مما أثر على سياستها الخارجية ، بينما كان النشاط الأمريكى فى ذلك الوقت محدودا ومقصورا على النشاط التجارى والتبشير الدينى والتعليم والمشاركة فى الأعمال الخيرية وأصبح هناك قنصلية مسئولة عن هذه المصالح فى مصر ، ومن ثم كانت هذه العلاقات الأمريكية محدودة فى مصر ، بالقياس الى حجم النفوذ الانجليزى فيها ، وحتى عام ١٨٤٨ كان التمثيل بين البلدين على المســـتوى القنصلى فى مدينة الاسكندرية فقط(٢) ·

ومع افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية البحرية فى عـــام ١٨٦٩ كانت الولايات المتحدة الأمريكية أقل الدول الأوربية استفادة واستخداما لهذا المشروع ، وظلت أمريكا محدودة الاستفادة من هذا

الشريان العالمى(٣) ولهذا فان أمريكا لم توقع على معاهدة القسطنطينية فى عام ١٨٨٨ والتى تقضى بتنظيم الملاحة عبر القناة للدول البحرية ، وهذا يؤكد عدم أهمية القناة – فى ذلك الوقت – لأمريكا ٠

وحتى عام ١٩١٨ ظلت المصالح الأمريكية فى مصر محدودة للغاية(٤) ولكن أمريكا كانت أقل الدول استفادة من نصوص المعاهدة التى أصدرتها الدولة العثمانية فى عام ١٨٣٠ ، وبرغم هذا فقد أصبحت أمريكا عضوا فى المحاكم المختلطة(٥) وان كان فى عام ١٩١٤ تم افتتاح قنصلية أمريكية فى القاهرة بجانب قنصليتها السابقة فى الاسكندرية ، واهتمت أمريكا بتنمية النشاط الاقتصادى على وجه الخصوص ، وبرغم هذا ظل النشاط محدودا بالقياس الى نشاطات الدول الأخرى ٠

وازداد الطلب على القطن المصرى – خاصة طويل التيلة – فى الأسواق الأمريكية خاصة بعد نشوب الحرب الأهلية الأمريكية ، كما كانت انجلترا هى الأخرى فى اشد الحاجة الى القطن المصرى لاستمرار صناعاتها ، وعلى هذا أصبحت مصر هى المصدر الرئيسى لهذا القطن طويل التيلة لاستمرار الصناعات فى العالم(٦)

وتوقف النشاط الاقتصادى فى فترة مابين الحربين العالميتين ، وبرغم هذا فقد تمكنت شركة جنرال موتور ، وكوداك سنجر سوينج Singer Swening من انشاء فروع لها فى مصر وتمكنت جماعات البروتستانت Protestant الأمريكية من أن تزاول نشاطها فى مصر بعد عام ١٨٥٤ وذلك بانشاء المدارس والمستشفيات وكذلك المؤسسات الخيرية ، كما تم انشاء الجامعة الأمريكية فى القاهرة فى عام ١٩١٩ والتى أصبحت من أهم المؤسسات العلمية ٠

وفى غضون عام ١٩٣٨ بلغ اجمالى النشاط الأمــــريكى فى مصر مبلغ ١٤ مليون دولار ، هذا بجــــانب أن ميزانية الجمعيـات التبشيرية والخيرية والتعليمية قد بلغت ٤ ملايين دولار(٧) ٠

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى كان أمل القــــوى الوطنية المصرية معقودا على أمريكا فى الحصول على استقلالها بمقتضى مبادئ الرئيس ويلسون ، وكانت أمريكا لم تعلن الحرب رســـميا على تركيا ، وعلى هذا لم تستطع تركيا حضور مؤتمر الســــلام العالمى ، ومن ثم فقد تأثر وضع مصر كثيرا بهذا الموقف ٠

ولذلك أصبح الأمل معقودا على مبادىء الرئيس ويلســـون الأربعة عشر التى أعلنت فى يناير ١٩١٨ وان كانت أمريكا تخلت عن مبادئها هذه عقب الحرب ، وعادت مرة أخرى تلزم نفســـها بسياسة الحياد والعزلة فى وقت كانت انجلترا تعتبر مصر جزءا من الامبراطورية البريطانية(٨) وان كان تم اعلان اســتقلال مصــر فى عام ١٩٢٢ والتى نالت اعتراف أمريكا بها(٩) وعلى هذا فقد تم رفع درجة التمثيل السياسى بين الدولتين ٠

وحينما تم اكتشاف البترول فى مصر فى فترة مابين الحربين العالميتين ، كان هذا مجالا لتوسع النشــاط الأمريكى فى منطقــــة الشرق الأوسط ، اذ سارعت الشركات الأمريكيـــة العمـــلاقة الى المساهمة بشكل ملحوظ فى هذا المجال مستغلة فى ذلك ســـياسة الباب المفتوح ، ومن ثم فقد تنامى هذا النشـــاط الاتصادى قبـــل عام ١٩٣٩ اذ تمكنت شركات البترول الأمريكية من الحصول على امتيازات واسعة النطاق فى المملكة العربية السعودية ، وحوالى نسبة ٥٠٪ من نسبة الشركات العاملة فى الكويت(١٠) ٠

هذه التطورات لم تؤثر كثيرا على العلاقـات المصـرية ـ الأمريكية حتى اعلان الحرب العالمية الثانية وأولت أمريكا اهتمامها البالغ بقناة السويس ، كما كان تقدم روميل فى صحراء مصـر الغربية مهددا المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية للتحالف الأمريكى ـ الانجليزى ٠

ومن ثم فلأول مرة توافق أمريكا على خطة الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط ، وأصبحت مصر مركزا حيويا مهما بالنسبة للحلفاء للدفاع عن منطقة الشرق الأوسط وعلى هذا فقد أصبحت القاهرة مقرا لقادة دول الحلفاء ومـركزا لقانون « الاستعارة والتأجير » For Lend Lease distribution ومقرا للاعلام الغربى ، كمـا اقامت انجلترا أكبر قاعدة عسكرية دفاعية بمنطقة قناة السويس وذلك بعرض ثلاثة أميال وبطول ٦٥ ميلا ، هذه المنطقة أصبحت أهم قاعدة دفاعية فى منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لدول الحلفاء(١١) ٠

وبالرغم من أن انجلترا تعتبر مسئولة عن مصر ، فـان أمريكا اصبحت تشاركها هذه المسئولية بعد عـام ١٩٤٢ وكانت القـوات الأمريكية تتخذ من القاهرة قاعدة لقواتها(*) (US Afime) فى دفاعها عن منطقة الشرق الأوسط ، وكذلك أنشأت المطارات الحربية كقاعدة لسلاح الطيران الأمريكى(١٢) .

وفى عام ١٩٤٥ تطورت العلاقات المصرية ـ الأمريكية الى وضع أفضل من ذى قبل وتمثل هذا التطور فى مجالات التعليـم

(*) United States Armed Force in the Middle East (U.S.A.F.I. m.e.)

والبعثات التبشيرية والمؤسسات الخيريـــة بهدف فرض النفـــوذ والسيطرة فى نهاية الأمر ، ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ازداد النفوذ الأمريكى فى مصر بشكل ملحوظ ٠

وأكدت الحرب العالمية الثانية مدى الأهمية الاستراتيجيـــة لمصر ، اذ كانت جيوش الحلفاء تعتمد بالدرجة الأولى على قاعدة قناة السويس ، وعلىهذا تأكدت أهمية مصر بالنسبة للمعســـكر الغربى خاصة انجلترا وأمريكا ، وتعتبر مصر مركزا مهمـــا فى الامبراطورية البريطانية ، خاصة أن انجلترا تفرض نفوذهـــا على وادى النيل بأكمله ـ مصر والسودان ـ لذا رأت انجلترا أن اتجاه السياسة الأمريكية المناهضة للاستعمار الأوربى ـ مستحيل قبوله وكمؤيد لموقف مصر فى مواجهة السياسة البريطانية ٠

ولكن هذا الاتجاه يحتاج الى تعهد بين الدولتين(١٣) ويقنع مصر بأنها سوف تنتهج سياسة لاتؤدى الى اغضـــابها كمـــا أن العلاقات المصرية ـ الأمريكية بدأت تتطور عقب الحرب العالميـــة الثانية من خلال سلسلة من الاتفاقيات الثنائية التى شملت العديد من النشاطات ، ففى عام ١٩٤٦ تم التوقيع على اتفاقية خاصـــة بالطيران وتم التنازل عن قواعد الطيران الأمريكية الى الحكومـــة المصرية ، كما تم رفع درجة التمثيل السياسى بين البلدين الى درجة سفارة ٠

وفى عام ١٩٤٧ تم افتتاح بنك برأسمال قدره ٥ر٦ مليـــون دولار ، زيد الى ٣٠ر٧ مليون دولار بهـــدف اعادة تعمير ماخربته الحرب فى مصر بالاضافة الى النهوض بالصناعات المحلية(١٤) كما تم الاهتمام والنهوض بالمؤسســـات التعليمية بمـــا يواكب تطور العلاقات بين البلدين ، وان ظل التبادل التجارى متواضعا ٠

ثم بدأ التحسن فى الفترة ما بين عامى ١٩٤٨/١٩٥٢ حيث زادت الصادرات المصرية الى أمريكا بينما زادت الواردات الأمريكية الى ثلاثة أضعاف(١٥) وزادت كذلك مصالح أمريكا البترولية فى منطقة الشرق الأوسط ، وبالتالى زاد استخدام أمريكا لقناة السويس ، وأدى هذا بالتالى الى مشاركة أمريكا فى مجلس ادارة شركة قناة السويس فى يونية عام ١٩٤٨ .

وفى ٥ مايو عام ١٩٥١ استفادت مصر من برنامج « النقطة الرابعة »Point four programe وبذلك زادت القروض والمساعدات الفنية ، واتسع نطاق التعامل مع مصر فى شتى المجالات ، وفى الوقت نفسه ، ازدادت حدة التوتر بين انجلترا ومصر بسبب مشكلة فلسطين ، وتصدى الرأى العام المصرى لسياسة الدفاع الغربية فى المنطقة .

وحرصت مصر أن تسعى الى كسب ود الحكومة الأمريكية وفى الوقت نفسه كانت الحكومة الأمريكية حريصة كل الحرص على عدم التدخل فى شئون مصر الداخلية أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية ، وبمعنى آخر ما دامت انجلترا كانت تظهر بأنها ما تزال تسيطر على الموقف فان أمريكا كانت تتجنب التدخل فيما بينهما .

ورفضت الحكومة الأمريكية أن تتعاون مع بريطانيا فيما وصف بالحماية البريطانية على مصر اذ كانت تدرك يقينا بأن مثل هذا التعاون يؤثر على السياسة الأمريكية فى قناة بنما Panama (١٩)

هذا التناقض حدث فى كل من : فلسطين ـ ايران ـ تركيا واليونان حيث أن بريطانيا لم تستطع التغلب على المشكلات التى نشبت فى هذه الدول ، الأمر الذى دفعها الى طلب مساعدة أمريكا .

وازاء تطور الأحداث ، وظهور معسكر مناهض لسياسة بريطانيا متمثلا فى الاتحاد السوفيتى والشيوعية فى كل موقع ٠ هذا الأمر دفع قادة أمريكا بالدرجة الأولى الى الاهتمام بمصالحهم فى مصر بصفة خاصة وفى منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة ٠

ولذا كان لزاما على أمريكا ألا تقف بمعزل عن الجدل الناشب بين مصر وبريطانيا ، وحينما وصلت المفاوضات بين الجانبين الى طريق مسدود ، سعت بريطانيا الى فرض احتلالها بالقوة المسلحة ومن هنا بدأ المصريون يقاومون الاحتلال الانجليزى بتخريب منشآتها ، وبحرب العصابات على ضفتى قناة السويس ، وهذا أمر لم يكن فى حسبان دفاعات الغرب(٢٠) ٠

وكان من المؤكد أن بريطانيا اذا لم تهادن مصر وتحقق مطالبها ، فان مصر ستصبح مركزا لمقاومة نظام الدفاع الغربى ، ومنها ستمتد المقاومة الى كل دول العالم العربى ٠

وبناء على هذا فان الولايات المتحدة الأمريكية رأت أن تسعى الى التوفيق بين المطالب الاستراتيجية للغرب ، وطموحات الشعب المصرى ، وقد بدأت بالتنبيه على القائمين بمكانتها بضرورة البحث عن حل يتواءم مابين احتياجات دفاع الغرب وطموحات دول المنطقة ٠

وفى مطلع عام ١٩٥٠ اقترح مستر ارنست بيفين Bevin وزير الخارجية البريطانية بأنه بالامكان أن تحل مكان القوات الانجليزية ، قوات مشتركة : مصرية ـ انجليزية تخضع لقيادة عليا موحدة ، وذلك كحل للطريق المسدود الذى وصلت اليه المفاوضات بين البلدين(٢١) ورأى البنتاجون Bentagon الأمريكى ومجموعة العمل البريطانية ، ضرورة التوصل الى حل بهدف المحافظة على مصالح الغرب فى منطقة الشرق الأوسط ، وأشار

وزير خارجية أمريكا دين أشيسون Dean Acheson الى النتائج التى توصل اليها بقوله :

« يجب أن تكون القاهرة مقرا للقيادة العليا لمنطقة الشرق الأوسط وتشمل هذه القيادة الضباط المصريين ، وفى هذه الحالة تسلم القاعدة البريطانية لمصر ، ومن ثم توضع بعد ذلك تحت مسئولية القيادة العليا لمنطقة الشرق الأوسط ، وفى هذه الحالة فان القيادة البريطانية فى القاعدة تنسحب فورا من مصر مع بقاء عدد من القادة الانجليز بالاتفاق مع الحكومة المصرية »(٢٢) ·

وتلا ذلك نشاط دبلوماسى مكثف بعقد مؤتمر فى أنقرة ولندن من القيادات العليا فى الكومنولث البريطانى ، والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وتركيا ، وهو المعروف بالمقترحات الرباعية لمنطقة الشرق الأوسط ، وقدمت هذه المقترحات لمصر فى ١٣ اكتوبر ١٩٥١ « مؤكدة على أن مصر تنتمى الى دول العالم الحر ، وبالتالى فان مسألة الدفاع عنها بصفة خاصة ، ومنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة هو مسئولية الدول الديمقراطية » ·

واشتمل الاقتراح كذلك على أن تشكل القيادة العليا المنوطة بالدفاع عن منطقة الشرق الأوسط من كل من : بريطانيا ــ أمريكا ــ فرنسا وتركيا وأن تكون القيادة هذه بالتناوب والمساواة(٢٣) ·

وكان الرأى العام المصرى يرفض بشدة مثل هذا الاقتراح الخاص بالدفاع عن منطقة الشرق الأوسط ، ورفض تقديم أى تسهيلات للغير مما يسبب توترا فى منطقة الشرق الأوسط ، وكل التسهيلات الممكن منحها فى حالة الحرب أو التهديد بها أو أى توتر فى المنطقة ، فكل مايمكن أن تقدمه مصر هو تسهيلات السكك

الحديدية وكذلك مساعدات القوات المسلحة بما يتفق مع معاهدة ١٩٣٦ ولكن بشرط أن تسلم قناة السويس لمصر ، ولامانع من أن تشترك مصر فى القيادة العليا للدفاع عن الشرق الأوسط بعدما تكون مصر مسئولة ، مسئولية كاملة عن قاعدة قناة السويس وقت السلم والحرب(٢٤) ٠

وعلى الرغم من أن القيادة انجليزية الآن ، فانه فى حالة الحرب أو التهديد بها ستكون القيادة هذه مشتركة مع أعضاء حلف الأطلنطى للدفاع عن قاعدة قناة السويس بمعنى أن الاحتلال الانجليزى لمصر سوف يحل محله قيادة دفاع حلف الأطلنطى كخطوة أولى تمهيدا لفرض نفوذه على دول المنطقة فى مرحلة تالية ٠

واذا ما قبلت واشنطون هذه المقترحات الرباعية ، فانهم يكونون سببا فى اغضاب الحكومة المصرية التى رفضت هذه المقترحات بعد يومين فقط من تقديمها ٠ وأوضح السفير المصرى لدى الولايات المتحدة بأن دولته لم تستشر عندما تمت صياغة هذه المقترحات وبالتالى لم تحترم سيادة الدولة واستقلالها(٢٥) وفى نفس اليوم رفض البرلمان المصرى اتفاقية ١٨٩٩ الخاصة بالحكم الثنائى ، والمعاهدة البريطانية الموقعة عام ١٩٣٦ وأعلن كذلك بأن الملك فاروق ملك على مصر والسودان(٢٦) ٠

لقد أصيب المسئولون الامريكيون بخيبة أمل ، وبرغم هذا ظلوا يأملون أن تعدل الحكومة المصرية عن موقفها(٢٧) وفى الوقت نفسه بذلت جهود من أجل تخفيف هذه المقترحات حتى يمكن أن تقبلها مصر(٢٨) ٠

ومن ثم فقد تم تعديل هذه المقترحات الرباعية بصيغة أخرى بحيث تكون : الأمن والسلام وكذلك المنشآت والمعدات الحربية تظل

كما هى بقاعدة قناة السويس كجزء من خطة الدفاع الأمنى وتكون قيادة الحلفاء منوطة بادارتها(٢٩) ، وتظاهرت أمريكا برفضـــــها لهذه السياسة على أساس أن تقدم خطة كاملة وشاملة الى مصر على أساس الاعتراف بسيطرة مصر على السودان وبحيث يتغير شكل الاحتلال الانجليزى لمصر بحيث يصبح ارتباط مصر بمسألة الدفاع الغربى لمنطقة الشـــرق الأوســـط وان تكون قاعدة قناة السويس قاعدة عالمية(٣٠) .

وفى الحقيقة كانت الحكومتان المصرية والانجليزية مستاءتان من وجهة النظر الأمريكية وان تباينت الأسباب والدوافع ، وأول هذه الأسباب رغبة أمريكا وسعيها بأن تتخلى انجلترا عن مصالحها خاصة تلك التى بالسودان(٣١) ٠

وقد رأت أمريكا أن تسخر وتستغل المشـــروع حيث يســتمر الاحتلال الانجليزى لمصر بالاضافة الى مشاركة أمريكا لهــا(٣٢) وبالاضافة الى ذلك فان نجاح التحركات العالمية على مستوى العالم قد وضع العراقيل أمام مصر وجعلها بالتالى تقـــاوم وترفض أى حلول مالم تنص صراحة على الاستقلال التام ، وعلى هذا فقد كان موقف الحكومة المصرية محققا للرغبة والطموحات الوطنية دون الخضوع لأى ضغوط خارجية ٠

واندلعت الثورة ضد بريطانيا فى نهاية شهر يناير ١٩٥٢ واستغلال حالة فساد الحياة السياسية وظهر مدى قلق أمريكا على مصير علاقة مصر بالغرب بصفة عامة نتيجة لاتساع هوة الخلاف بين مصر وانجلترا ٠

وتزايدت المخاوف نتيجة تفاقم الاضطرابات الداخلية التى قد يفجرها الشيوعيون مستغلين ـ فى ذلك الوقت استمرار احتلال

قاعدة قناة السويس بالقوة ، والآن بدأت أمريكا تضغط على انجلترا بهدف التوصل الى تسوية المسألة مع مصر(٣٣) ولكن المسئولين الأمريكيين بدأوا يهتمون بتبنى حل سلمى بحيث يحقق الأمانى الوطنية بما يتفق مع خطط الدفاع الغربية فى المنطقة ، وبجانب هذا فقد تركز نشاط السفير الأمريكى بالقاهرة « جيفر سون كافرى Jefferson Caffery بأن أخذ على عاتقه محاولة تسوية الوضع المتوتر بسبب الاحتلال الانجليزى لمصر ٠

* * *

وعشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فان الجانب الاستراتيجى المهم للمنطقة قد اتضح بشكل تام ، ولكن مازال الخلاف الحاد فى العلاقات المصرية ـ البريطانية يأخذ أبعادا أكثر حدة بشأن ضرورة تحقيق الأمانى الوطنية فى الحرية والاستقلال ٠ وكانت طموحات منطقة الشرق الأوسط لاتقل عن هذه الرغبة فى الحصول على الحرية والاستقلال أيضا ، فى وقت كانت قاعدة قناة السويس تحت الاحتلال البريطانى المباشر ٠ ولاشك أن معارضة أمريكا وموقفها وكذلك تحالفها مع انجلترا يجعلها لاتستطيع أن تشجع بكل صراحة مطالب الحركة الوطنية المصرية ، حتى لاتتهم من قبل حليفتها ـ بريطانيا ـ بأنها تتدخل فيما لا يعنيها(٣٤) ٠

وقرر الضباط الأحرار عشية ٢٢ يوليو ١٩٥٢ القيام بالثورة ، وفى تمام الساعة ٤ من صباح يوم ٢٣ يوليو وبأقل قدر من اراقة الدماء ، والمقاومة ، فقد تمت السيطرة على مدينة القاهرة ، كما تم فرض السيطرة أيضا على زمام القوات المسلحة ، وبعد ذلك بثلاثة أيام تم طرد الملك فاروق خارج مصر ، وكانت طبقة الاقطاعيين والرأسماليين وأعوان الاستعمار يأملون فى أن تمد أمريكا لهم يد

المساعدة ، وسلك الضباط الأحرار فيما بعد ، سلوك قـــادة ثورة الصين(٣٥) ٠

وأشار ناصر فى احدى خطبه الى أن الثورة لم تكن لديها خطة مسبقة واضحة تماما(٣٦) وفيما بعد صاغ الضباط الأحرار أعمالهم فى شكل نظرية ٠

وبعد مضى عدة شهور على أحداث الثورة كانت حكومـــة الولايات المتحدة الأمريكية أكثر تفاؤلا ، وبدأت التقارير بعد ذلك تصدر تباعا باسم مجلس قيادة الثورة للضباط الأحـــرار(٣٧) ٠ ومعروف لدى أمريكا بأن مصر لم تصل الى تسوية مشكلتها مـــع انجلترا بسبب رفضها المستمر بعدم الانضمام لنظام الدفاع الأوربى الغربى والذى يرى اتخاذ قاعدة قناة السويس مركزا له ، لأن هذا الأمر سوف يؤثر على حريتها وسيادتها ٠

وقصارى القول كانت أمريكا تأمل بأن القادة الجدد فى مصر يكونون أكثر حكمة وموضوعية بقبول نظام الدفاع الغربى الأوربى وحتى يمكن لهم أن يحققوا طموحات الشعب المصرى ـ بالتعاون مع الغرب ٠

ولكن قادة مصر الجدد من الضباط الأحرار بدأوا فى اقامـــة علاقات دبلوماسية مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وكانت نيـــة أمريكا تجاه المصريين هى حصولهم على الاستقلال التام ، ومن ثم فان هذا الأمر يتطلب ضغطا مكثفا على الحليفة بريطانيا(٣٨) وكان المسئولون الأمريكيون يرون أن وجود الدول المستعمرة فى مشروع الدفاع الغربى مع وجود النفور والكره والبغضاء لهم فى منطقة الشرق الأوسط سوف يلطخ سمعتهم فى المنطقة ٠

ومع اهتمام المسئولين الأمريكيين بمسألة الدفاع عن الشرق الأوسط كانوا على استعداد للتأثير على الأمم المتحدة لتدعيم طموحات مصر فى السودان ، وتشجيع بريطانيا على ايجاد حل مرض لمصر ، وفى الامكان التوصل الى حل معقول اذا ماوافقت مصر على خطط السياسة الأمريكية فى مصر ، وفى الواقع فان المسئولين المصريين لم يميلوا الى الانسجام مع السياسة الأمريكية نظرا لموقفها من اسرائيل ، وكانت أمريكا تضغط على الأمم المتحدة حتى تؤيد سياستها الاستراتيجية بما يتلاءم مع مطالب مصر الشرعية(٣٩) ٠

واستنادا الى الموقف الوطنى ، فان مجلس قيادة الثورة فى مصر كان فى أشد الاحتياج الى الدعم الاقتصادى والفنى والعسكرى الذى كانت الولايات المتحدة تمنحه لكثير من الدول لتكون بمثابة مناطق ولاء لها(٤٠) ٠

وكان أمل مصر أن تسعى الولايات المتحدة الى تنفيذ الاتفاقية السابقة بتقديم مثل هذه المساعدات فى المستقبل ، ومن هنا بدأت تزداد روابط العلاقات بين الضباط الأحرار والولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن ماتزال هناك فى الأفق نقاط خلاف وجدل بين الطرفين ٠

وفى الواقع أن كلا الطرفين يعتقد أنهما يشاركان بعضهما الأمانى والمصالح الوطنية القومية التى ماتزال محل تأمل وتفكير ، ومن ثم نشأت بينهما علاقات تتفق وروح الثورة بينهما ٠ وكثير من المصالح المصرية تتفق مع الدبلوماسية الأمريكية ، والتى يوافق عليها الضباط الأحرار قبل القيام بانقلابهم العسكرى(٤١)

Coup d'etat وان كان هناك ثمة نقاط للخلاف مع الولايات المتحدة الأمريكية(٤٢) .

لقد أكد مايلز كوبلاند Miles Copeland الدبلوماسى الأمريكى السابق وعضو المخابرات الأمريكية C.I.A. بأن بعثة كيرمت روزفلت Kermit Roosevelt الدبلوماسى الأمريكى وعضو المخابرات الأمريكية أيضا بأن من الضرورى مساندة وتأييد القادة الجدد الذين سوف يتولون السلطة فى مصر ، وعقد كوبلاند عدة اجتماعات بين روزفلت ومندوبين عن الضباط الأحرار فى وقت مبكر فى شهر مارس ١٩٥٢ .

وفى شهر مايو ١٩٥٢ بعث السفير الأمريكى جيفرسون كافرى بتقرير مؤكدا قوله : « بأن الجيش قادر الآن على حسم الموقف وتشكيل حكومة وطنية تستطيع القوى الغربية أن تبدأ معها محادثات ناجحة »(٤٣) .

ولم تكن هذه المطالب قد تم حسمها بعد ، وحينئذ لقد أقام مجلس قيادة الثورة علاقات مع ممثل أمريكا فى القاهرة منذ الساعات الأولى للانقلاب العسكرى ، مؤكدين أن مكانة أمريكا معروفة لدى الضباط الأحرار ، هذا هو رأى مجلس قيادة الثورة ، وكذلك جاء فى تقرير سيمون لاكوتير Simone Lacouture والذى كتب « بأن عملاء أمريكا الأذكياء بالقاهرة اعترفوا بالضباط الأحرار قبل الانقلاب العسكرى الذى حدث بيومين أو ثلاثة » .

وأعلن رسميا محمد حسنين هيكل – صديق ناصر والمؤتمن على أسراره – بأن الملحق العسكرى البحرى « دافيد ايفانز David Evans كان على صلة وثيقة بالضباط الأحرار ليلة الانقلاب العسكرى ، وسأل عما اذا كان فى الامكان أن يبعث بتقرير الى

السفير الأمريكى كافرى والذى لم يكن موجودا وقتئذ بالقاهرة(٤٥) ولكن محمد نجيب قائد الانقلاب الاسمى صرح مؤكدا « بأن الضباط الأحرار يبغضون كلية الاتجاه الشيوعى وكذلك جماعة الاخوان المسلمين ، ويحافظون على مصالح القوى الكبرى خاصة بريطانيا ، وكذلك المحافظة على حقوق الأجانب بالاضافة الى الرعايا الأجانب فى مصر » (٤٦) ٠

هذه كانت رسالة موجهة بالدرجة الأولى - بناء على دبلوماسية محمد نجيب - الى أمريكا وممثلى الدول الأجنبية فى القاهرة وعلى وجه الخصوص ممثل انجلترا(٤٧) ٠

وصرح نفس المصدر بقوله : « بأن القادة المصريين يؤكدون باستمرار سيطرتهم على الموقف ، وأنه لم تحدث بعد أى أضرار بالملك فاروق أو أفراد أسرته الذين سمح لهم بمغادرة أرض مصر بكل احترام وتقدير » ومن ثم فان أمريكا تعتبر الانقلاب العسكرى الذى حدث أمرا داخليا ٠

ومن هنا حدث تقارب بين الجانبين ، ومن ثم فقد أصبح السفير الأمريكى همزة الوصل بين مجلس قيادة الثورة وممثل انجلترا فى مصر ، ولقد أوحى القادة المصريون الجدد الى السفير الأمريكى كافرى Caffery بأنهم يرغبون فى تنمية العلاقات مع الولايات المتحدة خلال هذه الفترة الأولى من الاحداث ، كما استلم كافرى رسالة من مجلس قيادة الثورة موجهة الى السفير الانجليزى ، مؤكدة بأن المصالح الانجليزية فى مصر ستكون فى أمان كما يؤكد مجلس الثورة حرصه بأن يؤمن مسألة خروج الملك فاروق ، وبذلك يستجيب لمطالب انجلترا بمساعدة فاروق فى تأمين خروجه من مصر ٠

وقد وصف محمد نجيب جيفرسون كافرى « بأنه من الدبلوماسيين القلائل الذين نثق فيهم »(٤٨) فى وقت كان الاتحاد السوفيتى قلقا من هدوء العلاقات التى كانت بين أعضاء الانقلاب العسكرى الذى حدث فى مصر وبين الاستعمار الانجليزى ـ الأمريكى(٤٩) ٠

ولقد امتدح محمد حسنين هيكل نظام الحكم فى الولايات المتحدة الأمريكية وقت حدوث الانقلاب العسكرى فى مصر ٠ هذا الحكم الأمريكى من وجهة نظر هيكل « بأنه النظام الأفضل فان ممثله كان الشخص الوحيد الذى شهد زوال النظام الملكى والذى شهد كذلك النظام الجديد فى مصر »(٥٠) ٠

وفى واشنطون ـ فى نفس الوقت ـ كانوا يترقبون تطور الأحداث ليتحدد موقفهم تجاه مجلس قيادة الثورة(٥١) كما اهتمت الصحف الأمريكية بهذا الحدث خاصة صحيفة النيويورك تايمز معترفة « نتيجة لتصرفات الملك وحاشيته قد فقد عرشه وطرد من البلاد ٠٠ وكان الملك قد دعم وساند قائد عام الجيش وكثيرا من الأعضاء الذين كانوا السبب المباشر فى الانقلاب العسكرى أكثر من مسئولية الضباط الصغار الذين كانوا يشعرون بمتاعب وهموم الدولة وتدهور أوضاع الجيش » ٠

ونفس الصحيفة كتبت فيما بعد مؤكدة « بأن الانقلاب العسكرى كان نتيجة لما وصلت اليه الأحوال المتردية فى كل بلاد منطقة الشرق الأوسط والناس فى المنطقة أصبحوا على وعى تام بكل الأوضاع المتردية والتى كانت ظاهرة للزائر الغربى »(٥٢) ٠

وكتبت صحيفة الواشنطون بوست Washington Post تصف حكم اللواء محمد نجيب « بأنه على شاكلة مصطفى كمال أتاتورك » ٠

أما صحيفة أخبار الولايات المتحدة U.S. News وكذلك صحيفة أخبار العالم World Report كتبت « بأن الملك فاروق كان غارقا فى الفساد والانحطاط والابتزاز ، وعلى هذا فان مصر فى عهدها الجديد سوف تنال احترام وتقدير الرأى العام ، وسوف تكون علاقتها بشكل أفضل مع بريطانيا »(٥٣) .

وما كان يعجب الأمريكيين فى الضباط الأحرار هو ما اقترحه جورج كيرك George Kirk أن كثيرا من الأمريكان كان لديهم انطباع عام بأن اللواء محمد نجيب شخصية جديرة بالاهتمام والاعجاب ، وملقى على عاتقه أعباء جسام ومشاكل عديدة فى الوقت الحاضر ، ألغى نظام الحكم الملكى ، وبدأ يغير نظام المجتمع القديم ووضع سياسة مصرية دون الارتباط بحلف الأطلنطى وصديق حميم للامريكان ، والسياسة الأمريكية لا تقر الوجود الانجليزى فى قاعدة قناة السويس على اعتبار أن هذا الوضع يمثل النظام الاستعمارى القديم »(٥٤) .

إن هذا النظام من الحكم يمثل انقلابا عسكريا والذى يوصف بأنه ثورة بيضاء قائدها اللواء محمد نجيب الذى يمثل النظام الحديث من الحكم الذى يتولى أمره الضباط الأحرار والذين ينظرون اليه كقائد للانقلاب العسكرى(٥٥) ويتصف بالتواضع ، وكقائد للضباط الأحرار وهو أكبرهم سنا وأرجحهم عقلا(٥٦) ، وعلى ماهر شخصية مماثلة له من العهد الملكى القديم والذى يتصف بالوطنية المفرطة ، ورئيسا متميزا للوزراء(٥٧) وهو الشخص الذى ابقى عليه مؤقتا من كل رجالات العهد الملكى ، ولكى يحافظ الضباط الأحرار على استمرار العلاقات بالغرب ، ويهدىء من مخاوفهم ، بأن صرح بقوله : « بأن التعاون مع الغرب أمر حتمى وضرورة ملحة »(٥٨) .

وفى نفس الوقت أعلن الضباط الأحرار رفضهم التام لدور الاخوان المسلمين ، وكذلك الحزب الشيوعى ، ورفض التعاون معهم وأن أحداث الشغب التى قام بها العمال فى كفر الدوار فى غضون شهر أغسطس ١٩٥٢ أملت على الحكومة أن تتخذ اجراء عنيفا ، حيث أعلن اللواء محمد نجيب في شهر سبتمبر « ان الجيش سوف يسحق أى شخص يسعى الى ترويج الاشاعات وأن الجيش سوف يسحق أى محاولة شيوعية فى البلاد » .

وذلك على الرغم من أنه لم يكن لدى الضباط الأحرار رغبة للأخذ بالنظم البرلمانية الغربية وكذلك نظم الأحزاب السياسية الغربية فى وقت تم فيه حل الأحزاب فى مصر فى أوائل ١٩٥٣ .

وصدرت عدة اجراءات سريعة خلال الأسابيع الأولى حتى يكون لدى الرأى العام المصرى انطباع ، بأن ملجس قيادة الثورة يعمل بروح الفريق الواحد للنهوض بالبلاد واصلاح الأحوال المتردية فى البلاد ، ولقد تم الغاء نظام العمل الصيفى والشتوى فى الحكومة كنظام مدنى ، كما تم الغاء مشاركة الحكومة فى المصانع والذى كان يمثل ٤٩٪ فى أسهم أى شركة أو مصنع(٥٩) وكان من أهم القرارات التى اتخذت هو قانون الاصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ حيث أعلنت الحكومة أنها سوف تلغى نظام الاقطاع الزراعى فى مصر(٦٠) .

وأخيرا فى ٣ سبتمبر ١٩٥٢ أعلن وزير الخارجية دين أشيسون Dean Acheson بأن حكومة الرئيس ترومان Troman تقدر تقديرا تاما موقف الثورة فى مصر .

وحدثت بعض التطورات المشجعة فى مصر متضمنة المبادىء لحكومة مصر ، بأن العلاقات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية

ستظل علاقات مودة وصداقة وتعاون ، والأمل أن تزداد العلاقات قوة بين الدولتين ويجب علينا أن ننظر الى مستقبل المنطقة وتنمية مصالحنا بها(٦١) ٠

وحدث تطور اجتماعى فى شتى المجالات خلال عامين ونصف وكان من نتيجة ذلك أن توطدت العلاقات المصرية ـ الأمريكية بما يخدم مصالح الدولتين(٦٢) ٠

وتطورت العلاقات المصرية ـ الأمريكية خلال هذه الفترة فى المجال الاقتصادى ، وبعد أن تولت الحكومة الأمريكية الجديدة ـ فى عهد ايزنهاور ـ أبدت رغبتها فى تطوير العلاقات الاقتصادية بين الدولتين ، وزيادة المعونات الفنية المقدمة لمصر(٦٣) وطبيعة هذه المساعدات كانت تستند الى برنامج النقطة الرابعة الموقعة مع مصر فى مايو ١٩٥١ ، وعلى هذا أصبح فى عام ١٩٥٢ هناك بعثة تجارية لتنمية العلاقات بين الدولتين(٦٤) ٠

وبعد قرارات شهر أكتوبر أعلن أن نصيب مصر فى برنامج النقطة الرابعة سوف يزداد ، وسوف يغطى البرنامج جميع أوجه النشاط الاقتصادى(٦٥) ٠

وحينما تولت حكومة الرئيس الجديد ايزنهاور Eisenhower الحكم فان المسئولين الأمريكيين فى الدولة شجعوا مصر باعتبار أنها قائدة العالم العربى وسوف تمنح مساعدات أكثر من ذى قبل ، وشجع مدير التبادل التجارى التنفيذى هارولد ستاسن Harold Stassen أمام مجلس السناتو بضرورة زيادة وتوثيق العلاقات مع مصر ، « وأنها لابد أن تتبوأ مكانة خاصة فى ظل نظام الحكم الجديد الذى يبدى استعداده لتوثيق علاقاته بالنظام الغربى والذى ينال تأييد الرأى العام المصرى »(٦٦) ٠

ولكن هذه السياسة كانت متوقفة على مدى تسوية المسألة بين مصر وبريطانيا وكثير من قرارات النهوض بالمجتمع قد تم اتخاذها كمثال لذلك ، ففى شهر نوفمبر ١٩٥٢ أعلن فى أمريكا بأن مجموعة من المصدرين الأمريكيين سوف يشاركون مجموعة مستثمرين مصريين لتنمية الموارد الاقتصادية المصرية خاصة الجانب الصناعى(٦٧) ٠

وفى وائل عام ١٩٥٣ كان المشروع العظيم ـ انشاء السد العالى ـ أصبح هناك نقطة رابحة جديدة يمكن تنفيذها فى منطقة الشرق الأوسط وهذا يدعم العلاقات بين البلدين ، وقدم الى مصر حوالى ١٠ ملايين دولار من جملة ١٥ مليون دولار خصصت للنهوض بالزراعة فى منطقة الدلتا والفيوم ٠ وكثير من المساعدات الصناعية قدمت الى مصر بواسطة هيئة ايريس(*) Earis لتنمية الريف المصرى بامداده بعدد من القاطرات وكذلك البرامج التعليمية فى المجتمع بهدف تنمية المجتمع والنهوض به ، ولكن بدون أن يكون ذلك أمرا ملموسا ٠

وبرغم كل هذا فان العلاقات بين البلدين كانت أشبه « بالمد والجزر » وغالبا ما كانت تؤدى الى الخراب الشامل فى ظل الحرب الباردة التى كانت تكتنف العالم كله ، وهذا ماسوف نتناوله بالتفصيل فى الفصل التالى ٠ وهناك ثلاث مشاكل قد حدثت ، وهذا أمر طبيعى للثورة ، وأولى هذه المشاكل العلاقات المصرية الانجليزية وهذا ماجعل تطور العلاقات المصرية ـ الأمريكية مرهونا بهذا الموضوع ومدى التوصل الى حل مرضى لمصر ٠

(*) Egyptian American Rural improvement service

والمشكلة الثانية ، رفض مصر التام لمشروع الدفاع الغربى ٠

والثالثة ، هى الحرب المرتقب نشوبها بين مصر واسرائيل التى أصبحت دولة تشكل خطورة بالغة لأصدقاء أمريكا فى مصر ، ومن ثم كانت أمريكا تحجم عن الاستجابة لطلبات مصر من السـلاح الذى تحتاج اليه للدفاع عن نفسها ، ولكى تكون فى مأمن من أى خطر لتؤكد لنفسها مصداقية دعوتها وسيادتها لحل كثير من المشاكل ، وتنسجم سياستها مع الموقف العربى ، والسياسة الأمريكية تجاه مصر لمدة عقدين تقريبا ، ومن ثم كانت هناك عقبات أمام تطـور العلاقات بين البلدين ، ولكن لم تصل هذه العقبات الى درجـة الخطورة وان كانت مع مضى السنوات كانت تشكل عقبة كبرى(٦٩) ولهذا كان لابد من التغلب على مثل هذه المشاكل ، والأمل أن تتطور العلاقات بين البلدين الى الأفضل فى القريب العاجل ٠

* * *

NOTES

(1) J. A. DeNovo, **American Interests and Policies in the Middle East : 1900 — 1939** (Minneapolis : University of Minnesota Press, 1963), P. 19.

(2) Hurewitz, **Middle East Dilemmas**, PP. 58 — 59. The formal designation of a United States representative to Egypt received Congressional approval only in 1864.

(3) A. T. Wright, **The Suez Canal, Its Past, Present, and Future** (London : Oxford University Press, 1939), PP. 135 — 36.

(4) Georgiana G. Stevens, «Middle East Perspectives,» **The United States and the Middle East**, ed. G. G. Stevens (Englewood Cliffs, N. J. : Prentice-Hall, 1964), P. 1.

(5) DeNovo, **American Interests**, P. 321.

(6) «The Americans in the U.A.R.,» **Egyptian Econemic and Political Review** (Cairo), January 1961. P. 3.

(7) DeNovo, **American Interests**, P. 379.

(8)Ibid., P. 368. The United States neither became a member of the League of Nations nor signed the Verailles Treaty of Peace.

(9) **Papers Relating to the Foreign Relaotions of the United States, 1922** (Washington, D.C. : G.P.O., 1938). 2 : 105.

(10) DeNovo, **American Interests,** P. 202.

(11) Brian Horrocks, «Middle East Defense — A British View,» **Middle Eastern Affairs,** February 1955, P. 33.

(12) Hurewitz, **Middle East Dilemmas,** P. 80.

(13) Egyptian Prime Minister Noqrashi's personal trip to the United States in 1948.

(14) U.S. Department of State, **Bulletin,** 23 June 1946, P. 18.

(15) Egyptian exports to the Untied States (Egyptian £ 1000): 1938 — 708; 1945 — 2,914; 1947 — 5,570; 1948 — 4,456; 1949 — 19,507; 1950 — 15,377; 1951 — 19,507 ; 1952 — 16, 784.

(16) Hurewitz, **Middle East Dilemmas,** P. 86.

(17) D.A. Farnie, **East and West of Suez** (Oxford : Clarendon Press, 1969), PP. 646 — 59.

(18) See Truman's Inaugural Address, **Documents on American Foreign Relations, 1949,** P. 7. See also «Point Four : An Experment in International Collaboration,» **Revue Egyptienne de Droti International** (1951), PP. 89, 339, for American-Egyptian Agreement.

(19) H.L. Hoskins, «The Guardianship of the Suez Canal,» **Middle East Journal,** April 1950, P. 143.

(20) An Egyptian blockade deprived the base of 18,000 of its Egyptian workers and interrupted its fresh water supply. Farnie, **East and West of Suez,** PP. 698 — 700. Other hostile acts resulted in an almost daily loss of British lives.

(21) Anglo-Egyptian Conversations on the Defense of the Suez **Canal and on the Sudan,** December 1950-November 1951; Egypt, no. 2. 1951, Cmd. 8419 (London : Oxford Universtiy Press, 1952), P. 148.

(22) Dean G. Acheson, **Present at the Creation** (New York : New American Library, 1970), P. 563.

(23) U.S. Department of State, **Bulletin**, 22 October 1951, P. 647.

(24) Ibid., PP. 647 — 48. At the same time, Britain offered a new proposal for the establishment of an international Commission, to include Egypt, that would investigate and advise on consttiutional developments in the Sudan. **Anglo-Egyptian Conversations**, PP. 43 — 46.

(25) **Crisis in the MiddleEast**, ed., Edward Latham (New York : H.W. Wilson, 1952), P. 95; **The Times**, 26 October 1951.

(26) Egypt, Ministry of Foreign Affairs **Records of Converntions, Notes and Papers Exchanged Between the Royal Egyptian Government and the United Kingdom Government, March 1950-November 1951**, Cairo, 1951, PP. 167 — 79. The timing o fthe proposal was especially bad since it was presented shortly after the Egyptian government, perhaps in a bid to regain popular support, had publicly declared its intention to abrogate the Treaties. See **Egyptian Gazette**, 9 October 1951.

(27) Statement by Acheson 21 October 1951; see U.S. Department of State, **Bulletin**, 29 October 1951, P. 686.

(28) Ibid., 19 November 1951, PP. 817 — 18.

(29) **New York Times**, 15 January 1952.

(30) Sir Anthony Eden, **Full Circle** (London : Cassel, 1960), 3 : 230; See also Acheson, **Present at the Creation**, PP. 726 — 27.

(31) **New York Times**, 1 and 2 January 1952; Acheson, **Present at the Creation**, P. 727.

(32) J.C. Campbell, **Defense of the Middle East** (New York : Frederick A. Praeger, 1960), P. 44.

(33) Eden, **Full Cricle,** 3 : 233 — 34; Acheson, **Present at the Creation,** P. 727. Reportedly, the United States advocated, «an immediate start on the withdrawal of (British) ...... force from Egypt» and British acceptance of a United Kingdom of Sudan and Egypt under King Farouk.

(34) **Eden Full Circle,** 3 : 238.

(35) Abdel Nasser, **Philosophy of the Revolution,** PP. 10, 22, 26, and 28; Keith Wheelock, **Nasser's New Egypt** (New York : Fredercik A. Praeger, 1960), PP. 10 — 13.

(36) **The Times,** 12 Ocotber 1970.

(37) Miles Copeland, **The Game of Nations** (London : Weidenfeld and Nicolson, 1969), P. 59.

(38) The Egyptian press did not hesitate to draw similarities between the American and Egyptian Revolutions : « America which fought to long for independence and freedom, realizes today the meaning of our struggle,» (**Al Ahram,** 5 September 1952).

(39) **Al Akhbar Al Gadida,** 5 November 1952. «All Islamic and Arab states have to confess that the American foreign policy toward the Middle East, if compared with that of other big powers has been nearer to justice and more in favor of small countries

(40) At this time the United States was the chief source for Egypt's development aid. Only after 1955 did the Soviet Union begin to extend substantial aid to developing countries.

(41) For example, H. B. Ellis, **Challeng in the Middle East** (New York : Ronald Press Co., 1960) and Miles Copeland, **The Game of Nations.**

(42) This opinion, which is shared by many high-level Egyptians interviewed by the author could not be substantiated. Jean and Simone Lacouture believed these rumors were well

founded. **Egypt in Pransition (London** : Methuen and Co., 1962), P. 212.

(43) Copeland. **The Game of Nations,** PP. 51 -- 53.

(44) Lacouture, **Egypt in Transition,** P. 212.

(45) Mohammed Hassanein Heikal, **The Cairo Documents** (Garden City, N.Y. : Doubleday and Co., 1973), P. 34.

(46) Mohammed Naguib, **Egypt's Destniy** (Garden City, N.Y. : Doubleday and Co., 1955), P. 110.

(47) Ibid., PP. 119 and 135; see also **Al Ahram,** 25 July 1952.

(48) Naguib, **Egypt's Destiny,** PP. 118 — 19; **New York Times,** 27 Jluy 1952; Clarence Sulzberger, in **A loing Row of Candles** (New York : Harper and Row), P. 805, quoting niterview with Caffery. **Al Ahram** commented further; «We find it our duty to pay tribute to the noble efforts of the American Ambassador to Egypt. Mr. Jefferson Caffery understood the spirit of the struggle and the meaning of the new era.» **Al Ahram,** 5 September 1952.

(49) **Tass** quoting Middle East leftist journals. It was felt that the advent of the new military dicacorship would open the way to Egyptian entry into the Middle East Defense Organization **The Current Digest of the oviet Press,** vol. IV No. 30, P. 13, 6 September 1952 ,and vol. IV, no. 31, 13 September 1952, P. 24.

(50) Heikal, **The Cairo Documents,** P. 36.

(51) **New York Times,** 27 July 1952.

(52) Ibid., 27 July and 3 August 1952.

(53) **Washington Post and Times Herald,** 25 July 1952; **US News and World Report,** 8 August 1952. See also **Time,** 4 August 1952 and 8 September 1952.

(54) George Kirk. «The Egyptian Revolution and National As-

pirations,» Survey of International Affairs, 1951, ed., Peter Calvocoressi (London : Oxford University Press, 1955), P. 220.

(55) El Sadat Revolt on the Nile, P. 31.

(56) Naguib, Egypt's Destiny, P. 29.

(57) Ali Maher had served as Prime Minister several times in the past. The fact that he had no links with any political party made him an acceptable candidate. He continued as Prime Minister until September 1952 when, after allegedly refusing to approve a sweeping land reform act, he was replaced by Naguib himself. Egyptian Gazette, 9 September 1952.

(58) Wheelock, Nasser's New Egypt, PP. 14 — 16; New York Times, 23 August and 28 September 1952.

(59) Egyptian Gazette, 25 and 31 Jluy 1952; Decree Amending Article 6 of Law 138, 1947.

(60) Decree Law No. 178, 1952 Land Reform; Al Ahram, 9 September 1952 : «No person may possess more than 200 feddans of agricultural land. «The Act also called for the extension of cooperative services in rural areas to improve the standards of the fellahin, whose political support was convassed.

(61) U.S. Department of State, Bullein, 15 September 1952 p. 406.

(62) For examples, see Prime Minister Ali Maher, Egyptian Gazette, 5 September 1952; Deputy Secretary of Defense William Foster, New York Times, 11 November 1952; Under Secretary of State Henry Byroade. U.S. Department of State, Bulletin, 1[illegible] December 1952, P. 933; Prime MinisterNaguib, Egyptian Gazette 21 September 1952; President Eisenhower, New York Times, 2[illegible] July 1953; Secretary of State Dulles, U.S. Department of State Bulletin, 15 June 1953, P. 851.

(63) **Egyptian Gazette**, 9 October 1952; see statement by Henry Byroade, **New York Times, 5** December 1952.

(64) It continued operations until the Suez Crisis in 1956.

(65) Acheson, **Present at the Creation,** P. 727.

(66) U.S. Department of State, **Bulletin,** 25 May 1953, PP. 740 — 42. See also comment by Henry Byroade, **New York Times,** 5 December 1952.

(67) **New York** Times, 12 November 1952. Agreement was reached with Egypt on 23 February 1953 for Arthur D. Little, Inc. to carry out a joint survey for which the United States allocated $ 240,000. U.S. Department of State, **Bulletin,** 9 February 1953, PP. 223 — 24. This study resulted in 33 special reports plus the book **Opportunities for Industrial Development in Egypt.** «Point Four and the UAR, » **Egyptian Economic and Political Review** (January 1961) : 15.

(68) U.S. Department of State, **Bulletin,** 6 April 1953, P. 498 and **New York Times,** 23 March 1953. EARIS projects included the construction and development of housing and community facilities health improvements, development of small industries and management training programs, vocational training, aid to agricultural cooperatives and extension services, the resettlement of landless farmers, improvementl of the water supply and the rural road system. «Point Four and the UAR,» P. 8; Wheelock, **Nasser's New Egypt,** PP. 99 — 102.

(69) F. Scott Fitzgerald, **The Great Gatsby** (Harmondsworth: Penguin Books, 1950). P. 188.

الفصل الثانى

موقف أمريكا بين مصر وبريطـانيا

ان قاعدة قناة السويس هى نموذج للانشاءات الدائمة لاداء مهمة مزدوجة تجارية ودفاعية ، ففى عام ١٩٥٣ قدرت تكاليفها ٥٧ر١ بليون دولار ، وكانت قاعدة عسكرية لما يزيد على ٠٠٠ر٧٥ جندى(١) • وتعد قاعدة قناة السويس من أكبر القواعد العسكرية البريطانية ، كما أنها من أقوى قواعد الدفاع الغربية(٢) •

وبعد أن أقدمت مصر فى أكتوبر ١٩٥١ على الغاء معاهدة التحالف المصرية البريطانية الموقعة فى عام ١٩٣٦ ، وأصبح التواجد الانجليزى فى مصر أمرا غير قانونى ، وهو يمثل وجودا بالقوة الجبرية . وتصاعدت روح المقاومة المصرية فى مواجهة الاحتلال البريطانى ، وازدادت بالتالى حدة المواجهة العسكرية البريطانية .

وان كان الرأى العام المصرى يميل الى حالة الدعة والسلام وكانت قاعدة قناة السويس من أهم قواعد الدفاع عن مصالح انجلترا ، وكذلك بالنسبة للدول الغربية بصفة عامة ، وفى الحقيقة فان معاهدة التحالف ــ تحت أى ظروف ــ مطلوب تعديلها ، ففى هذه الحالة يكون نهاية الوجود البريطانى فى مصر •

وقد رأى المسئولون الأمريكيون حتمية استمرار قاعدة قناة

السويس للدفاع عن المصالح الغربية ، وكانت طموحات مصر هى انسحاب القوات البريطانية من مصر بشكل نهائى ، وعندئذ صرح مساعد وزير الخارجية الأمريكى هنرى بايرود Henry Byroade بأن عدم امتثال بريطانيا لحل هذه المشكلة يعد بمثابة انذار لها وذلك بقوله :

« اذا ماحدث أى عدوان مفاجىء فانى أعتقد أن التوتر سيعم العالم العربى وكذلك سيمتد التأثير الى الشرق الأدنى ، كما سيؤثر هذا على كل مصالح الغرب فى العالم بصفة عامة »(٣) ٠

هذه المخاوف أكدها وزير خارجية أمريكا جون فوستر دلاس Dulles فيما بعد حينما صرح بقوله : « نحن لا نعتقد بأن قاعدة قناة السويس ستكون ذات أهمية لنا مالم يؤيد الشعب المصرى كل مطالبنا »(٤) ٠

وأمريكا تولى رغبة الشعب المصرى اهتمامها فى استعادة سيادته على قاعدة قناة السويس ، وانهاء حالة السيطرة الانجليزية ـ الفرنسية ٠ ولكن فى ظل الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتى ، فان أمريكا لا تنكر أهمية هذه القاعدة ٠

ومن هنا فان الولايات المتحدة اهتمت بشدة بتسوية المشكلة التى بين مصر وانجلترا(٥) ، واقترحت أن توازن بين مصالح مصر وطموحاتها ، وبين المطالب الاستراتيجية الغربية فى المنطقة(٦) ٠

وبناء على هذا فقد رحبت أمريكا برغبة الضباط الأحرار ومجلس قيادة الثورة باستئناف بحث المشكلة مع بريطانيا ٠ ومن هنا رأى مجلس قيادة الثورة دعم موقفه بالتخلص من جماعة الاخوان المسلمين وكذلك الحزب الشيوعى فى مصر ، وعلى هذا رأى مجلس قيادة الثورة بأن يسارع ببدء المفاوضات مع انجلترا بشأن

الجلاء التام ، ويرى عدم أرجاء هذا المطلب الوطنى ، وكان مجلس قيادة الثورة يريد أن يكسب الرأى العام المصرى بتحقيق هذا المطلب القومى الملح ، حتى يتفرغ بعد ذلك للمشاكل الاقتصادية(٧) ٠

ورأى القادة الجدد أن يبدأوا بمشكلة السودان أولا قبل البدء بمسألة انسحاب القوات الانجليزية من قاعدة قناة السويس ، وأعلن مجلس قيادة الثورة بأنه يبدى تفهما تاما لبدء المفاوضـــات مع انجلترا فى الوقت الراهن ، ولن يسمح بأى قوى خارجية يمكن أن تؤثر على مجرى المفاوضات التى تحقق طموحات الشعب المصرى ٠

وهذا الموقف من قبل مجلس الثورة جعل بريطانيا لاترحب ببدء المفاوضات اذا كانت ترى أن تقـــوم بعمل « صفقة شـــاملة Paskage deal ففى مقابل انسحابها من قاعدة قناة السويس لابد من ارتباط مصر بنظام الدفاع الغربى ، وهذا يعنى جعـــل قاعدة القناة ، قاعدة دفاع عالمية وليست مقصورةعلىبريطانيافقط ٠

واعترض مجلس قيادة الثورة على الاقتراح البريطانى رافضا اى تواجد أجنبى على أرض مصر مهما كانت الدوافع لذلك ، وزيادة على ذلك فان مجلس قيادة الثورة أصر على أن تحل مشكلة العرب واسرائيل ، وانسحاب القوات البريطانية أولا ، ثم يكون بعد ذلك التفكير فى التحالف مع الغرب فى مواجهة الاتحاد السوفيتى ، بهذا تحقق مطالب الغرب وتحل المشاكل المصرية ٠

وصرح مصدر مصرى مسئول بقوله : « ان العدان الداخلى الماثل احق بالحل أولا من العدوان المحتمل حدوثه من الخارج » اذ أن مصر تخشى من الاحتلال الانجليزى الواقــع بالفعـــل ، ومن اسرائيل التى تقع على حدودها أكثر من خوفهـــا من الاتحـــاد السوفيتى ٠

ومازال مجلس قيادة الثورة يعترف بأنه مصمم على أن يبدأ من حيث يكون حل المشكلة للغرب ، وخططه الدفاعية فى المنطقة ، وأن الغرب وخاصة الولايات المتحدة كانت قلقة لكى ترى سرعة انضمام مصر الى معسكرها ، ومن هنا صرح المسئولون المصريون بأن الصفقة الانجليزية لن تتحقق ما لم تنسحب القوات البريطانية أولا من مصر ، قبل أن تفكر فى الانضمام الى نظام الدفاع الغربى فى المنطقة ٠

ولجأ قادة مجلس الثورة الى اضعاف مركز بريطانيا ، وذلك بالتفريق بين التحالف الانجليزى الأمريكى ، وذلك بالتركيز على تنمية عوامل التعاون مع أمريكا فقط ، وأوجه الخلاف بين الحليفتين هو أن أمريكا تنكر استمرار حالة الاستعمار الانجليزى ، واستنادا الى هذه الحقيقة أدركت بريطانيا أنها لن تستطيع أن تدرأ بمفردها الخطر السوفيتى الذى يهدد منطقة الشرق الأوسط ٠

والحيلة الأخرى التى لجأ اليها مجلس قيادة الثورة هو الايحاء الى أمريكا بأنه من السهل عليها أن تكسب الى جانبها أعضاء مجلس قيادة الثورة الراديكالى ، كما رأى مجلس الثورة العودة الى العمل الفدائى ضد الاستعمار الانجليزى فى قاعدة قناة السويس لينهكه ويشغله(٨) وأن كانت هذه المرحلة بدأت بنوع من التملق ، والتحذير فى نفس الوقت(٩) مستخدمة نفس الأسلوب « فرق تسد Divide and Rule وهو نفس المنهج الذى كانت انجلترا تلتزم به فى استعمارها لكثير من الشعوب ٠

وضع القادة المصريون فى اعتبارهم تشجيع أمريكا لكى تمارس ضغطها على حليفتها انجلترا بالتوصل معها الى حل للمسألة المصرية ٠ ووجدت هذه التحركات المصرية صدى طيبا فى أمريكا ،

ووجدها المسئولون الأمريكيون فرصة لكي يفكروا في مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط بحيث تكون مقبولة لدى مصر أفضل من المقترحات الرباعية هذه التي سبق أن قدمتها انجلترا • ومعظم المشـــاكل والعقبات كانت بطبيعة الحال تتركز في مدى شـــكوك العرب في الغرب ، وكذلك في دعمه لاسرائيل ومساندته لها • وحينما طلب اللواء محمد نجيب دعم القوات المسلحة المصرية في أغسطس ١٩٥٢ كان يخيل لأمريكا أن الوقت لم يحن بعد للانزلاق في هذا الجانـب دون تمحيص كاف لها •

ولقيت الخطة المصرية كل نجاح في مسألة التفاهم حول مسألة الدفاع الغربي خاصة بعد أن أكد هذا التحرك المصري اقناع كثير من قادة العالم الغربي(١٠) •

واذا ماقدر لأنظمة الحكم في العالم العربي الارتباط بنظـام الدفاع الغربي فان هذا الارتباط يساعد على حل مشاكل المنطقة ، وفي النهاية سيكون الخطر أقل شأنا من ذلك المخطط السابق ، لأن أمريكا ستكون ضالعة في هذا النظام العسكري ، وفي الامكان أن يكون لمصر دور مؤثر في قيادة دول المنطقـة ، وفي الوقت نفســه يؤكد أهمية الدور المصري في نظام الدفاع الغربي •

وتلقى قادة مجلس قيادة الثورة تقريرا مشجعا من أمريكـــا استجابة لتصريح اللواء محمد نجيب(١١) • وفي غضون شـــهر أكتوبر طلب من المسئولين المصريين تقديم قائمة بالاحتياجات العسكرية الى الملحق العسكري الأمريكي في القاهرة ، وفي خلال شهر نوفمبر قام وليم فوستر William Foster نائب وزير الدفاع الأمريكي بزيارة القاهرة ، وطلب من مصر ارسال بعثة لها الى أمريكا للتعرف على طلباتها من السلاح • وكتب دين أتشيسون Dean Acheson في نفس الوقت الى السفارة بالقاهرة : أنه استنادا الى التعاون

مع أمريكا وقبول مصر عضوية الاشتراك فى نظام الدفاع الغربى ، العودة الى التفكير فى تقديم المساعدات العسكرية والاقتصـــادية الى مصر(١٢) ٠

وهذه التغييرات لايمكن التوصل الى حقيقتها وقت كتابة هذه الرسالة انما يمكن التأكد من محتواها بشكل اكيد ، وصرح محمد حسنين هيكل بقوله : ــ

« بأن ثمة اتفاقية سرية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية قد تمت منذ شهر فبراير ١٩٥٢ ، وقد وافقت أمريكا بأن تقدم لمصر أسلحة بما قيمته ٥ ملايين دولار »(١٢) وايا كان الموقف فان مايهم امريكا هو مسألة نظام الدفاع الأمريكى المقترح ويمكن دفع مجلس قيادة الثورة الى اتخاذ خطوة ايجابية لكى يتم هذا التعاون فى ظل روح التعاون والمساعدة ٠

واخيرا ففى خريف عام ١٩٥٢ سافرت البعثة العسكرية المصرية برئاسة على صبرى ، وناقش هذه المطالب العسكرية مع عمر برادلى Omar Bradly وجرت اجتماعات بين الطرفين ــ الأمريكى والمصرى ــ لمناقشة التفاصيل وفى نفس الوقت تم استطلاع رأى واتجاه البعثة المصرية بواسطة الجنرال أولمستيد G. Olmstead مدير برنامج المساعدات العسكرية الخارجية ، على أن يوضـــع فى الاعتبار التساهل مع المؤتمر الاسلامى ٠ وطبقا لرواية هيكل ، فان أولمســـتيد Olmstead لفت أنظار مستمعيه بموقف الاســـلام باركانه الخمسة ، ومدى تناقض ذلك مع الاتحاد السوفيتى والصين ٠

وبدون مقدمات فجر المستيد الموقف مع البعثة المصرية حينما ربط بين ذوع السلاح المطلوب ، وبين امكانية التحالف مع أمريكا

بصفة خاصة ، وفوجئت البعثة المصرية بهذا التلميح ، ورفضت اعطاء أى وعود كما كان يتوقع المسئول الأمريكى ، وعلى هذا توقفت المحادثات الأمريكية الخاصة بامداد مصر بالسلاح المطلوب ، وعاد على صبرى الى مصر خالى الوفاض دون أن يحقق شيئا ٠

ولقد علق أشيسون بعد ذلك قائلا : « بأن ادارة الدفاع أخبرتنا بأنه لم يدرج بعد امكانية تقديم مساعدات الى مصر بدون اشتراكها فى خطة الدفاع ومتطلباته فى المنطقة(١٥) وقد أكد بأن تقديم المساعدات العسكرية بدون اشتراك مصر فى خطة الدفاع ٠ هذا أمر معقد لايمكن فهمه وتنفيذه » ٠

وكان رد الفعل لدى مصر ازاء خطة الدفاع الغربية المقترحة والتى تمت مناقشتها فى الخرطوم مع عضو مجلس قيادة الثورة صلاح سالم الذى صرح بقوله : « رفض أى شكل من أشكال التحالف ما لم تتحقق كل الطموحات الوطنية »(١٦) ٠

وكان اللواء محمد نجيب أكثر مرونة ، ففى ديسمبر أجرى مقابلة حول موقف مصر من الحرب الباردة وصرح بقوله : « لقد تأكد لنا الآن انه لم يعد فى امكان أى دولة فى العالم أن تعيش بمفردها ، وهناك ثلاثة حلول لحصول مصر على حريتها : أن تظل مصر بمنأى عن أى أحلاف ، وان هذا فى نهاية الأمر من الصعب ان لم يكن من المستحيل أن ترتبط مصر بالاحلاف الغربية والتى هى بعيدة عن تفكيرنا ، كما أننا لسنا شيوعيين ، ولهذا فلا تفكير للانضمام الى المعسكر الشرقى ، وهذه هى طبيعة مصر التى تختلف عن الشعوب الشرقية الشيوعية »(١٧) ٠

وكان صريحا فى رؤياه فى كيفية الدفاع عن قناة السويس اذا ماتركت لمصر الحرية فسوف ندافع عنها بكل نفس ونفيس(١٨)

وفيما بعد ذكر محمد نجيب فى مذكراته بقوله : « نحن كشعب يعشق الحرية فاننا سوف نكون قادرين وراغبين فى التعامل مع الشرق اذا مادعت الضرورة الى ذلك ، وأن مشروع الدفاع الغربى عن المنطقة يتعارض مع المطالب الوطنية فى الوقت الراهن والأمريكـان فى امكانهم أن يكونوا حلفاء لنا بدلا من التحالف بطريق غير مباشر مع انجلترا وفرنسا »(١٩) ٠

والعلاقة بين الانسحاب الانجليزى والتعـاون المصـرى مع الغرب فى نظام دفاعه تجعل مصر تدخل فى حلقة مفرغة من الجدل والنقاش حول الحصول على حريتها وهويتها ٠

* * *

وعند هذا الحد رأى الضباط الأحرار أن تكون الأولوية لتسوية مسألة السودان مع بريطانيا ، حيث طلبت مصر « اما وحدة السودان مع مصر أو اعطاء الحرية السودانيين لتقرير مصيرهم بأنفسهم »

وهذه المبادرة من قبل مصر شجعت بريطانيا أن تبادر ببـدء المحادثات مع مصر ، وفى نهاية يناير ١٩٥٣ كانت العقبة أمـام المصريين هى توفير ١٥ مليون جنيه استرلينى ، وانسحاب القوات البريطانية من كوبرى الفردان الذى يعبر قناة السـويس بمدينة الاسماعيلية(٢٠) ٠

وعلى هذا فقد استأنفت المحادثات بين الجانبين ، وقد تـم التوصل الى حل فى وقت قصير حول مسألة السودان(٢١) وكانت احدى المشكلتين الكبيرتين بين مصر وانجلترا قد زالت من الوجود بعد مضى مايقرب من ربع قرن من الجدل حولها ٠

وقد رحب وزير خـــارجية أمريكا جون فوســـتر دلاس Foster Dulles بالتوصـــل لحل مسألة الســـودان وهى تعتبر اللبنه الأولى فى بناء نظام مترابط فى المنطقة بهدف وجود مجتمع حر(٢٢) ولقد أحدث هذا ارتياحا كبيرا فى الولايات المتحدة التى لعبت دورا مهما فى المحادثات التى جرت بين الطرفين ٠

وقد حدا هذا باللواء محمد نجيب بأن يمتدح السفير كافرى Caffery الذى ساعد فى التقريب بين وجهتى النظر وأعلن اللواء محمد نجيب « بمصداقية مساعى السفير كافرى فى تذليـل كثير من المشاكل التى اعترضت التوصل الى اتفاق بين الطرفين(٢٣) وعبرت الصحافة المصرية عن أهمية دور أمريكا ، وجل الشكر لدعم أمريكا فى هذا الموقف(٢٤) ٠

وكانت أولى الخطوات بالنسبة للسودانيين هى حرية تقرير المصير لأنفسهم وفى ظل تشكيل حكومة مؤقتة ، بحيث الا يكون هناك أى تاثير من قبل مصر أو انجلترا ، وهذه كانت القاعدة السائدة حتى عام ١٩٥٦ كما رحب جمـــاعة الاخوان المســـلمين باتفاقية السودان(٢٥) ٠

ومازالت المشكلة باقية مابين مصر وانجلترا ، وان كان هذا لايقلل من عمق العلاقات المصرية ـ الامريكية فى هذا الوقت بالذات وكانت احدى النتائج بداية انتخابات ايزنهاور بنظـرة جديدة الى منطقة الشرق الأوسط ، وبعض المواقع فى المنطقة بعد أن تقلـــد السلطة فى أوائل عام ١٩٥٣ ، وكان المسئولون الامريكيون يتمتعون بكل تقدير فى الدول الغربية بصفة عامة ، ومن هنا كانت الحكومة الأمريكية الجديدة تتمتع بتقدير مهم وخاص فى منطقة الشـــرق الأوسط ، وهذه المنطقة تدخل كلهـا فى نطـــاق نظام الدفـــاع

الغربى(٢٦) وفى الامكان أن يقوم الاتحاد السوفيتى بالقفز الى هذه المنطقة تماما كما كان يتوقع وزير الخارجية جون فوستر دلاس Dulles معبرا عن ذلك بقوله : « اذا كان جميع دول منطقة الشرق الأوسط فى متناول أعدائنا ، ومن هنا فان الاستئثار بهذه المنطقة يرجح كفة على أخرى »(٢٧) ·

وبدأت جولة دلاس Dulles واستاسن Stassen فى منطقة الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا بعد تسلم الرئيس ايزنهاور مقاليد السلطة بأربعة أشهر ، وقد شرح أهدافه حينما أعلن فى شهر مارس :

« ان الرئيس ايزنهاور مدرك تماما أهمية الشرق الأوسط وكذلك منطقة جنوب شرق أسيا ، ولهذا طلب منى بأن أذهب بنفسى شخصيا لمقابلة أصدقائنا فى حكومات هذه البلاد والتعرف عن قرب على شعوب هذه المناطق ، ولهذا فانى سوف أقوم بهذه الجولة بهدف التعرف على مشاكل هذه المناطق وسوف أستمع جيدا للمشاكل التى سوف تطرح على ، وسوف أحضر دون اعداد خطة أو برنامج مسبق انما سوف أسأل رؤساء حكومات هذه الدول عما يطلبون واسعى كذلك الى تجديد الصداقات القديمة ، والأمل كذلك كسب أصدقاء جدد وانى آمل أن أزيل كل ما شاب هذه العلاقات مع هذه الدول من سوء فهم ، والعمل على تقوية هذه العلاقات بين الولايات المتحدة وأصدقائنا فى هذه الدول »(٢٨) ·

ومن بين هذه المعقبات كان دلاس Dulles يفكر بأن ثمة سوء فهم اكتنف محاولة الغرب اقامة نظام دفاع عن هذه المناطق وتعد تركيا الركيزة الأولى فى اقامة هذا النظام ، فهى العضو المنتسب الى حلف الأطلنطى (N.A.T.O.) ومن ثم فتركيا سوف

تنجح فى اقناع جارتها من الدول العربية فى منطقة الشرق الأوسط والتأكيد على مدى أهمية نظام الدفاع الغربى فى المنطقة(٢٩) ٠

وبالرغم من كل هذا فقد قوبلت جهود تركيا بالرفض التام من قبل مصر ولهذا قامت تركيا بايفاد مبعوث فوق العادة بين القاهرة وبيروت وبغداد خلال المدة من شهر مارس الى شهر مايو ١٩٥٣(٣٠) ٠

دعت مصر الى عقد اجتماع بين الدول العربية فى مارس ، لمناقشة دعوة وآراء تركيا فى نظام الدفاع الغربى ، ولمناقشة زيارة دلاس وزير خارجية أمريكا المرتقبة فى شهر مايو القادم ٠

وشاركت الدول العربية فى هذا الاجتماع ولكن دون أن يمثلها رؤساء الوزراء أو وزراء الخارجية ، واحتجت مصر بشدة وأعلن وزير خارجية مصر محمود فوزى فى كلمة ألقاها فى مستهل عمل المؤتمر قائلا :

« أن مقاومة الدول العربية تكمن فى اتحادها ، ووحدة كلمتها وأن تخلص الدول العربية من الاعيب الاستعمار يكمن فى اتحاد العرب لكى يضمنوا الاستقرار لأنفسهم »(٣١) ٠

وكان رد الفعل المصرى شديدا وظاهرا للعيان دفاعا عن حرية الدول العربية ، وضمان وحدتها ، وفى الجلسة الثانية لهذا المؤتمر قبل زيارة دلاس الى القاهرة بأربعة أيام ، حضر وزراء خارجية الدول العربية للمشاركة فى هذا الاجتماع ، وقد اقر المجتمعون بالموافقة على خمسة موضوعات هى :

١ ـ على بريطانيا أن تحمل عصاها وترحل دون أية شروط مسبقة ٠

٢ ـ من حق العرب الدفاع عن انفسهم من خلال معاهدة الدفاع المشترك ٠

٣ ـ على الأمم المتحدة تقع المسئولية فى حل المشكلة الفلسطينية ٠

٤ ـ مناهضة واستنكار مساعة ودعم المانيا الغربية لاسرائيل

٥ ـ من حق الدول العربية التى ماتزال محتلة من قبل دول الغرب حرية تقرير المصير(٣٢) ٠

وخلال المدة من ١١ الى ٢٨ مايو ١٩٥٣ صحب دلاس خلال زيارته للقاهرة هارولد استاسن Harold Stassen مدير ادارة الأمن ، والذى زار من قبل منطقة الشرق الأوسط ودول جنوب شرق اسيا اثنتى عشرة مرة(٣٣) ٠

ولأول مرة تلقى أمريكا بثقلها فى المنطقة ، والاهتمام بأمر الدفاع عنها ، وكان كل مايشغل بال دلاس هو مسألة الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط ولكن مسألة الدفاع هذه أن نوقشت فى مؤتمر نيودلهى بقوله : « بأنى أعتقد أن مسألة الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط من الأهمية بمكان ، وان دول الشرق الأوسط من حقهم ـ دون خلاف ـ اقامة نظام الدفاع الذى يتناسب معهم ، وان كان ليس هناك صيغة معينة يمكن فرضها وانما الأمل هو توصل هذه الدول الى الصيغة المناسبة لهم دون تدخل خارجى »(٣٤) ٠

وفى القاهرة كان دلاس قد قابل ناصر مرة واحدة ، وطبقا لرواية محمد حسنين هيكل ـ صديق ناصر ومحل ثقته ـ كان قد

ناقشا ثلاثة موضوعات :

١ ـ الانسحاب الانجليزى من قناة السويس ٠

٢ ـ حاجة الجيش المصرى من السلاح ٠

٣ ـ مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط المقترحة من قبـــل الغرب ٠

وجاء رد جون فوستر دلاس على هذه الموضوعات بقوله :

« ان مسألة بيع السلاح الى مصر يكون من اليسير علينا لو أن مصر توصلت مع بريطانيا الى اتفاق ، خاصـــة اذا كان هذا الاتفاق فى اطار نظام الدفاع الغربى عن منطقة الشرق الأوسط »(٣٥)

وتوضيحا لوجهة نظر مصر فقد أعلن ناصر بقوله : « طالما يوجد ٨٠٫٠٠٠ جندى بريطانى فى هذا البلد ، فان مصر لن تقبل التعامل مع بريطانيا بأى شكل من الأشكال لأن عدم انسحاب القوات البريطانية سوف يضعف موقف مصر ، فضلا عن أن هذا النظـام المقترح يتعارض مع مسئولية مصر عن قاعدة قناة السويس ، ويكون واضحا أن هذا النظام فرض على مصر فرضا خاصة وأن القوات البريطانية مازال قابعة على أرض مصر ، ولقد افتـــرض مجلس قيادة الثورة ضمنيا بأن احتلال مصـــر بالقوات البريطـــانية يعنى استمراره بشكل مختلف بمعنى أنه سيكون مشتركا مع قوات دول أخرى ٠

ومضى ناصر فى شرح وجهة نظره ٠ بأن الشيوعية هى تهديد خارجى محتمل حدوثه فى حين أن الاحتلال البريطانى قائم بالفعل ، كما أكد بقوله ٠

« بأن قبول انجلترا لهذا الحل يشجع الرأى العام المصرى على مواجهة الجماعات المتطرفة خاصة الجماعات الشيوعية » ٠

وأكد ناصر « بالرغم من هذا بامكانية التعاون بين مصر والغرب بشرط أننا غير مستعدين لمناقشة مسألة الأحلاف أو أى اجراءات أمنية ما لم نحصل على حريتنا أولا » ٠

وقد علق ناصر بعد ذلك بست سنوات بقوله : « لقد أخبرت دلاس Dulles بكل صراحة بأنه لا يوجد أى عدوان خارجي لسبب بسيط وهو أن الحرب الحديثة بالأسلحة النووية قد تغيرت تماما ، واحتمال حدوث عدوان خارجي أمريكى يكون مستحيلا ، وقد أضفت بقولى : بأن وسائل الدفاع قد تغيرت بشكل جذرى ، ولهذا فقد أخبرته بأنه فى امكانه الضغط على أى حكومة عربية بطريقته الخاصة بالانضمام الى نظام الدفاع الغربى ، وبالتالى يمكن الحصول على أى امتيازات على أرض هذه الدولة ، ومن ثم فلا فائدة ترجى من هذه الترتيبات الدفاعية ، وقلت أيضا بأنه يدرك أن أى حكومة تقبل الامتثال لضغوطهم سوف تفقد مساندة الرأى العام ومن ثم تفقد فرض نفوذها على الشعب »(٣٧) ٠

واضاف ناصر الى قوله : « بأن القواعد العسكرية سوف تفقد أهميتها حينما تتعرض لأعمال المقاومة الداخلية » ٠ وبعد انعقاد المؤتمر العربى الأخير ، قامت ثورة العراق ، الأمر الذى دعا ناصر أن يستشهد بها ، وقد أكد بما لايدع مجالا للشك بأن القواعد العسكرية المقترح انشاؤها لاقيمة لها فى عصر الحرب النووية كما أكد أيضا بأن أى تهديد حقيقى سيكون من الداخل ، ومضى ناصر يحذر دلاس بأن أى حكومة عربية سوف تستجيب لضغوط الغرب بأنشاء قواعد على أراضيها بأنها سوف تخسر شعبها ٠

أن نص المحادثات التى أجراها جون فوستر دلاس مع ناصر وقادة وزعماء الدول العربية التى قام بزيارتها أثناء زيارته لمنطقة الشرق الأوسط قد شملها التقرير عن منطقة الشرق الأوسط الذى أعده فى أول يونيه ١٩٥٣ متضمنا كذلك مذكراته التى أحاطت برحلته(٣٨) • وجاء فى التقرير بأن مناقشات دلاس عن المصالح الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط مرتبطة بضرورة الاهتمام بمسألة الدفاع عن المنطقة ، مؤكدا بأن مخاوف الشعوب العربية من الخطر الصهيونى أكثر من خوفهم من الشيوعية وخطرها •

ان خطر الشيوعية الذى يهدد أمن المنطقة من المحتمل حدوثه فى حين يوجد خطر قائم بالفعل • وكثير من أنظمة الدول العربية منهمك للغاية فى النزاع مع اسرائيل أو مع بريطانيا أو فرنسا فى حين لايهتمون بالخطر من قبل الاتحاد السوفيتى الشيوعى ، وان كان قد لاحظ أن الدول القريبة من الاتحاد السوفيتى والتى تشكل « الحزام الشمالى » من العالم العربى يخشون من خطر الشيوعية ، وثمة غموض يحيط بنظام الدفاع الغربى ، ولذلك فمن المحال فرض هذا النظام ، وعلى هذا فان الخطر يكمن فى هذا النظام الغربى وليس الخطر الشيوعى •

وكفترة انتقالية فقد اقترح « بأن الولايات المتحدة الأمريكية من المفيد لها تقوية دفاعات هذه الدول العربية التى تريد ذلك ، ليس بهدف استخدامها ضد بعضها البعض أو ضد الغرب بل تستخدمها فقط فى مقاومة الخطر الشيوعى الذى يهدد العالم الحر »(٣٩) •

واعترف فوستر دلاس وزير الخارجية الأمريكية بقوله : «برغم هذا فان دول هذه المنطقة يكتنفها الشك فى نوايا الولايات المتحدة نظرا لارتباطها بقوى الاستعمار الغربى » •

واضاف الى قوله : « بأن سياسة الولايات المتحدة لاغموض فيها فى هذا الجانب ، وعلى هذا فان القوى الغربية تستطيع أن تكسب أكثر مما تخسر فى أى تطــورات قد تحــدث فى أنظمة الحكم »(٤٠) ٠

وفى مذكرات دلاس الخاصة حذر بقوله : « بأنه يجب علينا قبول الحقيقة القائلة بأن الموقف السياسى فى الدول العربية يرفض ـ فى الوقت الراهن ـ الارتباط بأى نظام دفاعى مع قوى الغرب ٠٠ ويجب علينا لهذا الاعتبار تجنب فقدان الحماسة لعدم وجود الدليل القــاطع لما ندعيــه ٠ ومن ثم فلابد من ايجــاد حــل للمشــكلة المصــرية مع بريطــانيا ، وذلك بالضــغط على انجــلترا لبدء محادثــاتها مع مصــر ، اذ مــا تزال مصر غير مقتنعة بمشروعنا ووجهة نظرنا الدفــاعية ، وفى نفس الوقت لفت نظر المسئولين المصريين الى خطورة عدم اســتخدام القناة بدون مساعدة من الخارج ، وفى نفس الوقت كان يدرك أهمية الرأى العام المصرى لدعم الضباط الأحرار فى حالة التوصل الى حل قبل وعد القوى الغربية بامكانات التعاون معهــا ، ان اللواء محمد نجيب ومن معه كانوا فاقــدى الثقــة فى انجلترا ، وكانوا يخشون التورط فى مشكلة ما أكثر من ارتباطهم بالغرب دفاعا عن أمن مصر(٤٢) ٠

ولهذا فان دلاس قد أشار الى نقطة محددة بالذات ، وهى الى أى مدى يمكن التوصل الى تسوية مسألة مصر مع انجلترا حتى تتمكن مصر من الارتباط بالغرب بما فى ذلك بريطانيا التى يمكن لها اعادة احتلال القناة واستخدام القاعدة فى حالة حدوث أى خطر ٠

وقد اقر وزير خارجية أمريكا : بأن تشجيع اسرائيل والارتباط المضطرد معها ليست هذه هى المشكلة ، تماما كما أشار محمد نجيب بأن مشكلته تتركز مع انجلترا ليس الا ، ولكن دلاس قد تساءل : الى أى مدى يمكن تقديم دعمنا ؟

ولقد سجل دلاس فى مذكراته الخاصة عن رحلته الى دول الشرق الأوسط مركزا على مصر بصفة خاصة : « بأن دلاس قد توصل الى حل لمشاكل منطقة الشرق الأوسط بما يساعد على قيام نظام الدفاع الغربى فى المنطقة ، وذلك بأن تواصل الولايات المتحدة الأمريكية ضغطها على انجلترا لتسهيل مهمة أمريكا التى لها ثقل قوى بجذب اللواء محمد نجيب الى جانبها ، ومن ثم يجب وضع هذه الملاحظات موضع التنفيذ عقب عودتى الى واشنطون ٠ وفى مصر مازالوا ينظرون الى أمريكا ماذا هى فاعلة » ؟(٤٣) ٠

وعقب عودة دلاس الى الولايات المتحدة عكف على دراسة الموقف لايجاد حل لمشكلاته العديدة حتى يمكن انشاء مشروع الدفاع الغربى فى المنطقة بكل بساطة وتركزت خطته فى جانبين : تسهيل مسألة التوصل الى حل بين مصر وانجلترا وكذلك محاولة حل المشكلة الاسرائيلية العربية حلا شاملا ، مما يساعد على تطوير وتنمية حالة اللاجئين الفلسطينين ، حسب خطة جونستون Johnston

وكانت خطة أمريكا الدفاعية ترتكز على مصر بعد ما تتوصل الى حل مشكلتها مع انجلترا ، وكثيرا من المشكلات الأخرى ، ولقد وجد ترحيبا واستعدادا طيبا لدى دول الحزام الشمالى . وقد ابدى دلاس تأييده الكامل لمسألة الدفاع الداخلى لهذه الدول مما يساعدها على تنمية مصالحها العسكرية والاقتصادية وفى نفس الوقت يخدم مشروع الدفاع الغربى فى المنطقة(٤٤) ٠

وكانت زيارة دلاس وزير الخارجية وبرفقته استاسن قد تركت اثرا على المسئولين المصريين بصفة خاصة وكذلك برنامج وزارة الخارجية الامريكية لرعاية مصالحها فى مصر خلال فترة الحرب الباردة ، وهذا يؤكد أهمية مصر بالنسبة لمصالح أمريكا بها ومن هنا يكون تقدير حجم المساعدات المقدمة لمصر ٠

ولقد وجد الضباط الأحرار ـ قادة مصر ـ أنهم أمام موقف متناقض حينما صدموا من تصريحات الجنرال أولمستيد Olmstead الذى أساء فهم مسألة الدفاع عن دول المنطقة (٤٥) ٠ وقد اعترف الآن بأن المسئولين الامريكيين أدركوا أهمية مصر وكذلك دول العالم العربى فى أى نظام دفاع عن المنطقة ٠

وبعد أن قدم دلاس تقريره الى حكومته ، بدأ اللواء محمد نجيب يؤكد على نقطة الضعف فى نظام الدفاع الغربى المقترح بأنه لايشمل العالم العربى كله بقوله : « ان نظام الدفاع الغربى عن المنطقة بتشكيل من : تركيا واليونان ويوغسلافيا ، ولكن لن يكونوا هم الأساس فى هذا النظام ، وحتى دول الحزام الشمالى لن تكون حجر الزاوية فى خطة الدفاع هذه »(٤٦) ٠

وبدأت مصر تحاول احياء التحالف العربى ، اذ كانت ترى فى ذلك حلا لمسألة الدفاع عن دول هذه المنطقة ، مما دفع دلاس الى الاعتقاد بأن الدول العربية بدأت خطة الدفاع من داخلها كمرحلة أولى ٠

كل هذه الجهود لم تكلل بالتوفيق والنجاح فى محاولة كسب تعاطف أمريكا مع دول المنطة بدلا من اهتمامها بدول الحزام ٠

وتقديرا للدور الأمريكى بهدف ايجاد حل للمشكلة المصـــرية مع انجلترا ، فحقيقة الأمر كانت أمريكا فى حيرة مابين الأخذ بالحل الخاص والحل العام ، وهذا ماكان يشغل فكـــر وزير الخارجيـة الأمريكية ، ليس حلا بالشكل الساذج لكثير من مشاكل منطقة الشرق الأوسط ، ولهذا الاعتبار فقد كان يتم اختيار ساسة أمريكا المناسبين لحل هذه المشاكل ، ومن ثم فقد كان هؤلاء الســاسة الدبلوماسيون يتمتعون بتقدير خاص ٠

* * *

وحينما بدأت المفاوضات بين الجانبين : المصرى والانجليزى فى أوائل عام ١٩٥٣ ، وكان التركيز الشديد وبالدرجة الأولى على امكان عودة الغرب لاحتلال الشرق مرة أخرى ، خاصة قاعدة قناة السويس ، وكان الغرب يأمل فى امكانية التوصل الى حل مشكلة السودان ، فان ذلك يهىء المناخ المناسب لاقرار مشروع الدفاع عن المنطقة ، ولهذا تباطأت انجلترا فى استئناف المفاوضات(٤٧) ولكن فى شهر مارس اتفق الجانبان المصرى والانجليزى على حل مسألة السودان على أساس اختيار الاستقلال التام أو امكانية الاتحاد مع مصر(٤٨) ٠

ومع بدء المفاوضات بين الجانبين – المصرى والانجليزى – لحل المسألة المصرية ٠ أعلن اللواء محمد نجيب « بأنه يحدوه الأمل فى التوصل الى حل » ٠ ولكن سرعان ما انهارت المفاوضات بيــن الجانبين ٠

وكانت انجلترا تأمل أن تسارع أمريكا بالمشاركة فى المفاوضات لأن وجودها كطرف مراقب قد يقنع مصر بقبولها هذه الصفقة ٠ وقد وافق الرئيس ايزنهاور Eisenhower على مشاركة أمريكا فى

المفاوضات بشــرط أن توجــه الدعــوة اليهــا من كـــلا الطرفين المتفاوضين(٤٩) ٠

وبالرغم من هذا فقد رفضت مصر رفضا تاما مثل هذا الاقتراح اذ كانت تخشى من وجود دولتين عظيمتين تعملان معا ضد رغبــة مصر ووجهة نظرهــا ، ولهذا فقد رفضـــت أمريكا المشــاركة فى المفاوضات(٥٠) ٠

وبعد مضى شهرين قام خلالهما السفير الأمريكى كافـــرى Caffery بمحاولة استئناف المفاوضات بين الجانبين فى وقت كان ناصر قد أدلى بحديث صحفى جاء به !

« انك تسأل عن سياستنا ، ان مطلبنا يتركز فى الجلاء والاستقلال التام ، وفى نفس الوقت نريد استرداد منطقة قاعدة قناة السويس وأن تسلم الينا وهى تعمل بكل كفاءة ، ونريد أن نناقش انجلترا عن كيفية أن تكون قاعدة مصرية ــ نحن ضباط فى الجيش ، ونتسم بالواقعية وان كنا ندرك يقينا بأننا لن نستطيع أن ندير قاعدة القناة بكل كفاءة كما هى الآن ٠ ونحن نعرف أننا نحتاج الى معدات فنية ، وبما أنها الآن قاعدة معدة اعدادا انجليزيا ، ولهذا فنحن ــ طبيعيا ــ سنحتاج الى معدات انجليزية » ٠

وجاء فى بقية هذا الحديث الصحفى بأن ناصر قد أشـــار بطريق غير مباشر بعدم رغبة مصر فى الارتباط بحلف الأطلنطى ، حتى اذا ما حدث أى تعاون ممكن مع أصدقائنا بمجرد التوصل معهم الى تسوية للمسألة المصرية ٠

وقد أكد ناصر بقوله : « بأن مصر سوف توافق على ابقـــاء القاعدة فى حالة استعداد تام فى حالة نشوب حرب ، ولكنه رفض

أن ترتبط مصر بأى نوع من أنواع الأحلاف العسكرية الغربية كشرط أساسى لانسحاب انجلترا من مصر »(٥٠) ٠

وهذا الموقف المصرى كان عاملا مشجعا لاستئناف المحادثات فى ٢٦ أبريل ١٩٥٣ والتى استغرقت ست جلسات لتنهار فى نهاية الأمر طبقا لوجهة نظر اللواء محمد نجيب ٠

وقررت انجلترا بأنه يجب على مصر أن توافق أولا على بعض الترتيبات العسكرية التحالفية قبل أن تسحب قواتها من قاعدة قنـاة السويس وقرر مجلس قيادة الثورة من جانبه بأنه يجب أن تسترد مصر استقلالها قبل أن توافق على أى شكل من أشكال التحالف مع الغرب وأن حكومة مصر الواقعة تحت الاحتلال لاتستطيـــع أن تتفاوض بشأن التحالف مع الدولة التى تحتل مصر بالفعل أو مع دولة متحالفة مع دولة عظمى مثل الولايات المتحدة ، تماما سيكون الأمر مثل حديث المسجون مع السجان ــ حديث لا طائل منه ــ وترفض مصر كذلك التحالف مع وسطاء لمجرد كلمة شـــــرف منها (٥٢) ٠

لقد أعلن المسئولون المصريون عن وجهات نظرهم المتشددة قبل أن تهم بعثة دلاس ـ استاسن Dulles — Stasen بزيارة مصر وكان تشدد المصريين فى موقفهم بهدف الايحاء الى دلاس بـــأن الموقف جد خطير ، ولكى تزاول أمريكا ضغطها على انجلترا لابداء المرونة حين بدء المفاوضات معها ٠

ومهما كان الموقف فان القادة المصـــريين كانوا يأملون فى الحصول على مكسب من أمريكا ، ولقد أوضح وزير الخـــارجية دلاس فى أول يوم بعد وصوله مصر بقوله : « بأن الولايات المتحدة ستسعى جاهدة ببذل كل ما فى وسعها لمساندة مصـــر ودعمها ، وليكن معلوما بأن الحـل سوف يتضمن السيادة الكاملة لمصر » ٠

وبرغم ذلك فقد أكد دلاس على أهمية قاعدة قناة السويس بكل امكاناتها واستعداداتها وتجهيزاتها الميكانيكية ، وأنها سوف تبقى كما هى فى حالة جيدة للعمل ، بل وعلى أتم استعداد للعمل مستقبلا فى حالة التهديد بالحرب(٥٣) ٠

وهذه النقطة هى التى أبدى ناصر عندها ـ فى بادئ الأمر ـ مرونة ، لأن دلاس أكد على مدى حاجته لبقاء قاعدة القنا ةمستعدة فى حالة نشوب حرب مع الحاجة لدعم انجلترا لادارة القاعدة ، وبهذا هدأ من موقف مصر المتشدد وزيادة على ذلك تحديد المشاكل بشكل طبيعى ، وان يكون بقاء انجلترا بالقاعدة محددا بزمن معين ، وهذا كان موضوع الخلاف فى المحادثات بين مصر وانجلترا ٠

وكان دلاس يشير فى التقرير الذى قدمه للأمم المتحدة عن زيارته لمنطقة الشرق الأوسط بالانفراج من جانب انجلترا لابرام هذه الصفقة ، وبالاضافة الى هذا فقد استنكر نظام الاستعمار الذى لم يعد يلائم روح المستقبل ، فيما يتعلق باقامة نظام الدفاع الغربى عن منطقة الشرق الأوسط ٠

وهذا مايدفع مصر دائما أن تقاوم وترفض الحلول الانجليزية المقدمة منها(٥٤) واذا كان الأمر كذلك فانها ستكون عاملا قويا لفشل المفاوضات فى القاهرة وتمكن المسئولون فى مصر وأمريكا من التغلب على كثير من العقبات التى حالت دون استمرار المفاوضات(٥٥) ٠

وفى مرحلة لاحقة عقب زيارة دلاس للمنطقة تمكنت الدبلوماسية الهادئة التى اتبعها السفير كافرى أن يعيد المفاوضات مرة أخرى ، وكان للاتصالات التى أجراها نهرو Nehru رئيس وزراء الهند ، ومحمد على رئيس وزراء باكستان بين الطرفين ـ

مصر وانجلترا ـ الأثر الطيب ، وجرت اتصالات دبلوماسية خلال شهر يوليو ١٩٥٣ اذ وعد الرئيس أيزنهاور والرئيس نجيب بـأن ثمة مساعدات اضافية أمريكية سوف تكون عقب التوصل الى حل للمشكلة(٥٦) مما جعل الطرفين : المصرى والانجليزى يسـتأنفان المحادثات ٠

وقد أبدت انجلترا رغبة أكيدة فى التوصل لتسوية خاصة بعد لقاء المسئولين الأمريكان فى شهر يوليو الماضى والتعجيل بتوقيع معاهدة مع ليبيا ، بحيث تعطى لانجلترا الحق فى الابقـــاء على استعداداتها العسكرية كما هى لمدة عشرين عاما قادمة ، وعلى هذا فيمكن لانجلترا الاستغناء عن معداتها الفنية الموجودة بقاعدة قناة السويس(٥٧) وأصبحت قواعدها فى ليبيا بديلا لها ٠

وفى شهر أكتوبر خولت مصر لانجلترا « الحق فى العودة الى قناة السويس بدون قيد أو شرط » فى حالة حدوث هجوم مفاجىء ضد أى عضو فى معاهدة الدفاع العربى(٥٨) ٠

وبالرغم من هذا فقد ظهرت مشكلتان قبل انتهاء الشهر :

ـ الأولى : كانت بريطانيا فى حاجة الى الابقاء على المعدات الميكانيكية والفنية فى حالة جيدة ٠

ـ الثانية : نظرا لتطور الأسلحة كانت انجلترا فى حاجة لفرض سيطرتها على قاعدة قناة السويس وأن تعيد تنشيطها فى حالـــة حدوث هجوم مفاجىء على تركيا أو ايران(٥٩) ٠

واضطر المسئولون الانجليز ـ تحت تأثير حزب المحافظين ـ الموافقة على وجهات نظر الأمريكيين ، وضغوط المصريين وتشددهم لحل مثل هذه المشاكل(٦٠) ٠

وعلى هذا فقد وافق رئيس الوزراء ونستون تشرشل أمام مجلس العموم البريطاني فى ديسمبر ١٩٥٣ على وجهات النظر هذه ، بقوله :

« ان موقفنا يعتمد على مدى تفهمنا للمشاكل بموضوعية وان الحل لن يفرض علينا بالقوة من قبل عدونا أو من قبل بعض أصدقائنا »(٦١) .

وتعرض المسئولون المصريون الى هجوم داخلى شديد من قبل عدة فئات من الشعب . وكانوا متشددين فى موقفهم ، واستأنف الفدائيون حرب العصابات فى منطقة القنال فى أوائل عام ١٩٥٤(٦٢) ونشأ صراع بين اللواء محمد نجيب وناصر فى شهر فبراير من نفس العام . وكان هذا من أسباب عدم التوصل مع بريطانيا الى تسوية المسألة المصرية .

ومع اتساع هوة الخلاف سعت أمريكا الى الضغط بقوة حتى تمكنت من عودة الأطراف المعنية الى الاجتماع مرة أخرى الى مائدة المفاوضات ، وقد بذلت جهود مضنية لتبديد مخاوف مصر من عودة انجلترا مرة ثانية الى قاعدة قناة السويس .

وقد أوضح هنرى بايرود Henry Byroade مساعد وزير الخارجية الامريكية مغزى هذا الرأى بقوله : « ان مشكلتنا الأساسية هى الاستماع الى أطراف الخلاف جيدا ، وبهدوء وتقريب هوة الخلاف بين قوى الشرق والغرب وحرصنا على أن يكون الموقف واضحا أمام الأطراف المعنية ، وذلك بالتأكيد على أن الاستعمار القديم قد اختفى نهائيا وزال ، وفى نفس الوقت نستطيع أن نشجع الفهم الصحيح للعلاقات الدولية الجديدة التى تعتمد بالدرجة الأولى على التعاون فى اطار من الحرية التامة »(٦٣) .

وأخيرا حاولت مصر كسر الجمود الذى وصلت اليه المفاوضات فى فبراير ١٩٥٤ ، لقد حدث هذا عقب استقالة نجيب كرئيس للجمهورية واعلان ناصر كرئيس لمجلس قيادة الثورة ، وكرئيس للوزراء(٦٤) ٠

وقد وافق ناصر ـ رئيس الوزراء الجديد ـ على عودة القوات الانجليزية تلقائيا الى قاعدة قناة السويس فى حالة حدوث عدوان على تركيا أو أى عضو فى اتفاقية الدفاع العربى المشترك ، ولكن فى حالة العودة فقد طلب ناصر من بريطانيا ألا تصر على ارتداء جنودها للزى العسكرى(٦٥) ٠

وفيما يتعلق بانتساب تركيا الى حلف الأطلنطى (N.A.T.O) فهذا أمر فى غاية الأهمية بالنسبة للغرب ومصالحه فى حوض البحر المتوسط(٦٦) ولكن بقيت انجلترا متمسكة بموقفها ، وكذلك ناصر مصر على موقفه الصلد فى مواجهة القوة العالمية وصراعها فيما بينها ، وفجأة فى نهاية شهر مايو اضطرت كتائب الفدائيين لمعاودة نشاطها فى منطقة قناة السويس ضد القوات الانجليزية والتى استمرت قرابة خمسة أشهر(٦٧) ٠

ولكن حدث انفراج فى الموقف حينما خضع رئيس الوزراء ونستون تشرشل ، وأنتونى ايدن Anthony Eden للضغوط الأمريكية وأخيرا وافقوا على وجهة نظر مصر ٠ وكان واضحا مدى الضغوط الأمريكية على رئيس الوزراء ، وذلك من خلال البيان الذى القاه أمام مجلس العموم البريطانى والذى جاء به : « انى مقتنع تماما بأن الولايات المتحدة لها مصالح استراتيجية فى مصر مثل مصالحها فى قناة السويس ، وحاجتها لمثل هذه المسائل يجعلها لاتستطيع صبرا مع بريطانيا ٠

وعلى الرغم من الأهمية الاستراتيجية لمصر ولقناة السويس فقد زادت مع التطور الهائل للحرب ، وعلى العموم ترجع هذه الأهمية لأمريكا على اعتبار أن تركيا تمثل الجناح الجنوبى لحلف الأطلنطى(٦٨) ٠

وعلى ضوء هذه الرؤيا من ترتيبات الغرب الاستراتيجية فانى ـ تشرشل ـ يطالب فى عصر التطور الحربى بالاحتفاظ بقاعدة قناة السويس هذا مما يدفع بريطانيا لقبول « الفقرة كما هى دون تغيير »(٦٩) وكانت الاتفاقية قد أعدت يوم ٢٧ يوليو ، ووقعت يوم ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ ، هذه الاتفاقية تضمنت أهم البنود التالية :

١ ـ انسحاب القوات البريطانية من قاعدة قناة السويس خلال ٢٠ شهرا ٠

٢ ـ الغاء معاهدة التحالف المصرية ـ الانجليزية عام ١٩٣٦ ٠

٣ ـ يظل بالقاعدة بعض المدنيين الفنيين لبعض الوقت ٠

٤ ـ فى حالة حدوث عدوان على أى بلد عربى عضو فى اتفاقية الدفاع المشترك أو تركيا ، فمن حق بريطانيا أن تمنح تسهيلات من قبل مصر بما فى ذلك الموانى من أجل حماية قاعدة القناة ٠

٥ ـ يجرى التشاور بين انجلترا ومصر فور حدوث أى هجوم مفاجىء من أى قوى خارجية كما هو سالف الذكر ٠

٦ ـ تبدأ انجلترا الانسحاب فورا بمجرد انتهاء الحرب ٠

٧ ـ توضع المطارات ، وتقدم الخدمات للطائرات ، حسب مايقرره وزير الطيران ٠

٨ ـ طبقا للأهمية الدولية لقناة السويس والتى هى جـزء من مصر ، وطبقا لاتفاقية القسطنطينية ١٨٨٨ تظل مفتوحة كقناة دولية ٠

٩ ـ تظل هذه الاتفاقية سارية المفعول لمـدة سبعة أعـــوام تالية(٧٠) ٠

وقد وقعت هذه الاتفاقية كل من : مصر ـ انجلترا ـ أمريكا كبداية لعهد جديد من التعاون ، وزيادة على ذلك ، ففى نهاية مرحلة تزيد على ٧٠ عاما من الاحتلال البريطانى ، فان مصـــــر الآن فى طريقها للاستقلال التام ٠

وفى رسالة وجهها ناصر الى الشعب عبر الاذاعة جاء بها : « هذه نقطة تحول فاصلة ٠٠٠ بتوقيع الاتفاقية وبداية مرحلة من العلاقات الأخوية تعتمد على الصدق ، بداية عهد جديد بين مصر وبريطانيا والدول الغربية ، والآن نحن نريد أن نستجمع قوتنــــا وعزيمتنا لنبدأ البناء فى ظل علاقاتنا مع بريطانيا ، ونحن نقف على أرض صلبة ، من الصدق والثقة ، بعد فقدهما طوال ٧٠ عاما »(٧١)

وقد رحب دلاس وزير خارجية أمريكا بهذا الحدث ، اذ يعد خطوة عظيمة فى تطور العلاقات بين دول الشرق الأدنى والدول الغربية ، هذه الاتفاقية قد انهت المشاكل التى أثرت ليس فقط على العلاقات بين المملكـــة المتحدة ومصر ، وبصـــفة عامة بين الدول الغربية ودول العالم العربى(٧٢) ٠ وقد عبر دلاس كذلك عن أمله فى وضع قواعد جديدة ومهمة لأمن وسلامة الشرق الأدنى(٧٣) ٠

وقد عبر المسئولون المصريون عن شكرهم الى الولايات المتحدة التى قدمت المساعدات لمصر وبريطانيا من أجل التوصل الى هذا الحل(٧٤) ٠ وفى ٤ نوفمبر ١٩٥٤ ، واستنادا الى وعودها خلال

عام ١٩٥٣ ، فان الولايات المتحدة الأمريكية وافقت على منح مصر · مليون دولار لتطوير الاقتصاد القومى(٧٥) ، والآن كل من مصر والولايات المتحدة الأمريكية ينظران الى مستقبل مشرق ·

كما تضمنت التقارير بأن المسئولين الأمريكيين يرون أن تتبنى مصر مشموع الدفاع الغربى · وفى مصر عبر ناصر عن أمله أن الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على تقديم المساعدات من أجل تقوية القوات المسلحة المصرية(٧٦) ·

ومن المتوقع أن تساعد أمريكا مصر من أجل تنمية معظم مشروعاتها مثل بناء السد العالى ، كما عبرت عنه الصحف المصرية وطبقا لمصادر دبلوماسية مصرية فان مصر تأمل أن تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على الاهتمام بالتحالف العربى كنواة لمشروع الدفاع الغربى(٧٧) ·

ولكن هذه الأمانى المصرية لم تعرها أمريكا أدنى اهتمام ، وكأنها سحابة صيف فى ظل العلاقات المصرية ـ الأمريكية ، اذ كان أهم مشكلة أمامهما هى المشكلة الاسرائيلية ـ العربية وتلك العلاقة الوثيقة بين أمريكا واسرائيل ·

N O T E S

(1) **Manchester Guradian**, 19 February 1953.

(2) **Eden, Full Circle**, 3 : 244; Hoskins, **The Middle East**, P. 270. Hoskins held that «both politically and strategically, Egypt had been and continues to be a prime factor in Middle East defense......».

(3) Statement by Assistant Secretary of State Henry Byroade, **Conference on U.S. Foreign Policy**, U.S. Department of State, 4 and 5 June 1953.

(4) **U.S. Cong., Hearings, 1957**, P. 196

(5) Statement by Byroade, **Conference on U.S. Foreign Policy.** 4 and 5 June 1953.

(6) See Dulles's statement implying this in U. S. Cong. **Hearings, 1957**, P. 197. Also see comments on his 1953 trip to the Middle East, John Foster Dulles. «Important Points of Trip,» Unpublished Memorandum, **Dulles Private Papers.**

(7) Wheelock, **Nassre's New Egypt**, PP. 12 — 47, 212 ;

Survey of International Affairs, 1953, ed. Peter Calvacoressi (London : Oxford University Press, 1956) PP. 150 — 56.

(8)Henry Byroade's statement, U. S. Department of State, Conference on U.S. Foreign Policy, 4 — 5 June 1953; Copeland **The Game of Natoins**, P. 72. Copeland quotes Ambassador Caffery as holding that the crucial test for the Free Officers was their success in dealing with the impasse in negatiations. If they failed there, the stability of the Junta would have been placed in doubt. American Middle East expert and later Ambassador John Badeau warned the United State «the feeling against British occupation is not merely a trick of politicians for confusing popular feeling — its is a genuine national cause. That cause must be advanced if any new regime is to prove permanent.» John Badeau, **Foreign Policy Bulletin**, 15 November 1952, P. 2.

(9) For typical examples, see **Egyptian Gazette**, 2 March 1953; **Al Ahram**, 30 January 1953 and 4 October 1952; **Akhbar Al Yaum**, 11 January 1953 and 6 February 1953. Non-cooperation and neutrality in the cold war were later threatened.

(10) **New York Times**, 7 and 8 August 1952.

(11) Ibid., 27 August 1952.

(12) Heikal, **The Cairo Documents**, PP. 36 — 37; Acheson, **Present at the Creation**, P. 727 .

(13)Heikal, **The Cairo Documents**, PP. 36 — 37.

(14) Ibid., PP. 37 — 39.

(15) Acheson, **Present at the Creation**, P. 727.

(16) **Al Akhbar Al Gadida**, 21 November 1952.

(17) **New York Times**, 11 December 1952.

(18) Ibid.

(19) Naguib, **Egypt's Destiny,** PP. 260 — 61.

(20) **Egyptian Gazette,** 6 January 1953. See also ibid., 10 and 11 October 1952.

(21) 12 February 1953. See **Documents on International Affairs, 1953** (London : Oxford University Press, 1954), PP. 315 — 24 for text.

(22) U.S. Department of State, **Bulletin,** 23 February 1953, PP. 303 — 6.

(23) **New York Times,** 13 February 1953.

(24) For example, see **Al Ahram,** 26 April 1956. These comments may have overstated the American role in order to encourage farther American support and thus strengthen Egypt's bargaining position vis-à-vis Britain.

(25) See **Documents on Inernational Affairs, 1953,** PP. 329 — 37; Robert Stephens, **Nasser : A Political Biography** (London : Allen Lane, The Penguin Press, 1971) PP. 123 ... 130 — 31.

(26) See, for example, Eisenhower's expression of concern, U.S. Department of State, **Bulletin,** 23 March 1953, PP. 440 — 41; Dulles's statement before the Senate Foreign Realtions Committee and the House Foreign Affaris Committee, Ibid., 25 May 1953, P. 723.

(27) Ibid., 9 February 1953, P. 214. See also J.F. Dulles, «The First 90 Days,» ibid., 27 April 1953, P. 605.

(28) Ibid., 23 March 1953, P. 431.

(29) **New Yor Times,** 11 March and 29 April 1953.

(30) His purpose may be inferred from a March press interview with Turkish Foreign Minister Koprulu : Turkish foreign policy is a practical one which aims at providing the Middle East

with security. Turkey hopes that the Arab states and Egypt in particular would join her in striving toward this practical policy.» **Al Ahram**, 17 March 1953.

(31) Ibid., 28 and 30 March 1953; **Akhbar Al Youm**, 28 March 1953.

(32) New York Times, 10 May 1953; **Al Ahram**, 4 and 12 April, and 8 and 12 May 1953; **Egyptian Gazette**, 10 May 1953. See also **Le Journal d'Egypte**, 28 April 1953 and **New York Times**, 23 and 27 April 1953.

(33) Iran was excluded because of internal problems at the time, which brought that country to the verge of revolution under Mossadegh.

(34) **Keesings' Contemporary Archives** (London : Keesing' Publications), 6 — 13 June 1953, P. 12,958. Note the similarity to Dulles's statement in Pakistan. Transcript of Press Conference, Karachi, Pakistan, U.S. Department of State, 24 May 1953.

(35) Mohammed Hassanein Heikal, **Nahnu Wa Amrika** (Cairo: Al Ahram Press, 1965), P. 77. translated.

(36) Heikal, **The Cairo Documents**, P. 41. See also idem, **Nahnu Wa Amrika**, P. 80.

(37) **New York Times**, 3 November 1959.

(38) U.S. Department of State, **Bulletin**, 15 June 1953, P. 833 and Dulles, «Important Ponits of Trip.» Unpublished Memorandum, **Dulles Private Papers**.

(39) U.S. Department of State ,**Bulletin**, 15 June 1953, PP. 833 — 35.

(40) Ibid.

(41) Dulles. « Important Ponits of Trip.» Unpublished Memorandum, **Dulles Private Papers**. He added : «The Israeli factor

and the association of the United States in the minds of the people of the area with French and British colonial and imperialsitic policies, are millstones around our neck.».

(42) Ibid.

(43) Ibid.

(44) U.S. Department of State, **Bulletin,** 20 July 1953, P. 90.

(45) Accordnig to Heikal; see footnote 14 above.

(46) **Egyptian Gazette,** 5 June 1953.

(47) The Sudan Agreement was widely criticized in Britain, especially by the Conservative Party, which made the British government hesitant to resume negotiations that would envisage a commitment to evacuate the canal base. Tom Little, «Britain, Egypt, and the Canal Zone Since July, 1952.» **The World Today,** may 1954, P. 190.

(48) Article 12, Anglo-Egyptian Agreement concerning Self-government and Self-determination for the Sudan, **Documents on International Affairs, 1953,** P. 318; see also the heated excahnge of accusations, ibid., PP. 329 — 37.

(49) Eden, **Full Circle,** 3 : 248 — 53. For Eden's ideas on a general settlement, ibid., P. 248.

(50) Dwight D. Eisenhower, **Mandate for Change** (London : Heinemann, 1963), PP. 152 — 53. The Egyptian Government announced that it was not acceptable for United States to play more than a «good offices» role. **New York Times,** 19 March 1953.

(51) **The Observer,** 12 April 1953.

(52) Naguib, **Egypt's Destiny,** P. 251.

(53) **Egyptian Gazette,** 12 May 1953.

(54) U.S. Department of State, **Bulletin,** 15 June 1953, PP.

833 — 35 Se **Eden's Comments** on the American unwillingness to put pressure on the Egyptian Government. **Eden, Full Circle,** 3 : 252 — 53. 257.

(55) These expectations appear from certain statements by General Naguib and the Egyptian Ambassador to Washington. **Egyptian Gazette,** 4 July 1953 and **New York Times,** 24 May 1953, respectively. The idea of an American peace project was frequently discussed in the press at the time. Dulles, when asked, did not deny its existence, thus contributing to the circulation of rumours, perhaps to gain time. **Egyptian Gazette,** 12 June 1953.

(56) **New York Times,** 14 February 1954.

(57) **Tho Times,** 13 July 1953.

(58) **New York Times,** 11 October 1953.

(59) Ibid., 10 December 1953.

(60) Love holds that the British leadership belived the Junta would not last and delayed negotiations for this reason. Kennett Love, **Suez : The Twice-Fought War** (New York : McGraw-Hill Book Company, 1969, P. 185. See also Farnie, **East and West of Suez,** P. 706 and **The Times,** 9 October 1953.

(61) **New York Times,** 18 December 1953.

(62) **Egyptian Gazette,** 26 November 1953. The Moslem Brotherhood tried to belittle the regime; the communists feared that an accord would be followed by Egypt's associatoin with a Western defense organization.

(63) U.S. Department of State, **Bulletni,** 8 February 1954, P. 214.

(64) On 24 and 25 Februray 1954. Nasser remained unsure of his position until mid-April, when his supremacy in the government was assured. During this period, a quick settlement would

have boosted his prestige. See Wheelock, **Nassr's New Egypt**, PP. 28 — 36.

(65) New York **Times**, 26 February and 19 March 1954.

(66) Eden, **Full Circle**, 3 : 259.

(67) Farnie, **East and West of Suez**, P. 709.

(68) **New York Times**, 15 July 1954. In other development, the Britsih Minitser of Defense anannounced the transfer of Britain's forces to Cyprus on 23 June (**The Times**, 24 June 1954); on 9 July Britiain released £E 10 million of blocked Egyptian reserves (**Egyptian Gazette**, 10 July 1954); and Egypt lifted resertictions on trade with the sterling area (ibid., 14 July 1954).

(69) Eden describes the reasonnig that ultmiately led to the decision to relinquish the Suez Canal Base in **Full Clcrle**, 3 : 260.

(70) For document, see Great Britain, Foreign Office, **Agreement Between the Governmnt of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland and the Egyptian Government Regarding the Suez Canal Base** (With Annexes, Exchange of Notes, and Ggreed Mnlutes), Cairo 19 October 1954; Cmd, 9298 (London : H.M.S.O., 1953).

(71) E.B. Childers, **The Road to Suez : A Study of Western-Arab Relations** (London : MacGibbon and Kee, 1960), P. 111.

(72) U.S. Department of State, **Bulletnl**, 9 Augusu 1954, 198.

(73) Ibid. See aslo Eisnhower's comment, **New York Times**, 12 August 1954.

(74) See comments by Nasser and Fawzi, U.S. Department of State, **Bulletin**, 16 August 1954, P. 234.

(75) **Egyptian Gazette**, 4 and 5 November 1954.

(76) **New York Times**, 28 July and 4 August 1954.

(77) **New York Times**, 28 July 1954.

الفصل الثالث

مصر واسرائيـــل والبحث عن حل

أعلن الملك حسين أن مايزيد على ٦٧٠ ميلا حدودا مشـــتركة بين الدول العربية واسرائيل : مصر تدافع عن ١٨٠ ميلا ، وسوريا عن ٤٥ ميلا ، لبنان عن ٥٠ ميلا والأردن عن ٤٠٠ ميل ، وأن الحدود ما بين الأردن واسرائيل كانت فى الحقيقة هى الجبهة الأشد توترا مع العدو ، فى حين كانت الجبهة المصرية اقل توترا بعض الشىء بالنسبة لجبهة الأردن ، حتى حدوث غارة اسرائيل على قطاع غزة فى ١٩٥٥(١) .

ومما لاشك فيه أن الهدوء المستمر الذى ساد الحدود المشتركة بين مصر واسرائيل فى السنوات الأولى لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد اتاح الفرصة لمجلس قيادة الثورة أن يتفرغ لحشد كل قـــواه لنجاح الثورة ومحاولة التخلص من كل اثار العدوان الاستعمارى الانجليزى البغيض ، وذلك بهدف كسب الرأى العام الداخلى ، وفى ذلك الوقت شهدت الحدود مع اسرائيل توترا شديدا ، مما حدا بأمريكا الاهتمام لايجاد حل للمشكلة المصرية ـ الاسرائيلية(٢) .

وهذا التطور فى الموقف الأمريكى لا يقلل من أهمية الدور الذى قامت به مصر من أجل دعم العرب فى موقفهم ضد اسرائيل ، اذ كانت مصر ترى أنه مادامت القدس ومشكلة اللاجئين الفلسطينين بدون حل فانه لن يقوم سلام بينها وبين اسرائيل(٣) .

وكان رجال الثورة لديهم احساس قوى بالكراهية ازاء الغرب خاصة فيما يتعلق بموقف أمريكا تجاه اسرائيل ، وفى أوائل شهر ديسمبر ١٩٥٢ انتقد اللواء محمد نجيب اصرار الولايات المتحدة لتشجيع المانيا الغربية فى تسديد ماعليها لدى اسرائيل - منذ نهاية الحرب العالمية الثانية - قبل التوصل الى اتفاق بين اسرائيل واللاجئين الفلسطينين ، وظل محمد نجيب يذكرهم باستمرار اخطائهم بقوله : « من أجل ايجاد دولة تعدادها مليون يهودى ، فان الغرب ينهب أملاك ٥٠ مليون عربى بالاضافة الى أملاكهم البترولية »(٤) .

وبدأ العداء بين العرب واسرائيل يؤثر على العلاقات الأمريكية المصرية فى عهد الضباط الأحرار المصريين ، مادامت الحكومة الأمريكية ماضية فى دعمها السياسى القوى لاسرائيل ، ولاشك أن العلاقات الخاصة بين الحكومة الأمريكية واسرائيل تركت أثرا على العالم العربى يتسم بسوء الفهم والتناقض نتيجة لموقف أمريكا من مصر وبقية دول العالم العربى .

ومما لاشك فيه أن الصعوبات التى تواجهها أمريكا فى منطقة الشرق الأوسط كانت قبل أن يتولى الرئيس المنتخب ايزنهاور السلطة فى أوائل عام ١٩٥٣ ، فقد سبق أن أشار هنرى بايرود Henry Byroade مساعد وزير الخارجية فى ديسمبر ١٩٥٢ أمام المؤتمر المنعقد فى شيكاغو Chicago الى مثل هذه الصعوبات .

كانت الدول العربية تشعر بالشك والريبة ازاء السياسة الأمريكية نظرا لارتباطها القوى باسرائيل ولذلك كان من المتعذر على الساسة الامريكيين أن تكون لهم علاقات على مستوى واحد بين

العرب واسرائيل ، ولقد اضافت مشكلة اللاجئين الفلسطينين بعدا اخر فى العالم العربى تجاه السياسة الامريكية ، ونشــات هذه الكراهية فى بداية الخمسينيات · فاوجدت هذه الكراهية لأمريكا الكثير من المشاكل فى منطقة الشرق الأوسط ، مما جعل استحالة التوصل الى أى شكل من اشكال الحل ، حتى امكانية التوصل الى حل جانب من المشكلة أصبح يواجه أعنف الصعوبات(٥) ·

وبالرغم من كل هذا فان الحزب الديمقراطى قرر أن يتــرك اعادة تقييم السياسة الأمريكية السابقة الى الحكومة الأمريكيـــة المنتخبة · كما أن انتخاب الرئيس ايزنهاور فى يناير ١٩٥٣ تــرك الحرية الكاملة للمسئولين الامريكيين أن يقرروا هم بأنفســـــهم سياسة الدعم والمساندة لاسرائيل ، وهؤلاء القادة الأمريكيون قد استفادوا من تلك الحقيقة بأنهم ذوو صحائف بيضاء فى نظر العرب بالرغم من أن الحزب الجمهورى قد أعلن عن خطته أثناء الانتخابات بتأييده ومساندته لاسرائيل ، وأن الرئيس ايزنهاور رأى أن يستفيد من هذه الظروف لكى يبرهن على قوة العلاقات العربية ـ الأمريكية فى مارس ١٩٥٣ اثناء الزيارة التى قام بها الأمير فيصل بن سعود وزير الخارجية . وتأكيدا لهذا التصور ، فقد أعلن الرئيس ايزنهاور بأن المشكلة الفلسطينية عكست الصورة القبيحة عن الغرب لدى المسئولين العرب .

ولاشك انه بمثل هذا التصريح الذى ادلى به ايزنهاور كان يود التنويه بقوة علاقة أمريكا بالعرب فى العهد الجديد ، وأن يستعيد ثقة العرب فى علاقاتهم بأمريكا ، وبأنه يحدوه الأمل فى « تحقيـــق السلام العادل »(٦) ·

واعلن كذلك وزير خارجية أمريكا جون فوستر دلاس بأن رغبته فى التعرف على مشاكل المنطقة ، مما جعله يسعى لزيارة العديد من دول منطقة الشرق الأوسط فى ١٩٥٣ حيث أعلن : « بأن وضع الولايات المتحدة ـ فى المنطقة ليس جيدا ـ ولا تحظى بأى تقدير نظرا لدعمها ومساندتها لاسرائيل »(٧) ٠

ولاشك أن مثل هذه التحذيرات يجب أن توضع فى الحسبان فى ظل الحرب الباردة ، مما جعل الاتحاد السوفيتى يستغل هذا الوضع ـ دعم ومساندة اسرائيل ـ لتشويه صورة أمريكا فى المنطقة ٠

وطبقا لنظرية جلوبال Global الاستراتيجية ، أصبح مطلوبا من المسئولين الأمريكين لكى ينفذوا ترتيبات الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط أن يتفق هذا المشروع تماما مع مبادىء وأهداف القومية العربية ٠ وأن الدرس المستفاد من فشل المشروع السابق ، كان هذا مرتبطا بمسألة حل المشكلة العربية ـ الاسرائيلية ، بحيث يضمن السلام العادل لكلا الطرفين ، وفى نفس الوقت يتفق تماما مع ترتيبات الدفاع الأمريكى(٨) ٠

وقد بذلت جهودا مكثفة فى أوائل شهر مايو ١٩٥٣ على ضوء خطة برنامج الدفاع المعتمدة فى عام ١٩٥٤ ، فقد قرر دلاس وزير خارجية أمريكا الاستفادة من مشروع الدفاع الغربى لانقاذ وتسكين اللاجئين الفلسطينيين وتقديم المساعدة لاقرار السلام بين الدول العربية واسرائيل ٠

وعقب فوز ايزنهاور فى انتخابات الرئاسة حرص القادة المصريون على طرح المشاكل والصعوبات التى كانت تشوب العلاقات

المصرية ـ الامريكية نحو التقدم ـ وكان هذا الاجراء مقرونا بالأمل الكبير ، بأن تعيد امريكا تقييم مشاكل المنطقة العربية بما يتلاءم مع العرب انفسهم .

وقامت الحكومة المصرية بمحاولة من جانبها ـ ولم يمض على تشكيلها الوزارى اكثر من شهر ـ حين رأت تقييم الموقف عندما قام السفير المصرى بالولايات المتحدة برفقة ستة من السفراء العرب بمقابلة مساعد وزير الخارجية جنرال والترسميث Welter Smith وقد لفتوا نظره الى سياسة الصهيونية التى تعتبر اسرائيل رأس جسر للديمقراطية فى المنطقة ولقد حذروا بأن الاتحاد السوفيتى يحاول استغلال موقف امريكا المنحاز والمؤيد لاسرائيل لصالحه(١٠) .

واوضح السفير المصرى من قبل أن الأمل معقود على الرئيس ايزنهاور فى السعى الى حل كثير من المشاكل وازالة العديد من العقبات فى منطقة الشرق الأوسط ، وبمناسبة تسلمه السلطة فقد حذرت الصحافة المصرية الولايات المتحدة من استمرار امداد اسرائيل بكل ماتحتاج من عتاد حربى ، وتدعيم اقتصادها حتى لا ينعكس هذا الوضع عليها وتكون ذات علاقة متميزة مع أمريكا وان كان من المفروض على أمريكا أن تطلب من الأمم المتحدة تعويض اللاجئين الفلسطينيين(١١) .

وقد أعلن دلاس بأن زيارته الى منطقة الشرق الأوسط زيارة شخصية ، كما أن مصر ادركت بأن المقصود بهذه الزيارة هو الدعاية لسياسة أمريكا الجديدة ، ومفهومها الجديد لمصالحها ومشاكل العالم العربى .

وأعلن اللواء نجيب بانه يامل ان تتبدل السياسة السـابقة لترومان Truman المؤيدة والمساندة لاسرائيل الى سياسـة النزاهة والحياد(١٢) وعلى هذا فقد أعلن بأن خبر زيـارة وزير خارجية أمريكا قوبلت بكل حفاوة وترحيب ، اذ تم الاعلان بأن ثمة تفهما جديدا من جانب أمريكا بالنسبة لاسرائيل لتقوية أواصـر العلاقات مع العالم العربى ٠

أول هذه الموضوعات ، فقد استنكر دلاس الأحـداث التى شهدتها الحدود بين الأردن واسرائيل أثناء زيارته لدول المنطقة(١٣) وعلى هذا فقد حذر من مغبة استمرار المشكلة بين اسرائيل والعالم العربى دون التوصل الى حل ـ مثال لهذا فقد كتب فى تقريره عن الوضع فى الشرق الأوسط فى أول يونية ١٩٥٣(١٤) باننا نلاحظ ذلك فى آخر مرحلة من مراحل تطور العلاقات الانجليزية ـ المصرية ولقد وضعت ملاحظات دلاس موضع الاعتبار بالسعى لحل المشكلة الاسرائيلية ـ العربية حلا شاملا ٠

وبمناسبة مشكلة القدس ، فقد علم دلاس بأن كلا من الأردن واسرائيل يقتسمان حكم مدينة القدس منذ عام ١٩٤٨ ، فقد رفض دلاس فكرة الأمم المتحدة القاضية بتدويل هذه المدينة ٠ وكان الأردن يرى أن مثل هذا الرأى ـ من جانب الأمم المتحدة ـ سوف يشمل : الأمن ووحدة أراضى المدينة ـ ومصالح الأردن المدنية ـ وقد أصرت اسرائيل على ان مدينة القدس جزء لايتجزأ من اسرائيل ، وان كانت تقترح ان توضع المدينة برمتها تحت اشراف الأمـم المتحدة(١٥) ، وفى أول يونيه ١٩٥٠ رأت اسرائيل أن تنقل العاصمة من تل أبيـب الى بيت المقدس ، وفى ١٩٥٣ أيدت وزارة الخارجية الاسـرائيلية هذه الدعوة ، ومن المستحيل أن يؤيد وزير خارجية أمريكا دعـوة الأمم المتحدة لحل هذه المشكلة :

بيت المقدس مقسم الى قسمين : بين اسرائيل والأردن ، وبلغت الكراهية والبغضاء مداها بين الطرفين ، ومن المعروف أن الناحية الدينية هى السمة المميزة لهذه المدينة حيث تهم الأديان السماوية الثلاثة ، ومن ثم فأصبحت هذه المشكلة تحتل الصدارة بين مشكلات العالم العربى» (١٦) ٠

وواجه دلاس وزير الخارجية الامريكية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، وأصرت الدول العربية،وكذلك الفلسطينيون بضرورة الحصول على حقوق الفلسطنيين اللاجئيين ، قبل مناقشة أى مشكلة أخرى ، واستنكرت اسرائيل أى حل يستند على قرار التقسيم ومحذرة من مغبة تنفيذ هذا القرار والذى من شأنه أن يعطى للفلسطينيين قوة تشكل خطرا عليها . وبالنسبة لاسرائيل فانها ترى أن اللاجئين سوف يكونون منهمكين فى الدول العربية ، وبناء على هذا الافتراض يمكن اقامة سلام مع الدول العربية .

وأبدت اسرائيل رايها فى مناسبات عديدة برفضها التام لقرار التقسيم(١٧) وعلى الرغم من كل هذا فانه من الواضح أن قرار التقسيم قوبل بالرفض من كلا الطرفين ٠

ولكن من خلال وجهة النظر الأمريكية ـ بهدف ايجاد حل ـ فقد أكد دلاس على هذا الحل الانسانى الآتى : ـ « هناك مايزيد على ٨٠٠ر٠٠٠ مهاجر فلسطينى ، هاجروا من اسرائيل ، وأقاموا فى معسكرات اللاجئين ، والتى تتوافر فيها بعض الشيء النواحى الصحية وقليل من العمل ، وان كان داخل هذه المعسكرات الأوضاع مترديية وسيئة للغاية ، وبعض الفلسطينيين مازالوا يقيمون فى اسرائيل ، وان كان معظم هؤلاء المهاجرين قد استقروا فى الدول العربية المجاورة ، وظلوا هكذا على أمل التوصل الى حل ٠

وكان جون فوستر دلاس يرى حلا لمشكلة اللاجئيين : أن أهم مشكلة فى المنطقة هى مشكلة المياه ، وان كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقدم الكثير من المنح والمساعدات لهؤلاء اللاجئين ، وأن مستر استاسن Stassen والذى رافق دلاس فى زيارته لدول المنطقة ـ كان لديه انطباع بأن نهر الأردن تستفيد بـــه كل الدول العربية »(١٩) ٠

وعلى ضوء هذا التقرير عن الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط فقد أوصى دلاس بأن الولايات المتحدة سوف تعمل على تهدئه ثورة الغضب والاستنكار ضدها نتيجة موقفها ازاء اسرائيل ، وقد استوعب دلاس تاريخ العرب وماضيهم مؤكدا بأن الشعب العربى يخشى من دعـــم ومســـاندة الولايات المتحـدة الأمريكيـــة لاســـرائيل ، وأن العرب يخشون من خطر الصهيونية أكثر من خشيتهم من خطر الشيوعية »(٢٠) ٠

ويؤكد دلاس تمسك بلاده بقرار الوفاق الثلاثى ١٩٥٠ بقوله :

« يجب أن يكون معلوما بأن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الآن تساند وتؤيد القرار ، ونحن لانستطيع أن نتحمل مشاعر عدم الثقة والبغضاء من ٥٠ مليون عربى ، فى الامكان أن يكونوا لنا سـندا قويا وأصـــدقاء أوفياء ٠ انهـــم لا يتقبلون الشـــيوعية الدكتاتورية ٠٠٠ والولايات المتحدة الأمريكية تسـعى الى كســب تأييد وتقدير اسرائيل وكذلك العرب ٠٠٠ »(٢١) ٠

وبهذا يكون دلاس قد أوضح بكل جلاء حاجة كلا الطرفين الى العدل والمساواة ، لحاجة الولايـــات المتحدة الى مساندتهـم وتأييدهم فى ظل الحرب الباردة فى منطقة الشرق الأوسط ، ونتيجة

لهذه السياسة فقد كان الاقتراح بأن على اسرائيل أن تكون جزءا من منطقة الشرق الأوسط وأن تكون مستقلة تماما بنفسها أو تكون عضوا فى هذا الاتحاد ·

وأخيرا قدم دلاس اقتراحا لحل المشكلة العربية ـ الاسرائيلية بقوله : « على الولايات المتحدة ألا تألو جهدا بأن تسعى الى حل هذه المشكلة خطوة ·· خطوة دون أى تأثير على كلا الطرفين ··

وقد بدأت هذه المرحلة بأن قدم وزير خارجية أمريكا أمام الكونجرس الأمريكى تقريرا شاملا عقب عودته من زيارته للمنطقة ، وقد أكد دلاس فى تقريره وجهة نظر جديدة ، نحن نعد برنامجا يهدف الى توحيد دول المنطقة ويقدم لهم برنامج مارشال Marshal لتنمية مواردهم كلما أمكن ذلك »(٢٢) ·

وأعلن عن برنامج طويل الأجل لتطوير المنطقة والنهوض بها ففى ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ أعلن الرئيس ايزنهاور تعيين أريك جونسون Eric Johnson سفيرا فوق العادة فى منطقة الشرق الأوسط ، وكان على جونسون أن يتصل بحكومات دول المنطقة بهدف التعرف على مشاكل المنطقة عن قرب ، ويناقش المشاكل مع بعض الدول العربية واسرائيل ، واضعا فى اعتباره مصادر المياه لنهر الأردن(٢٣) ·

وتضمن مشروع جونسون على ضوء الدراسة السابقة : ـ الحرص على تنمية مياه نهر الأردن(٢٤) والاهتمام ببرنامج النقطة الرابعة ، والمعونات الفنية وفى نفس الوقت نسعى الى تنفيذ الخطة المعدة والمعروفة باسم « مشروع ماكرين Maqarin وان كان هناك معارضه فى تنفيذ السياسة الأمريكية بالمنطقة(٢٥) ·

وكانت بعثة جونسون تهتم بالدرجة الأولى على حث أمريكا على ضرورة حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين فهى أساس العديد من المشاكل فى المنطقة ٠

وقد اقترحت عدة حلول بين الدول المتحاربة فى المنطقة ، حيث شجعت هذه الخطة « منظمة الاغاثة الدولية UNWRA لحل هذه المشكلة الخاصة باللاجئين الفلسطينيين(٢٦) وهذه الخطة تتلخص فى اقرار سميت Smith مساعد وزير الخارجية ٠ هذه الخطة التى تقضى بتوطين هؤلاء اللاجئين فى الدول العربية ومنحهم الجنسية فى هذه الدول ، وليس من المعقول قبول هؤلاء كعمال ما لم تتوافر الظروف التى يتم بمقتضاها منحهم الجنسية(٢٧) ٠ ولكى تضمن نجاح هذا المشروع ، أن تقدم الولايات المتحدة معونة تقدر ٢/٣ تكاليف توطين اللاجئين الفلسطينيين ، وهذه المعونة تقدر بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار(٢٨) ٠

* * *

ولقد واجهت خطة جونسون العديد من العراقيل والمشاكل ، فلقد شهدت الحدود الاردنية ـ الاسرائيلية اضطرابات دموية قام بها الفلسطينيون ، اعقبها رد فعل عدوانى اسرائيلى ، وقد استاءت اسرائيل كثيرا من موقف الأمم المتحدة ، والتى كثيرا ماتعارضها اسرائيل ٠

وهذا الأمر دفع اسرائيل الى التشدد فى موقفها ومعارضة خطة جونسون وبعثته ـ والتى كانت تتضمن اقرار السلام بواسطة جونسون باعتباره ممثلا للرئيس أيزنهاور ، ولقد رأت اسرائيل أن تنتهج سياسة متشددة وذلك بتوسيع نطاق المواجهة العسكرية على طول حدودها مع الأردن ، اذ بدأت هذه المرحلة بغارة جوية على

مدينة العقبة بهدف توسيع نطاق خطوط المواجهة مع الأردن ٠ وأعلنت الحكومة الاسرائيلية عدم اكتراثها بقرارات الأمم المتحدة وضرورة تنفيذ خطتها بتحويل مياه نهر الأردن(٢٩) ٠

وتضاربت ردود الفعل في الدول العربية فيما يتعلق بسياسة أمريكا وقد أشارت الصحافة المصرية : « بأن الدول العربية توجه الشكر للرئيس ايزنهاور لاهتمامه البالغ لحل مشاكل منطقة الشرق الأوسط » وبرغم كل ماحدث فان سياسة الحكومة الأمريكية مازالت تتسم بالعطف والتأييد لسياسة اسرائيل فى المنطقة ٠

ولكن المحللين المصريين كانوا برغم هذا متشائمين ٠ « نحن مع الرأى العام الذى أبداه أريك جونستون القائل : « مادامت مشكلة فلسطين بدون حل ٠٠ ومادامت قرارات الأمم المتحدة حبرا على ورق فانه لا أمل فى حل مشاكل الشرق الأوسط »(٣٠) ٠

ولقد ايدت الحكومة المصرية مشروع جونستون ، برغم معارضة العديد من الدول العربية ، واستنادا لرأى السفير الانجليزى بالقاهرة فان مصر لم تدخر وسعا فى تأييد ومساندة مشروع جونستون ومده بالفنيين وكذلك المهندسون اللازمون له(٣١) كما حذرت مصر سوريا والأردن بضرورة اعلان تأييدهم ومساندتهم لمشروع جونستون(٣٢) ولكن من الملاحظ أن الحكومة المصرية لم تستطع أن تصدر بيانا رسميا بهذا الموقف خوفا من المعارضة العربية(٣٣) ٠

وبرغم هذا فقد اعتبرت الدول العربية أن مشروع جونستون مشروعا مقبولا ، ولكن برغم هذا فان كل دولة عربية تعترف بأحقية أى دولة تقع على ضفتى نهر الأردن بالمشاركة فى مياه النهر ، وبرغم

هذا فان ثمة ملاحظة تشكل علامة استفهام حول مصادر المياه فى هذا النهر ، وكأحد الدعائم الاقتصادية ذات الأهمية البالغة لـدول المنطقة فان الأمر له بعد سياسى(٣٤) ٠

وقد رأى البعض التقليل من مهمة جونستون ، وان كانت لفتت النظر الى أهمية حل هذه المشاكل طيلة عامين ، وظل الأمل معقودا بحتمية التوصل الى حل مرض(٣٥) وحينما بلغت مشاعر الكراهية والبغضاء أقصى حد فى بداية عام ١٩٥٦ ، وحينما استنفدت كـل المساعى فان هوة الخلاف ازدادت اتساعا بين الطرفين ، وأوت وساطة الرئيس ايزنهاور بين العرب واسرائيل الى حدوث تقارب بين وجهات النظر ، اذ كان كل مايهم أمريكا هو انضمام العرب الى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ، فى ظل تصاعد الحرب الباردة ٠ فى حين كان قادة اسرائيل يتخوفون كثيرا من هذا المشروع ، اذ كانوا يرون امتثال أمريكا لكثير من المطالب العربيـــة ، حيث أن أمريكا قدمت مساعدات كثيرة للاجئين الفلسطينيين ٠

كل هذا من أجل موافقة العرب على نظام الدفاع الغربى عن منطقة الشرق الأوسط ، وازدادت مخاوف اسرائيل أكثر حينما وافقت أمريكا على كل مطالب العرب فى تسليح جيوشها ، ففى هذه الحالة سوف تواجه اسرائيل عالما عربيا مسلحا تسليحا قويا ٠

ولقد كان أبا ايبان Abba Eban سفيرا لاسرائيل فى أمريكا فى الوقت الذى حدث فيه هذا التغيير الجـــذرى فى الســـياسة الأمريكية ، ومن ثم فقد أدرك يقينا بأن دولته تواجـــه كثيرا من المصاعب والعراقيل ، وعلى هذا فقد لاحظ أن علاقات بلاده بأمريكا بات محكوما عليها بالفناء ، وأين هذا من علاقة بلاده بأمريكا فى عهد الرئيس السابق هارى ترومان Hary Truman

ومن ثم فقد أصبح من المؤكد أن اسرائيل لاتعتمد كثيرا على الدعم الأمريكى لها ، لأن أمريكا ترى فى انتهاج هذه السياسة حماية مصالحها الاستراتيجية نتيجة دعم العرب ومساندتهم(٣٦) ٠

وبانتهاج نفس السياسة الأمريكية ، تمكنت أمريكا من التوصل الى حل للمشكلة المصرية مع انجلترا ، ومن ثم فقد قبلت مصر وبعض الدول العربية الأخرى الانضمام الى مشروع الدفاع الغربى عن منطقة الشرق الأوسط ، وزيادة على ذلك فان جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر جعل قادة اسرائيل يشعرون بالخوف الشديد من مهاجمة مصر لها فيما بعد باعتبارها العدو الأول(٣٧) ٠

وقد أفضت اسرائيل بمثل هذه المخاوف الى دلاس وزير خارجية أمريكا أثناء زيارته لمصر عام ١٩٥٣ ، والذى أشار اليها فى مذكراته بقوله : ـ

« ان عنفوان غضب اسرائيل وعصبيتها جعلها لاتدرك الهدف الحقيقى من السياسة الأمريكية الجديدة فى المنطقة ، ومن ثم فقد كانت تعارض أى محاولة لاقرار السلام العادل الذى تقره ، ومن هنا كانت اسرائيل تعتقد أنها سوف تفقد كل الأراضى التى تسيطر عليها(٣٨) ٠

وكانت وجهة نظر اسرائيل بأن أمنها الأقليمى بات مهددا ، ولقد اكد ابا ايبان وجهة النظر هذه ازاء التطورات السياسية الحالية بقوله :

« ان امكانات اسرائيل العسكرية كانت تزداد قوة لسببين :

(★) ثمنا لعلاقتها بأمريكا فى منطقة الشرق الأوسط ، ومن المحتمل أن تجبر أمريكا على التراجع عن سياستها الدفاعية فى المنطقة ٠

(★) ونظرا لأن اسرائيل قطعت علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى منذ شهر فبراير ١٩٥٣ ، فمعنى ذلك أن اسرائيل لن تنتهج الفكر والسياسة الشيوعية فى المنطقة على المدى البعيد ٠

ولاشك أن هذه المرحلة التاريخية مليئة بالأحداث ، وردود الأفعال التى حدثت نتيجة للسياسة الأمريكية الجديدة فى المنطقة ، وان كانت أمريكا تتظاهر بأن سياستها هذه تتسم بالنزاهة والصدق وان كانت فى واقع الأمر ماهى الا تكتيك عسكرى جديد ٠

وتنفيذا لخطة اسرائيل الدبلوماسية الجديدة ، فكان أولى هذه الخطوات هو نقل وزارة الخارجية الاسرائيلية من تل أبيب الى بيت المقدس ، صدر هذا القرار فى ١٠ يوليو(٤١) ١٩٥٤ وهذا القرار كان مقدمة لنقل كل الوزارات الاسرائيلية الى هذه المدينة ٠ وأحدث هذا القرار ردود فعل سيئة لدى الدول العربية ، كما كان له تأثيره السيء على السياسة الأمريكية الجديدة فى المنطقة بالاضافة الى تأكيد عدم مصداقية الحلول التى تقدمها الأمم المتحدة(٤٢) ٠

ولقد تأثرت علاقات اسرائيل الخارجية كثيرا بقرارها الذى اتخذته فى ١٠ يوليو ، وكذلك تقرير دلاس وزير الخارجية الأمريكية فى ٩ يوليو والذى أقر المبادىء التى على أساسها توزع معونات البرنامج العسكرى للمساعدات العسكرية فى عام ١٩٥٤ لدول منطقة الشرق الأوسط ، وعلى أى حال فان المسئولين الأمريكيين أكدوا نزاهتهم واخلاصهم فى سياستهم المعلنة هذه ٠

« لقد عبر دلاس وزير الخارجية عن وجهة نظره بالاشارة الى أن الحكومة الاسرائيلية يجب عليها أن تثق فى سياسة الحكومة الأمريكية ، حيث تعتقد أن الحكومة الاسرائيلية سوف تقف حجر

عثرة أمام الولايات المتحدة ، كما تشعر ايضا بأن موقف الحكومة الاسرائيلية ـ على هذه الصورة ـ سـوف يترك أثرا عميقا على العلاقات العربية مع الحكومة الأمريكية »(٤٤) .

ومضى أكثر من عام والسفير الأمريكى يتجنب اثارة مسألة بيت المقدس ، على الرغم من أنه فى شهر نوفمبر ١٩٥٤ ـ أى بعد مضى أربعة أشهر كان نفس الموقف للاتحاد السوفيتى ، وقد عينت الحكومة الأمريكية لدى اسرائيل السفير ادوارد لارسون Edward Larson وقدم أوراق اعتماده(٤٥) .

وبقى قرار مهم للحكومة الاسرائيلية ، والذى اتخذ فى شهر سبتمبر ١٩٥٣ عندما حاولت تحويل مياه نهر الأردن لتنمية صحراء النقب وكان المشروع مايزال طى الكتمان ، اذ رأت اسرائيل أن تقاوم ضغط الحكومات العربية وكذلك الأمم المتحدة لايقاف العمل حتى يمكن التوصل الى حل مع الأطراف المعنية ، كما طلبت الحكومة الأمريكية ارجاء العمل فى هذا المشروع طبقا لقرار الأمم المتحدة(٤٦)

ورغم هذا فان العلاقة وثيقة بين مشروع المياه الاسرائيلى وخطة جونستون التى رفضتها الأمم المتحدة(٤٧) وواضح أن دلاس واجه ضغوطا بخصوص مشروع المياه الاسرائيلى حتى يمكن التوصل الى تسوية مشاكل المياه فى المنطقة(٤٨) .

وعلى الرغم من أنه لم يتمكن من أن يضع خطة جونستون Gonoston موضع التنفيذ ، فهذه هى الحقيقة ، وأن قادة اسرائيل قرروا أن يتصرفوا بكل حرية فى هذا المجال .

ونتيجة لهذا فان الولايات المتحدة اتخذت موقفا متشددا فى مناهضة اسرائيل قرارات الأمم المتحدة بصفة مستمرة ، ففى ٢٠ أكتوبر ـ وفى أقل من شهر ـ عقب زيارة الجنرال فاجن بننكن

Vagn Bennike رئيس الأمم المتحدة الى المنطقة طلب من اسرائيل أن توقف أعمالها العسكرية(٤٩) كما أعلق وزير الخارجية الأمريكية دلاس تخفيض المساعدات الاقتصادية لاسرائيل ٠٠ لأنه من المؤكد أن دولة اسرائيل سوف لاتحترم ولاتقدر قرارات بننكى Bennike (٥٠) حيث كان من المقرر أن تقدم لها ٥٠ مليون دولار من برنامج المساعدات الخارجية و ٦٠ مليون دولار اعتمادات مالية طارئة ٠

ان ساسة أمريكا يجب أن يضعوا فى اعتبارهم موقف اسرائيل تجاه جيرانها العرب ، فقد لوحظ أن اسرائيل بدأت فى تحصين منطقة العوجة وتحويلها الى الادارة المدنية ، فلربما كان هذا العمل مرتبطا باعلان شهر اكتوبر بهدف التأثير على سير المفاوضات الانجليزية مع مصر بهدف عرقلة التوصل الى جلاء الانجليز عن مصر ٠ كما قامت اسرائيل بشن غارات عسكرية مكثفة على مدينة العقبة الاردنية وذلك عقب تصريح المسئولين الأمريكيين بارسال جونستون الى دول المنطقة مرة أخرى .

وبالاشارة الى كتابات الصحف المصرية : فان الاغارة الاسرائيلية على مدينة العقبة يعد جزءا من خطة اسرائيل لاجبار دول الجوار على اقرار السلام مع اسرائيل ، وفى نفس الوقت دفع أمريكا لمزاولة ضغطها على الدول العربية لقبول فكرة السلام مع اسرائيل ٠ وسواء كانت هذه السياسة الاسرائيلية صائبة أم مخطئة ، فان معارضة العرب لهذه الخطة الاسرائيلية الداعية الى ضرورة التعاون معها قائمة ، ومن هنا يتضح هدف العدوان الاسرائيلى على الدول العربية المجاورة(٥١) ٠

وجدير بالذكر أن الغارة الاسرائيلية على مدينة العقبة الأردنية قد أثارت غضب المسئولين الأمريكيين الجدد ، مما اضطر الولايات المتحدة أن تشارك كلا من فرنسا وبريطانيا فى تقديم احتجاج لدى سكرتارية الأمم المتحدة ، وأن موقف أمريكا قد عبر عنه مندوبها الدائم جيمس واد سورث James Wadsworth بالقاء اللوم على اسرائيل مؤكدا بأن الغارة العسكرية على مدينة العقبة يعد خرقا لقرار وقف اطلاق النار ، ولميثاق الأمم المتحدة .

وعلى الرغم من أنه اعتبر كلا من الأردن واسرائيل مسئولين مسئولية كاملة عن مثل هذه الأعمال ، فان الولايات المتحدة لن تشارك دولا أخرى فى ابداء رأيها ، وفى ٢٤ نوفمبر ١٩٥٣ صدر قرار بشجب العدوان الاسرائيلى على العقبة(٥٢) . وفى نفس الوقت وافقت اسرائيل على التعاون مع الأمم المتحدة فيما يتعلق بمشروع مياه نهر الأردن ، ومن ثم رأى المسئولون الأمريكيون ضرورة الاستمرار فى تقديم المساعدات لاسرائيل(٥٣) .

كما وافقت اسرائيل على التعاون مع الولايات المتحدة خاصة فى مشروع دفاعها المعروف « بالحزام الشمالى » والذى سوف تتضمنه مفاوضات اتفاقية جلاء القوات الانجليزية عن مصر – وفى أواخر عام ١٩٥٣ رأت مصر تحدى اسرائيل بمنع سفنها من المرور فى قناة السويس ، واحتجت اسرائيل بشدة على موقف مصر المتشدد ، فى وقت كانت اسرائيل تسعى الى فشل المفاوضات الانجليزية مع مصر .

وكان كل من مصر واسرائيل له وجهة نظر قوية يستند اليها فقد اتهمت اسرائيل مصر بأنها لم تلتزم بتنفيذ المادة الأولى من معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨ والتى تنص على أن « قناة السويس

التجارية ستظل مفتوحة وحرة وقت السلم والحرب امام جميع السفن التجارية او الحربية التى لم تكن معها فى حالة حرب »(٥٤) ٠

ولكن مصر استنادا الى المادة ١٠ من معاهدة القسطنطينية والى المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة ، ودفاعا عن نفسها فان لها الحق فى منع أى سفينة معادية لها من العبور فى القناة خاصة وأن مصر تعتبر نفسها فى حالة حرب مع اسرائيل منذ عام ١٩٤٩ ٠

وقد سبق أن منعت انجلترا المانيا من المرور بقناة السويس اثناء الحرب العالمية الثانية كما أعلنت مصر طبقا للقانون الدولى ، منع أى سفينة تتعاون مع اسرائيل من المرور عبر قناة السويس ٠

وبالرغم من أن هذه المشكلة لم تعرض على محكمة العدل الدولية فان مجلس الأمن اعتبر أن قرار مصر بمنع مرور السفن ـ التى لها علاقة باسرائيل ـ غير عادل وغير قانونى(٥٥) وظلت مصر متمسكة بموقفها ، وفى ٢ ديسمبر ١٩٥٣ ، قد أضافت مصر الى القائمة السوداء تلك الدول المتعاونة مع اسرائيل بمنعها من المرور فى قناة السويس(٥٦) ٠

وفى ١٦ ديسمبر ١٩٥٣ منعت مصر السفينة الحربية فرانكا ماريا Franca Maria المتعاونة مع اسرائيل من المرور من قناة السويس(٥٧) ٠

وفى يناير ١٩٥٤ قدمت اسرائيل احتجاجا الى مجلس الأمن بمنع مصر سفينة تجارية متعاونة مع اسرائيل ، مدعية أن هذا يخالف اتفاقية الهدنة بين مصر واسرائيل الموقعة فى ١٩٤٩ ، وكذلك يناقض قرار الأمم المتحدة الصادر فى ١٩٥١ ، وأن هذا التصرف مخالف لميثاق الأمم المتحدة ، كما أشارت اسرائيل بانها ليست الدولة الوحيدة التى لا تلتزم بقرارات الأمم المتحدة ٠

وواضح أن اسرائيل كانت تعتمد بالدرجة الأولى على دعـــم ومساندة الولايات المتحدة ، وهى التى أيدت اسرائيل بالفعل فى احقيتها بالمرور من قناة السويس ، ومضيق تيران ، ولهذا طالبت اسرائيل بأحقيتها من المرور من قناة السويس ، وليس من حق مصر أن تتحكم فى حرية الملاحة العالمية بالقناة(٥٨) ٠

وفى الحقيقة أن الولايات المتحدة قدمت احتجـاجا ضـد مصر(٥٩) وصوتت لصالح اسرائيل فى جلسة مجلس الأمن ، والذى يطالب مصر بحرية الملاحة فى قناة السويس(٦٠) ٠

ولكن مصر احتجت بشدة ، مصرة على أن اغلاق قناة السويس حق مشروع لها حسب نص معاهدة القسطنطينية ، وكانت تعتبر موقف الولايات المتحدة المؤيد لاسرائيل موقفا غير عادل نظرا لتأييدها ودعمها السابق لاسرائيل ٠

ولاستمرار العلاقات العربية ـ الأمريكية رأى ايزنهاور أن يصرح بقوله : « بأنه سوف يبذل كل مافى وسعه لاستعادة ثقـة العرب فى سياسة الولايات المتحدة »(٦١) ٠

وطالعتنا الصحافة المصرية بعناوين مثيرة عن تطور العلاقات المصرية ـ الامريكية ، وأنه لاتعاون مع أمريكا مادامت بقيت أمريكا تساند وتدعم اسرائيل ضدهم(٦٢) ولفتت الصحافة المصرية النظر الى نزاهة السياسة السوفيتية بالنسبة للدول العربية ويجب أن نضع فى اعتبارنا أن الموقف بين العرب واسرائيل أصبح مشكلة عالمية ، فاسرائيل يدعمها كل من أمريكا وانجلترا فى حين تدعـم روسيا العرب(٦٣) ٠

وتشددت مصر فى موقفها ، وان كـان هذا مرتبطا بسـير المفاوضات المصرية ـ الانجليزية ، اذ كانت انجلترا تشترط بانسحاب

قواتها من مصر والذى تشجعه أمريكا مقابل أن يكون لاسرائيل الحق فى المرور من قناة السويس(٦٤) ٠

***

وظهر فى أفق السياسة الداخلية فى مصر ، صراع بين اللواء نجيب وناصر الذى يمسك بزمام الأمور ، وطبيعيا أن يكون التأييد الأمريكى لحل المسألة المصرية قد شجع الاتحاد السوفيتى على الاعتراض على سياسة الغرب المؤيدة لاسرائيل ، محاولة منها كسب العرب الى جانبها(٦٥) ٠ وهذه مخاطر لابد من تجنبها ، وابتداء من هذا الموقف فقد بدأ الاتحاد السوفيتى يساند العرب فى قضاياهم ، ولاشك أن مناصرة العرب ضد اسرائيل سيكون لهذه السياسة تأثيرها القوى على الأوضاع العربية(٦٦) ٠

وكان لابد من وضع السياسة الأمريكية الجديدة موضع الاختبار فى ظل الظروف العسكرية التى فرضت عليها فى منطقة الشرق الأوسط اذ كانت اسرائيل قد صعدت موقفها العسكرى ضد جيرانها العرب ومن المعروف أنه بجانب التنظيمات الصهيونية واليهودية ، فهناك عناصر أمريكية أخرى لها تأثير قوى على المسئولين الأمريكيين وان كنا نبالغ كثيرا فى قوة هذا اللوبى داخل المجتمع الأمريكى ٠

وأى محاولة لتقديم مساعدات للعرب كانت تقابل بالمعارضة الشديدة من خلف ظهر حكومة واشنطون ، على الرغم من حرص أعضاء الكونجرس الأمريكى باخفاء مشاعرهم الحقيقية تجاه الدول العربية مراعاة لموقف اسرائيل وللرأى العام الأمريكى تجاه هذه الدولة ، وهذه حقيقة كانت كل الحكومات الأمريكية تلتزم بها(٦٧) ٠

ونظرا لأن هذه المجموعة من اعضاء الكونجرس الأمريكى كان لها تأثير قوى خاصة فى الانتخابات الأمريكية ، فمن ثـم كانـوا يقاومون اى تقارب أمريكى بهدف حل المشكلة العربية ـ الاسرائيلية ٠

وكانت مناقشات المشكلة فى الكونجرس الأمـريكى اما ان تنتهى بالموافقة واما بالرفض بما يتلاءم ومصالح اسرائيل ـ وكمثال لهذا عند مناقشة تسليح العرب المجاورين (مثل أصدقاء أمريكا فى حلف بغداد أو تقديم مساعدات ضخمة الى مصر) وعلى هذا فقد أحدث تأكيد البيان الثلاثى رد فعل حسنا لدى اسرائيل ٠ وكما سوف نلاحظه فى الفصول التالية ، ان اثر هذه السياسة على صـانعى القرار (من الامريكيين) يؤثر عليهم لمدة طويلة ٠

ففى عام ١٩٥٤ قد اثر اللوبى الصهيونى المؤيد لاسرائيل فى منع تسليح أمريكا للعالم العربى ، وايضا حينما فشلت المفاوضات المصرية البريطانية فى التوصل الى اتفاق بينهما ، فان هذا اللوبى كان قوى التأثير على السياسة الأمريكية بعدم تسـليح الجيـش المصرى اذ من المحتمل استخدام هذا السلاح ضد القوات البريطانية الموجودة بقاعدة قناة السويس ٠

وفى احدى المحاولات كاد أن يتم اتفاق بتسليح مصر ، ولكن المؤيدين لاسرائيل سارعوا الى عرقلة هذه الخطوة ، ولم يتم توقيع الاتفاق بين مصر وأمريكا ٠ وهذا الاتفاق شـبيه بالذى كان بين أمريكا والعراق والذى يقضى بتقديم مساعدات عسكرية لها والذى وقع في شهر أبريل ١٩٥٤(٦٨) ، وبذلك انتصر اللوبى الصهيونى المؤيد لاسرائيل كما انتصـر من قبل فى عـدم تسـليح الجيش المصرى(٦٩) ٠

ونتيجة لهذا فان مجموعة الضغط (اللوبى) الموجودة فى مجلس الشيوخ والنواب استطاعوا التاثير على اعضاء لجنة الشئون العسكرية اذ كانوا يخشون كثيرا على الأمن الاسرائيلى وعلاقته بالدول العربية ، وفى النهاية تمكنوا من تحويل المساعدات العسكرية المزمع تقديمها للدول العربية الى الجيش الاسرائيلى(٧٠) ٠

وباختصار ، اذ أعقب توصل مصر وانجلترا الى مسودة اتفاق مقبولة لدى الطرفين فى شهر يوليو ، ولكن هذا اللوبى استطاع أن يعرقل هذه الخطوة ، ففى ٢٥ أكتوبر ١٩٥٤ ـ بعد مضى ستة أيام من توقيع الاتفاق بين مصر وانجلترا ـ قدم ٦٠ عضوا يهوديا فى الكونجرس الأمريكى معارضتهم لمشروع دلاس الخاص بتسليح الدول العربية(٧١) ٠

وفى أثناء انشغال أمريكا بانشاء منظمة الدفاع الغربية فى اطار نظام الحرب الباردة ، أمعنت اسرائيل فى تشددها تجاه جيرانها من الدول العربية ، وكمثال لهذا ، ففى ربيع عام ١٩٥٤ وعقب توقيع اتفاقية الدفاع الأمريكى ـ العراقى ، شنت اسرائيل فى شهر أبريل غارة شديدة على الأردن غير عابئة وغير مقدرة للظروف الراهنة ضد الأردن ذى الأهمية البالغة فى نظام الدفاع الغربى المزمع انشاؤه بالرغم من تحذيرات الغرب من مغبة الاقدام على مثل هذا العمل ومن هنا أصبح الموقف العسكرى معقدا بسبب موقف اسرائيل وسياستها العدوانية فى المنطقة ، وكانت تهدف من وراء ذلك القضاء على فكرة تعاون العرب فى نظام الدفاع الغربى والموجه بالدرجة الأولى ضد الاتحاد السوفيتى ٠ ان عمل اسرائيل العنيف تعتقد أنه يقوى من وضعها الداخلى ، وفى نفس الوقت تهدف من وراء ذلك بأن تبقى أمريكا حيث هى ملتزمة بالحياد والنزاهة فى سياستها الخارجية دون التقرب الى العرب ٠

ومن الملاحظ أن المسئولين الأمريكيين لم يقفوا مكتوفى الأيدى ازاء عربدة اسرائيل فى المنطقة ، وتدخلها فى سياســـة أمريكـا الداخلية والتى كانت سببا مباشرا لتزايد النفوذ الســـوفيتى فى المنطقة ٠

وتصدت مصادر أمريكية خاصة لتوبيخ اســـرائيل بكلمات وعبارات قوية بهدف رفع الروح المعنوية فى داخل المجتمع الأمريكى ، وقد أشــار هنـــرى بايرود Henry Byroade مســـاعد وزير الخارجية فى شهر أبريل بقوله : « بأن الأمـــريكان يرغبون فـى الوصول الى منطقة الشرق الأوسط وتقوم سياستهم على ثـلاث دعائم :

١ ـ الشعب العربى البالغ عدده ٦٥ مليون نسمة ٠

٢ ـ الموقع الاستراتيجى للعالم العربى ٠

٣ ـ بترول العالم العربى البالغ الأهمية للمصالح الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط ، وبالنسبة لمصالح شعبنا المتعلقة بالأمن الأمريكى »(٧٢) ٠

وقد استخدام أسلوبا حادا ، فقد أسدى النصح لاسرائيل بأن تتخلى عن عجرفتها وتسعى الى أن تكون أعمالها متفقة تماما مع قوتها ٠

وفى تصريح تال فى أقل من شهر حذر هنرى بايرود بقوله :

« ان أمريكا لا يمكن أن تكون تابعة لأى دولة بمـــا فى ذلك اسرائيل ، خاصة فيما يتعلق بأعمالها العدوانية فى المنطقـــة وان سياسة أمريكا تتفق تماما مع قوتها الدولية »(٧٣) ٠

ومن قبل فقد استنكر مساعد وزير الخارجية الأمريكية الغارة الاسرائيلية على العقبة بقوله : « أرفض مثل هذا العمل العسكرى الاسرائيلى على العقبة ، فالخاسر فى هذه الحالة هو أمريكا لا اسرائيل ، اولا أن هوة الخلاف والكراهية سوف تزداد بين العرب واسرائيل ، بالاضافة الى هذا فان العرب سوف يوجهون اللوم الى أمريكا لا الى اسرائيل ، وسوف يقولون بأن أمريكا تقف موقف المتفرج ، كما أنهم سوف يقولون من هو عدونا الآن ؟ ومن الذى قام بمثل هذا العدوان ؟ وأن الولايات المتحدة هى التى تساند مثل هذا العمل »(٧٤) .

ان هذه السياسة الاسرائيلية شكلت معارضة فى داخل اسرائيل نفسها ، ومن الذين يساندون اسرائيل فى أمريكا(٧٥) وعلى الرغم من هذا فان وزارة الخارجية الأمريكية ساندت وأيدت تصريحات هنرى بايرود وصرحت بقولها : « ان الشعب الأمريكى مستاء من هذه الأخبار السيئة وكانت اسرائيل ماتزال تبحث عن طريقة تزجر بها العرب أجمعين ، خاصة فيما يتعلق بسياسة التهجير الاجبارية التى تلجأ اليها اسرائيل للضغط على العرب الفلسطينيين »(٧٦) .

لاشك أن موقف أمريكا المعارض كان يهدف الى الضغط على اسرائيل والايحاء اليها بأنها تقف بمفردها فى معركتها ضد العرب وهذه السياسة الأمريكية نجحت فى اقناع بعض الدول العربية بالاشتراك فى نظام الدفاع الغربى عن المنطقة ، وكادت أمريكا أن تنجح فى اقناع معظم الدول العربية بهذه السياسة فى عام ١٩٥٥ .

* * *

وفى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ـ بعد يومين فقط من توقيع اتفاقية حلف بغداد ـ تبدد الهدوء الذى ساد على الحدود بين مصر واسرائيل اذ حشدت اسرائيل قواتها ، وشنت غارة عسكرية شديدة على قطاع غزة ويعتبر هذا هو الاشتباك الأول بين مصر واسرائيل منذ ١٩٤٨ وقتل عدد من الجنود المصريين والفلسطينيين(٧٧) ، وهذا التصعيد العسكرى العنيف بين الدولتين أعقبه حرب السويس ـ بعد ذلك بواحد وعشرين شهرا فقط •

وهناك دوافع كثيرة تعللت بها اسرائيل فى عدوانها على مصر والذى استنكرته كل قوات البوليس الدولى من قبل الأمم المتحدة ومجلس الأمن(٧٨) وقد بررت اسرائيل عدوانها بأن مجموعة من الفدائين كانوا يقومون بأعمال عدوانية على حدود اسرائيل ، وقد ألقى موشى ديان General M. Dayan اللوم على الفدائيين المصريين ، على الرغم من أنه يعترف بأن أعمال الفدائيين هذه أعمال لاحقة وليست سابقة على الغارة الاسرائيلية على قطاع غزه(٧٩) •

ومن المحتمل أن هناك العديد من الدوافع والأسباب التى جاءت فى مذكرات ديان تؤكد هذه الحقائق ، فان بدء انسحاب القوات الانجليزية لم يكن قد مضى عليه أكثر من شهر ومن ثم فقد أصبح من المستحيل قبول مصر فكرة الانضمام الى نظام الدفاع الغربى •

اذ كانت اسرائيل تنتهج سياسة مناقضة لسياسة الغرب الدفاعية • مما يؤكد وجهة نظر مصر بانه لاخوف من الخطر الشيوعى المزمع حدوثه ، انما الخطر الحقيقى هو زرع اسرائيل فى

قلب الوطن العربى(٨٠) وأعقب هذا العمل العسكرى على غزة ، عملية أخرى كانت تعرف بعملية لافون Lavon والتى حدثت فى يوليو ١٩٥٤ عندما كان بنحاس لافون Pinhas Lavon وزيرا للدفاع ، وكان موشى شاريت Moshe Charett رئيسا للوزراء فى عملية تجسس غاية فى السرية والأهمية ، وكانت موجهه بالدرجة الأولى ضد المصالح الأمريكية فى القاهرة والاسكندرية فى وقت حدث فيه التقارب الشديد بين مصر وأمريكا ، وهؤلاء الجواسيس كانوا مكلفين بوضع عبوات متفجرة فى ست دور للسينما فى القاهرة والاسكندرية وكانت هذه الدور مملوكة لأمريكا ، وكانت هذه العملية التخريبية بدون اذن بن جوريوت Ben Gurion مما أثار غضبه ضد لافون ، وأجبره على الانسحاب من حزب العمل الاسرائيلى(٨١) ٠

ونتيجة لتداعيات الأحداث التى ترتبت على غارة غزة التى ساعدت على اتساع هوة الخلاف والتباعد بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية ٠ وبصفة عامة فان اسرائيل تعد هى المسئولة بالدرجة الأولى ٠

ومنذ هذا الحدث وحتى حرب السويس فى اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٥٦ تعددت الاشتباكات العسكرية على حدود مصر واسرائيل لدرجة الخطورة وهذه الغارات الاسرائيلية افزعت قادة مصر وجعلتهم يدركون يقينا أهمية تسليح الجيش المصرى خاصة عندما أصبح معروفا أن اسرائيل حصلت من فرنسا على أسلحة هجومية فى أغسطس ١٩٥٤ على الرغم من أن فرنسا عضو فى البيان الثلاثى الموقع فى ١٩٥٠(٨٢) وفى الواقع أن الولايات المتحدة الأمريكية استمرت فى تجاهل طلب مصر للسلاح الغربى مما جعل

مصر فى حاجة ماسة بشكل عاجل الى السلاح من الاتحاد السوفيتى لحماية أمنها المهدد بالخطر ٠

وتدهورت الأوضاع بين مصر واسرائيل اثر الغارة الاسرائيلية على قطاع غزة ، وبذلت الولايات المتحدة جهدا بالغا فى عــــدم انفجار الموقف فى منطقة الشرق الأوسط(٨٣) وأعلن وزير خارجية أمريكا جون فوستر دلاس فى ٢٦ أغســـطس ١٩٥٥ أن الولايات المتحدة قد انتهت من معظم ترتيباتها فى المنطقة ، هذا البيان الملقى أمام لجنة العلاقات الخارجية قبل أربعة أيام من علم الولايــات المتحدة بعرض الاتحاد السوفيتى على مصر ذلك الاقتراح الخاص بتسليح الجيش المصرى(٨٤) ، وجاء هذا الاقتراح السوفيتى ليحبط أى تقارب قد يحدث بين مصر وأمريكا ٠

وهذا التطور المفاجىء - من جانب السوفيت جعل جــون فوستر دلاس يعكف بكل جدية على وضع حلول لكل مشاكل المنطقة بين العرب واسرائيل وعلى هذا فان مشكلة اللاجئين الفلسطينيين تتطلب اعادة توطينهم بشكل مناسب ، وهذا ممكـــن تحقيقه اذا ما أمكن التوسع فى رقعة الأراضى الزراعية بتنمية مصادر المياه وامكانية تحقيق هذه المساعى الأمريكية يتوقف على مدى مساعدات اسرائيل بتعويض اللاجئين الفلسطينيين كجـزء من حـــل المشكلة وبالنسبة لدلاس فانه يرى أن حل مشكلة اللاجئين الفلسطينين يمكن أن تساعد فى حل المشكلة حلا مناسبا على ضفتى نهر الأردن(٨٥) ٠

وبالنسبة للنزاع العربى - الاسرائيلى فان دلاس كان يسعى الى توسيع دائرة العلاقات والارتباطات الأمريكية حتى يتفادى انفجار الموقف بين اسرائيل وجيرانها العرب ، وعند هذا الحد أوضح دلاس أن هدف السياسة الأمريكية هو تهيئة المناخ المناسب لتوقيع اتفاقية

الدفاع الغربية على أن يترك الباب مفتوحا أمام رغبة الدول التى تريد الانضمام اليها مستقبلا ، وأن تكون تحت رعاية واشراف الأمم المتحدة ·

ولكن مشكلة الحدود تظل هى أهم جانب فى المشكلة ، فبعد هزيمة العرب فى حرب ١٩٤٨ ، طلبت الدول العربيـــة أن تعـود اسرائيل الى حدود تقسيم الأمم المتحدة ١٩٤٧ ·

ولكن اسرائيل رفضت هذه المطالب العربية على اعتبار أن العرب رفضوا هذا التقســـيم فى ذلك الوقت ، وأن هذه الأراضى كسبتها اسرائيل بانتصارها على العرب فى حـرب ١٩٤٨ ، وأن الحدود الدولية غالبا ما كانت تعطى العرب الضفة الشرقية لنهـر الأردن(٨٦) ·

وكانت مشكلة الحدود هذه بين العرب واسرائيل هى الشغل الشاغل للسياسيين الأمريكيين · وعلى هذا فقد قدم دلاس حـــلا قابلا للنقاش والتفاهم بين الجانبين · « ان حدود الهدنة بين مصر واسرائيل قد تم تحديدها منذ اتفاقية الهدنه فى ١٩٤٩ ، انهم لـم يحددوا فيما بينهما الحدود بشكل واضح ومحدد ، وهذا يدل على الوضع الذى كان عليه الموقف بينهما وقت الحرب ·

وبكل تأكيد لم يتمكنوا من رسم الحدود بما يتفق وحاجتهم وأوضاعهم الاستراتيجية ·· واعتقد أنه من المستحيل أن تتحقق كل المطالب لكل منهما · ومن ثم فقد أصبح من المحتم على الولايات المتحدة أن تجد حلا لهذه المشكلة(٨٧) ووصلت جهود دلاس الى نهايتها بشكل واضح ، وأعقب ذلك تأكيد بريطانيا بشىء من السرعة على البيان الثلاثى ــ انجلترا ، فرنسا ، أمريكا ــ الصادر فى ١٩٥٠(٨٨) ·

وبرغم هذه المقترحات فانه من الممكن نجـــاحها اذا تمكـن المتحاربون أنفسهم من التوصل الى حل كل أسباب التوتر ولكن كان من المستحيل توقيع مثل هذا الاتفاق بعد وقوع غارة اسرائيل على قطاع غزة ، والأسلوب الوحشى الذى صاحب هذا العدوان ٠

وتطبيقا لنظرية انصاف الحلول فبامكان أمريكا الوصـــول الى منطقة الشرق الأوسط ، ومن هنا فقد القيت مسئولية الدولتين على عاتق جون فوستر دلاس لحل مشكلة الحدود بين الدولتين ، اما فيما يتعلق بمشكلة اللاجئين فقد تم فصـــلها عن المشـــكلة برمتها ٠

وعلى الرغم من أن مقترحات دلاس لم تحقق كل ما كان يسعى العرب اليـــه فـــان هذا الاقتراح قوبل بالرفض التام من جانب اسرائيل وعلى هذا فلم يكن من المقبول فرض الحل بالقوة على الطرفين ، ولهذا لم يكن هناك ثمة أمل فى توقيع اتفاق بينهما(٨٩) ٠

ومع كل التقدير لوجهة نظر مصر والتى أشار اليها محمد حسنين هيكل بقوله : « ان ناصر وجد أن الأمريكان وضعوا حـــلا للمشكلة بشكل مظهرى ولا يمت للواقع بصلة ٠ وكان ناصر يـــرى أن اسرائيل ليس لديها الرغبة فى قبول تقسيم الحدود بمقتضـــى قرار الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٧ ، وهو ماسبق أن أقره ناصر فى المفاوضات السابقة »(٩٠) ٠

وكانت وجهة ناصر تتسم بالبساطة والوضوح ما لم يحدث سوء ظن من قبل السياسيين الأمريكيين الذين كانوا يهدفون الى اضعاف العرب والأهم من ذلك هو مقدرة أمريكا على اجبار اسرائيل على قبول سياستها هذه ، ومنذ عامين مضيا ، فان السفير المصرى فى واشنطون ــ أحمد حسين ــ كان أتم استعداده لتنفيذ السياسة

المصرية هذه ، والعرب لايتوقعون أن تتخلى أمريكا عن مناصرة اسرائيل ودعمها ، ولكن نحن العرب لانريد اسرائيل أو اللوبى الصهيونى أن يجبر حكومة الولايات المتحدة بأن تتخلى عن العرب »(٩١) .

ومن المستحيل على ساسة أمريكا أن يحققوا مطالب المسئولين المصريين أو يفقدوا تأثيرهم لتحقيق المطالب المصرية تقديرا لإسرائيل(٩٢) ويتضح هذا الوضع من خلال استقراء البيانات التالية خلال المدة ١٩٤٥/١٩٥٥ : حيث حصلت مصر على ٣٠ مليون دولار منها ٢٦ مليون دولار قروض ، وأربعة ملايين منحة ؛ في حين حصلت اسرائيل على ٣٧٠ مليون دولار منها ٢٣٣ مليون كقروض ، و ١٣٧ مليون دولار كمنحة ، وحصلت الأردن على ٢٥ مليون دولار كقرض فقط وفى نفس الفترة الزمنية حصلت دول الشرق الأدنى وأفريقيا على ١٩٦ مليون دولار منها ١٨٩ مليون دولار كقرض وسبعة ملايين دولار كمنحة(٩٣) .

ويتضح من هذا قيمة القروض المقدمة لدول الشرق الأوسط من بنك أمريكا للاستيراد والتصدير ماقيمته ٤٧٫٣٣٥٠٠٠ دولار ، وحصلت مصر على ٧٫٣٣٥٫٠٠٠ دولار بينما حصلت اسرائيل على ١٣٥ مليون دولار .

وبجانب هذه القروض فان اسرائيل تستطيع أن تحصل على مبالغ كبيرة من التبرعات المقدمة من المنظمة اليهودية بأمريكا ، وهذه التبرعات تبلغ ٦٠ مليون دولار سنويا كهبة خاصة ، ٥٠ مليون دولار كرشاوى خاصة باسرائيل وجميع هذه المساعدات المالية والقروض والهبات فهى مقدمة بصفة خاصة لاسرائيل عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية(٩٤) .

وظلت أمريكا متمسكة بموقفها الرافض للاستجابة لكل طلبات اسرائيل لتسليح جيشها فى هذه الآونة ، ولكن اسرائيل تمكنت من الحصول على كل طلبات التسليح الخاص بجيشها من فرنســـا ابتداء من ١٩٥٤ ٠

هذه الخلفية التاريخية توضح لماذا كانت حاجة مصر الملحة الى تسليح جيشها خلال هذه الفترة خاصة بعد العدوان على غزة ومن هنا تغلبت العلاقات الخاصة بين اسرائيل وأمريكا ، ونتيجـــة للضغوط الداخلية رفضت أمريكا الاستجابة لطلبات مصر بتسليح جيشها ونظرا للموقف المتشدد لكلا الدولتين المتحاربتين فقد تصاعدت حدة الأعمال العدوانية بين مصر واسرائيل ٠

وازدادت أعمال الفدائيين من كلا الطـــرفين : المصـــرى والاسرائيلى لدرجة انها أصبحت بمثابة حرب شاملة ، ومن ثم فشلت كل المحاولات الأمريكية فى احتواء ناصر الى جانبها ، وظل الوضع هكذا حتى حدوث أزمة السويس ١٩٥٦ ٠

وكان فشـــل سياسة الرئيس أيزنهاور فى أولى خطواته بمنطقة الشرق الأوسط دافعا الى تغيير شامل لكل الشخصيات السياســية والحرص على بدء مرحلة جديدة ، أعلن عنها فى أغسطس ١٩٥٥ ، وفى شهر أبريل ١٩٥٦ أكدت الولايات المتحدة أنها قادرة على منح موافقتها على الاقتراح الانجليزى ـ السوفتيى المقدم للأمم المتحدة والذى يقضى بأن تكون منطقة الشرق الأوسط خالية من السلاح(٩٥)

وفى شهر نوفمبر وقد أوشكت الحملة الانتخابية أن تنتهى واذا بالمسئولين الأمريكيين يحيلون مســألة النـــزاع العربى ـ الاسرائيلى الى الأمم المتحدة ، حيث فشلت كل الجهود الدبلوماسية فى تهدئة الأوضاع بين البلدين ، هذا أمر شبيه بما كان عليه الوضع فى الماضى القريب أيام الرئيس هارى ترومان Hary Truman

وقد أنهى دلاس هذه المشكلة بهذه الملاحظة : « انني أشـــعر بأن اسرائيل لديها احساس قوى بمواجهة الأمم المتحدة »(٩٦) ٠

ولقد اتضح مؤخرا أن هناك فرصا ضائعــة ، والخوف من ثورة الرأى العام الذى كان عازما على حتمية التوصل الى حل بكل الوسائل والآراء المتبادلة حتى يمكن الوصول الى حل للمشـــكلة ولاشك أن مثل هذه الحلول سوف تغضب اسرائيل لأن أى حل معهم مرهون بأمن دولتهم اليهودية ٠

ولاشك أن مثل هذهالفرص الضائعة ، تضعف كلا الموقفين العربى والاسرائيلى ، ولكن العقبة الكبرى هى قوة الرأى العام لدرجة أنها اصبحت بمثابة صخرة تتحطـم عليهـــا كل محاولات الراغبين فى التوصل الىحل ، هذه هى المشكلة الحقيقية كما يراها المسئولون الامريكيون ٠

N O T E S

(1) King Hussein of Jordan, **Uneasy Lies the Head** (New York : Bernard Geis Associates, 1963), P. 86.

(2) Egypt's desire to soft-pedal the Israeli question at this time is seen in a CBS interview with General Naguib. Questioned on a renewal of the Palestine War, he commented that Egypt's relations «are friendly with the whole world.» **Egyptian Gazette**, 30 September 1952. Dulles, following his trip to Cairo, summarized the Egyptian attitude : «Naguib feels moving forward on arrangments with Israel is not too difficult once he solves his problems with the British. «Dulles.» «Important Ponits of Trip,» Unpublished Memorandum, **Dulles Private Papers.**

(3) Ibid.

(4) **New York Times,** 11 December 1952. See also **Egyptian Gazette** editorials on this matter throughout May 1953.

(5) H.A. Byroade, «U.S. Foreign Policy in the Middle East,» U.S. Department of State, **Bulletin,** 15 December 1952, P. 932.

(6) **New York Times, 3 March 1953.**

(7) Dulles, «Important Points of Trip. «Unpblished Memroandum, **Dulles Private Papers.**

(8) See the statment by Dulles at the Foriegn Service Association luncheon, U.S. Department of State, **Bulletin, 19 February** 1953; in another statement ibid. 8 June 1953, PP. 804 — 05), he recognized that the communists could make inroads upon the region by exploitnig the situation of the Palestnian refugees and the Arab hatred of Israel. In still another statement on 10 March 1953. Dulles regarded the need for peace as a prerequisite for the establishment of a defense system.

(9) Ibid., 28 May 1953, P. 738.

(10) **New York Times,** 18 Febuary 1953. Following the announcement of the «Doctors' Plot» in the Soviet Union (ibid., 13 January 1953), the Soviet Legation in Israel was bombed, Ibid., 13 Feburary 1953. In reaction, the Soviet diplomatic representation was wihdrawn from Israel.

(11) **Al Ahram,** 3 March 1953.

(12) **Egyptian Gazette,** 11 May 1953, **Al Ahram** added to Naguib's comments by writing that peace would come between Israel and the Arabs only if the problem of the Palestinian refugees where solved. If this problem and that of British evacuation were eliminated, the paper indicated that the Arab states would be more receptive to the American sponsored Middle East Defense Pact. **Al Ahram,** 11 May 1953.

(13) Numerous skirmishes were reported durnig the period 20 — 23 May. M. Mansoor, ed., **The Arab World** (Washington : NCR Microcard Editions, 1973), vol. 3, 24 May 1953.

(14) U.S. Department of State, **Bulletin,** 15 June 1953, PP. 832 — 35. Aspects of this Report are also discussed in chapter 4.

(15) **Bulletin des Nations Unies**, Volume VIII, No. 9, 1 May 1950, P. 394; ibid., No. 12, 15 June 1950, P. 529.

(16) U.S. Department of State, **Bulletin**, 15 June 1953, PP. 832.

(17) Israel consistently refused to implement the United Nation's Resolution of December 1948, which resolved that «refugees wishnig to return to their homes and live at peace with their neighbours should be permitted to do so ......» General Assembly Resolution 194 (III), adopted by the General ssembly on 11 December 1948.

(18) U.S. Department of State, **Bulletin**, 15 June 1953, PP. 832 — 35.

(19) Ibid. Initially, the United States contributed $ 48 million to the U.N. agency concerned with the fate of the Palestinian refugees (U.N. Work and Relief Agency) and yarly met around 70 percent of its budget, UNWRA, **Statistical Summary**, December 1957.

(20) U.S. Department of State, **Bulletin**, 15 June 1953, P. 835.

(21) Ibid. For a discussion of the Tripartite Declaration, see «The United States Enters the Middle East» in the Introduction to this volume.

(22) U.S. Department of State, **Bulletin**, 20 July 1953, p. 90.

(23) Ibid., 26 October 1953, P. 553.

(24) K.B. Doherty, «Jordan Waters, Conflict,» **International Conciliatoin**, May 1965, PP. 22 — 26.

(25) Miles E. Bunger. Chief of the Point-Four Missoin, reportedly advised Jordanian authorities aganist the Johnston Plan. See Dana A. Schmidt, «Prospects for a Solution of the Jordan River Valley Dispute,» **Middle Eastern Affairs**, January 1955, P. 5.

(26) U.S. Department of State, **Bulletin**, 26 October 1953, P. 553.

(27) Ibid., 8 June 1953, P. 824.

(28) **New York Times**, 6 May 1956.

(29) E.H. Hutchison, **Violent Truce** (New York : Devin-Adair, 1956), PP. 90 — 91.

(30) **Al Akhbar Al Gadida**, 28 October 1953.

(31) Humphrey Trevelyan, **The Middle East in Revolution** (London : Macmillan, 1970). P. 40.

(32) Love, **Suez : The Twice-Fought War**, P. 277.

(33) Trevelyan, **The Middle East in Revolution**, P. 40. Apparently, at an Arab beague meeting held in February 1956 to discuss the Johnston Plan. Lebanan and Jordan were prepared to agree; Iraq and Saudi Arabai were neutral; while Syril rejected the Plan.

(34) Doherty, «Jordan Waters Conflict,» P. 27.

(35) U.S. Department of State, **Bulletin**, 30 November and 28 December 1953, PP. 749 — 50, 892.

(36) Abba Eban, **John Fostedr Dulles Oral History Collection**, Seeley G. Mudd Manuscript Library, Princeton University, Prniceton N.J., hereafter referred to as **Dulles Oral History Collection.**

(37) Ibid.

(38) Dulles, «Important Points of Trip,» Private Memorandum. **Dulles Private Papers.** See also Israeli press comments on Dulles's trip, **Jerusalem Post**, 15 May 1953.

(39) Eban , **Dulles Oral History Collection.** See also the statement by Prime Minister Ben Gurion. **New York Times**, 14 March 1953.

(40) See **New York Times**, 13 January and 13 February 1953; see also footnote 10 above.

(41) **New York Times**, 11 July 1953.

(42) See Dulles, «Report to the Nation,» U.S. Department of State, **Bulletin**, 15 June 1953, P. 832 and other sources cited at footnote 15.

(43) U.S. Department of State, **Bulletni**, 20 July 1953, P. 82.

(44) Ibid., 10 August 1953, P. 177.

(45) Despite this de facto recognition, the Untied States continued to deny that this represented a change in policy. See the reply by Dulles to Arab Complaints, **New York Times**, 3 and 4 November 1954.

(46) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 2 September 1953.

(47) Eban, **Dulles Oral History Collection.**

(48) U.S. Department of State, **Bulletin**, 15 June 1953.

(49)**New York Times**, 25 September 1953; ibid., 29 September 1953.

(50) U.S. Department of State, **Bulletin**, 2 November 1953, P. 590.

(51) **Al Ahram**, 19 October 1953. Compare this interpretation with not dissimilar comments by Abba Eban reported above.

(52) U.S. Department of State, **Bulletin**, 14 December 1953, PP. 840 — 41. See also ibid., 26 October 1953, P. 55.

(53) Ibid., 16 November 1953, P. 675.

(54) **Diplomacy in the Near and Middle East** (1), ed. Hurewitz (New York : D. Van Nostrand, 1956). P. 202.

(55) U.N. Security Council, **Official Records**, 558th meeting, 1 September 1951, Resolutions/2322.

(56) Dansoor, ed., **The Arab World** (3), 2 December 1953.

(57) Ibid., 11 December 1953.

(58) Egypt held that Israel, as a «non-existen» state that had seized the Port of Elath after the Egyptian-Israeli Armistice, did not de jure border on the Guly of Aqaba; therefore, it claimed that Israel, as a non-riparian state, held no right under international law. U.N. Security Council, **Official Records**, 659th Meeting 15 February 1954, P.2. The United State consistently supported Israel's position on thsi as on the Suez issue.

(59) **New York Times**, 1 Feburary 1954.

(60) See the speech of the American representative to the Security Council. U.N. Security Council, **Official Rcords**, 662d Meeting, 25 March 1954, PP. 1 — 3; see also 664th Meeting, 29 March 1954, for New Zealand proposal.

(61) Statement by the Egyptian mbassador to Washington, Ahmed Hussein. **Egyptian Gazette**, 22 October 1953. This idea was further echoed in the Egyptian press at the time : «Naturally the Arabs sohuld feel pleased about this positive action on Washington's part. It is a step in the right direction, and should be coupled by American economic and military aid to the Arabs. Our only hope is that the United States will maintain an honest and just policy toward the Palestine Issue, since this is the only way for Washington to restore Arab confidence.» **Al Ahram**, 23 October 1953,

(62) **Al Misri**, 31 March 1954.

(63) **Al Kahira**, 13 April 1954.

(64) Compare General Dayan's comments concerning the September 1954 Bat Galim incident. Dayan explained that this later Israeli attempt to test the Egyptian Canal blockade was a

diplomatic effort to break the Egyptian «strangiehold,» aimed at bringing the matter to the Security Council. By provoknig this incdient just prior to final signature of the Anglo-Egyptian Agreement, Israel hoped that Britain might insist, in its final version of the agreement, that Egypt end the blockade. **Haaretz, 17 April 1964**, quoted in Love, **Suez : The Twice-Fought War, P. 74.**

(65) **Al Ahram**, 3 April 1954.

(66) The Soveit Union also cast a veto in January on a Western proposal, unacceptable to the Arabs, concerning the Jordan River water project. Mansoor, ed., **The Arab World** (3) 22 January 1954. This constituted a marked change in Soviet policy, all the more significant in that the Soviet Union had even abstained from censuring Israel for the Qibya Raid. Fore the frist time, a cold war line-up was apparent in the voting pattern on an issue of great importance to Egypt.

(67) Presidential Adviser Sherman Adams, **Firsthand Report** (New York : Harper and Brothers, 1961), PP. 247 — 48.

(68) Note that by August 1953, the Zionist Organization of America had urged the United States to withhold supplies from the Arab states «in accordance with traditional American policy» of refusing assistance to those nations belligerent to a friendly nation. **New York Times**, 1 September 1953. For information about the American-Iraqi Agreement, see chapter 4.

(69) See **New York Times**, 26 July 1954, for Israeli Foreign warning to the U.S. ibid., 29 July 1954, for Israeli Prime Mniister Sharett's statement on new balance of power; ibid., 8 August 1954, for Ambassador Abba Eban's comments to Dulles on Israeli security. Many other instances oculd be cited.

(70) **New York Times**, 2 August 1954.

(71) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 25 October 1954.

(72) **New York Times**, 10 April 1954.

(73) U.S. Department of State, **Bulletin**, 10 May 1954, p. 709. Byroade added : «We see no basis in our acts to justify her (Israel's) fear that her legitimate interests are placed in jeopardy by United States' concern over the area as a whole ...... When we ask the Arab States to accept the exsitence of the State of Israel and to refrain from hostile acts toward her, it seems only fair to me that they should have the right to know, with far greater assurances than have ever been given them, the magnitude of this new State. They look upon it as a product of expansoinist Zionism. I believe the Arab world today believes that the United States would not allow an attack by them upon Israel with the purpose of driving her into the sea. I also believe, however, that in general the Arab people are not convinced that the opposite is true — and that they question our ability to fulfill our obligations in opposing aggression under the Tripartite Declaratoin of 1950».

(74) U.S. Congress, House of Rerpesentative, **Hearing on the Mutual Security Act of 1954**, 83d Cong., 2nd Sess. (Washington, D.C., Government Printing Office).

(75) See, for example, **New York Times**, 4, 5, and 6 May 1954.

(76) Ibid., 6 May 1954. Byroade's comments on this point elicited strong Israeli protests that this issue was an internal matter, Ibid, 5 May 1954.

(77) Egypt had frequently complained to the United Nations that Israel was buildnig fortifications in the demilitarized zone near Al Auja; however, this situation had never deteriorated to to the shooting stage . Border infiltration noipreviously involved Palestinian refugees and irregulars located in Gaza. Thirty-nine Egyptian soldiers were reportedly killed in the Israeli raid.

(78) **New York Times,** 30 March 1955.

(79) Moshe Dayan, **Diary of the Sinai Campaign** (London : Sphree Books, 1965), P. 40. For the view that the Fedayeen werer not created until April and activated in August 1955 as an Egyptian response to the intensification of Israeli aggressiveness, seee Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 31 August 1955.

(80) Moshe Dayan, «Israel's Border and Security Problem,» **Foreign Affairs,** January 1955, P. 259. One author offers a counter argument, suggesting that Israel hoped to drive Egypt, which was desperately in need of arms, into a Western allaince; this was to ensure that such arms Would not be used against Israel. Arslan Humbaraci. **Middle East Indictement** (London : Robert Hale Ltd. 1958), PP. 196 — 97. Egypt officially and frequently argued that the West used Israel to pressure Egypt into entering the Western defense grouping.

(81) On this subjst, see among others Love, **Suez : The Twice-Fought War,** PP. 76 — 80; **New York Times,** 22 August 1954 and 21 December 1960; Golda Meir, **My Life** (London : Futura Publications, Ltd, 1976), PP. 238 — 39.

(82) See French Minister of Defense General Koenig's admissoin to Love, **Suez : The Twice Fought War,** P. 75.

(83) An earlier attempt in July 1954 to reduce border incursions by strengthening the United Nations Truce Supervision Organization had failed. Ibid., PP. 137 — 38.

(84) **New York Times,** 1 September 1955.

(85) U.S. Department of State, **Bulletin,** 5 September 1955, PP. 379 — 80.

(86) Hutchison, **Violent Truce,** P. XXVI.

(87) U.S. Department of State, **Bulletin,** 5 September 1955, P. 380.

(88) **British Foreign Office** statement, 27 August 1955 (**New York Times,** 28 August 1955).

(89) Campbell, **Defense of the Middle East,** PP. 88 — 89.

(90) Heikal, **The Cairo Documents,** P. 56.

(91) **Egyptian Gazette,** 22 November 1953.

(92) Confirmed by Mohammed Riad to the author.

(93) According to U.S. Department of State, **Bulletin,** 9 April 1956, P. 600.

(94) These figures were to skyrocket in crisis years. Private donations to the Jewish National Fund and the United Jewish Appeal were tax exempt, because these organizations enjoyed the status of charities. See Eilis, **Chalinge in the Middle East,** P. 95. Given a population of 2 million in 1962, the total official and private American capital flow to Israel up until this time represented close to $ 1,200 for every Israeli man, woman, and child. R.H. Nolte, «United States Policy and the Middle East, «**The United State and the Middle East,** ed. G. Steven (Englewood Cliffs, New Jersey : Prentice-Hall 1964) P. 155.

(95) Manscor, ed., **The Arab World** (3), 25 — 27 April 1956; **New York Times,** 7 May 1956. The United States rejected a British proposal that would have required it to commit its troops to an orgnaizatoin to guarantee Arab-Israeli border peace. U.S. Department of State, **Bulletin,** 12 March 1956, P. 412.

(96) Ibid.

الفصل الرابع

أمريكا ومعاهدة الدفاع المشترك

عن الشرق الأوسط

ان نجاح الاتحاد السوفيتى فى تفجير القنبلة الهيدروجينية فى أغسطس ١٩٥٣ أنهى احتكار الغرب وتفوقه فى السلاح النووى كما أنهى كذلك تفوق أمريكا فى الحرب الباردة ، بل أدى هذا الحدث ـ الى تطور جديد فى الأسلوب الاستراتيجى فى مجال العلاقات بين البلدين ، وعلى هذا كانت أمريكا ترى أنه لابد من انشاء « الحزام الشمالى » لمواجهة تسرب النفوذ الشيوعى الى منطقة الشـــرق الأوسط ، ويرى دلاس وزير الخارجية « أن المعتدى سوف يتمادى فى عدوانه ، ويخسر أكثر مما يكسب »(١) ٠

لقد سعى الاتحاد السوفيتى الى تطوير نظامه الدفاعى المركزى الى نظام لامركزى ، بانشاء العديد من القواعد البديلة ، ومن ثـم اصبح لزاما على أمريكا أن تطور نظامها الدفاعى ، بحيث تتفادى هجوم الاتحاد السوفيتى المفاجىء ٠ ولنفرض أنه حدث فى المستقبل أى خطأ غير مقصود ، فان مثل هذا الموقف سوف يتحول فى الحال الى حرب نووية شاملة مدمرة ، بين أمريكا والاتحاد السوفيتى ٠ وهذا الافتراض غير كثيرا فى الأسلوب الاستراتيجى بين الدولتين : الاتحاد السوفيتى وأمريكا ٠

وبناء على هذا أصبحت منطقة الشرق الأوســط من خطوط الدفاع المتقدمة المهمة بالنسبة للمعسكر الغربى ، حيث يشكل موقع

هذه المنطقة أهمية بالغة فى حالة نشوب حرب بين المعسكرين . اذ يعتبر الشرق الأوسط موقعا دفاعيا متقدما على جانب كبير من الأهمية للعالم الحر فى حالة نشوب حرب مع الاتحاد السوفيتى(٢) .

وعقب تطور نظام الدفاع فى حلف الأطلنطى فى عام ١٩٥٣ فانه بناء على الاستراتيجية الغربية الجديدة ـ كان اهتمام المسئولين الغربيين الذين يرون ضرورة تأمين الدول المتاخمة للاتحاد السوفيتى من ناحية الجنوب(٣) .

ان دول الحزام الشمالى فى منطقة الشرق الأوسط ، والتى هى معرضة لخطر الهجوم من قبل الاتحاد السوفيتى ، لهذا أصبحت هذه الدول محل اهتمام أمريكا بالدرجة الأولى فى نظر الاستراتيجية الأمريكية ، ورجال أمريكا صانعى القرار(٤) ومن أجل اقامة حلف يشمل كل دول الحزام الشمالى فان الولايات المتحدة بدأت تمد هذه الدول بالمساعدات العسكرية والاقتصادية من أجل دعمها وتقوية دفاعاتها بحيث تكون جزءا من نظام الدفاع الغربى فى المنطقة

وفى نفس الوقت فانه تم وضع خطة نظام الدفاع الغربى بحيث تشمل الدول التى تقع الى الجنوب من الاتحاد السوفيتى ، خاصة بعد أن أعلن حلف السيتو SEATO (حلف جنوب شرق آسيا) أن منطقة الشرق الأوسط تعد ثغرة كبيرة ـ كما هو معروف ـ فى نظام الدفاع الغربى ، وحل هذه المشكلة بالنسبة لدول المنطقة هو التوصل الى حل مشاكله حتى تتمكن من الاندماج كلية فى الخطة الاستراتيجية الأمريكية ، بحيث تكون بمثابة عمق استرايجى متقدم فى شمال منطقة الشرق الأوسط .

ان الاهتمام بالحزام الشمالى ـ فى نظام الدفاع الغربى ـ أوضح بكل جلاء أهمية دور مصر فى المنطقة ، وفى بادىء الأمر

كانت أمريكا تخطط على أساس أن تكون مصر هى محـــور هذا النظام الدفاعى الغربى ، وذلك نظرا لوجود قاعدة قناة الســـويس الضخمة ·

ومن المعروف أن هذا النظام تغير بعد انســـحاب القــوات الانجليزية منها الا فى حالة حدوث هجوم على احدى الدول الحليفة وكان هذا النظام قائما على أساس أن مصر ستكون عضوا عاملا فى هذا النظام الدفاعى الغربى فى منطقة الشرق الأوسط ، ومن اليسير تنفيذ هذا النظام بسبب وجود قاعدة قناة السويس ، وباعتبار أن مصر تعد رائدة دول منطقة الشرق الأوسط وبالامكان أن تفرض نفوذها وسيطرتها على دول المنطقة مما سيترك أثره على نظـــام الدفاع الغربى ·

وبرغم هذا فقد كانت مصر فى حاجة الى دعم ومساندة أمريكا وكذلك انجلترا من أجل تطوير وتنمية الاقتصاد المصرى ، وزيادة على هذا فقد كانت مصر بصدد تطوير أساليب دفاعاتها فى المنطقة وتقوية تحالفها مع الدول العربية ، وبذلك تتحقق سيطرة مصر · وان كانت مصر تعتقد أن تقوية دفاعات العرب يمنع الغرب وخاصة أمريكا من التفكير فى اقامة مشاريع دفاع فى المنطقة ·

وعقب الزيارة التى قام بها دلاس فى ١٩٥٣ الى دول المنطقة فان أعضاء مجلس قيادة الثورة أرادوا لفت نظر أمريكا الى نظام الدفاع العربى فى المنطقة ، وفى ٤ يونيه ١٩٥٣ أكد اللواء محمد نجيب أن نظام تطويق العالم العربى بالأحلاف الغربية أمر لا جدوى منه وذلك بقوله : « ان من الخطأ بالنسبة لأى شخص يصدق بأن تركيا ــ يوغسلافيا واليونان يمكنهم المشاركة فى أى نظام للدفاع عن الشرق الأوسط ــ مع ملاحظة أنهم اعضاء فى حلف البلقان . ان

نظام الدفاع عن الشرق الأوسط يجب أن يشمل دول المنطقة أولا دفاعا عن مصالحهم • ومهمة دول الشرق الأوسط هى الدفاع عن حدودها • وبهذا يمكن سد الفراغ بين جناحى اليمين واليسار(٥) »

وعندئذ سعت الحكومة المصرية الى انشاء اتحاد دفاع عربى وتكامل اقتصادى واخراجه الى حيز الوجود فى ٢٧ يونية(٦) • وكانت الأهداف المصرية واضحة تماما ، اذ كانت سياسة مصر تتفق تماما مع سياسة دلاس الذى كان يعتقد أن نظامات دفاع الغرب ينبع من داخل المنطقة ، ومن ثم كان هذا التصور حلا لمشكلة الغرب الذى يتفق مع نظام العرب الداخلى . ولقد اتيحت الفرصة امام مصر لتفرض كل نفوذها على المنطقة ••

والخطورة أن قادة أمريكا اعتبروا أن اقتراح مصر الخاص بالدفاع يتضمن فى نفس الوقت حلا للمشكلة العربية ـ الاسرائيلية منذ أن بدأت أمريكا تساعد وتدعم الاتحاد العربى المشوب بالكراهية للسياسة الاسرائيلية •

وهذا لايحول دون تصميم القادة المصريين على الاعتقاد بأن مشروعهم هو الحل المقبول ، فمن المحتمل أن أمل مصر فى الاتحاد العربى أن يكون بمثابة جبهة معارضة لأى حل قد تفرضه الولايات المتحدة سواء توصلت مصر أو لم تتوصل الى حل المشكلة الاسرائيلية ، وزيادة على ذلك فان مصر كانت تريد من الولايات المتحدة أن تزاول ضغطها على اسرائيل بهدف التوصل الى تسوية شاملة مع جيرانها من الدول العربية ، لأن الولايات المتحدة الأمريكية ترغب فى التوصل بسرعة الى حل لمشكلة الدفاع ـ فى اطار الحرب الباردة ـ فى منطقة الشرق الأوسط •

ان الاقتراح المصرى لم يمكن قادة أمريكا من الاستمرار فى مواصلة التفكير لأقامة نظام الدفاع عن دول الحزام الشمالى منذ منتصف عام ١٩٥٣ · لاشك أن سلسلة الاتفاقيات الثنائية سوف تكون الخطوة الأولى لانشاء نظام دفاع قوى متكامل · وأن مثل هذه الاتفاقيات الثنائية سوف تعمل على دعم النواحى العسكرية والاقتصادية المتعلقة بنظام الدفاع للعالم الحر (الدول الأوربية) ·

وفى أحد هذه التعهدات تقديم منحة للدولة لدعم وسائل الدفاع الخاص بتنظيم الغرب ، وعلى الرغم من أن الافصاح عن مثل هذه البرامج مازال فى طى الكتمان ، فانه من المؤكد أن مثل هذه التسهيلات تشمل على قواعد اطلاق الصواريخ ، وهناك تعهدات خاصة بنظام الدفاع الاقليمى سوف تنشأ فيما بعد ، وبهذه الطريقة سوف تقبل أى دولة المساعدات الأمريكية برغم معارضتها فى بادىء الأمر ، بينما تظل الولايات المتحدة مقتنعة بتحقيق كل متطلبات النواحى الاستراتيجية لتقوية وتدعيم قواعدها وبالتالى تزيد من قوتها (٧) ·

ولقد تلقت المساعدات الأمريكية ، العسكرية والاقتصادية كل من الدول الأربع : تركيا وايران وباكستان والعراق ، ولكل دولة لها دوافعها الخاصة ، وغالبا ماتكون دوافع محلية ، لقبول هذه المساعدات الأمريكية ودعمها(٨) وهذه الدول الأربع متاخمة للاتحاد السوفيتى من ناحية حدودها الشمالية ، ومن ثم فهى مهددة باستمرار من أى خطر شيوعى محتمل ·

وبنهاية عام ١٩٥٣ وضعت التقارير متضمنة ، بأن الولايات المتحدة وباكستان أصبحتا جاهزتين تماما للدخول فى مباحثات

تتعلق بنظام الحكم الداخلى لباكستان من أجل انشاء نظام الدفاع الغربى عن منطقة الشرق الأوسط(٩) ٠

ولاشك أن الزيارة التى قام بها نكسون Nixon – باعتباره نائب الرئيس الأمريكى – لباكستان فى شهر فبراير ١٩٥٤لتؤكدحجم المصالح الأمريكية فى هذا البلد ، وكيف أن الأمن القومى الأمريكى يتطلب – بالدرجة الأولى – كيفية تقديم المساعدات العسكرية بناء على رغبة باكستان لتتعاون مع تركيا فى نظام الدفاع الأمريكى(١٠) ٠

وبناء على هذا فان المسئولين الأمريكيين كانوا على علاقة قوية بتركيا لمناقشة المشروع(١١) ، ومن ثم فقد تم توقيع اتفاقية صداقة ودفاع مشترك بين الدولتين فى ٢ ابريل ١٩٥٤ ، ومن هنا وجد نظام الدفاع النووى بالنسبة لدول الحزام الشمالى ، ومن ثم فالولايات المتحدة أمدت باكستان بكل احتياجاتها العسكرية والاقتصادية(١٢) ٠

وهكذا وضعت قاعدة العمل فى المستقبل ، وعلى هذا فأصبح لزاما على الولايات المتحدة أن تقوم بواجبها فى نظام الدفاع الغربى ، وبدأ ممثلو حلف الناتو NATO مفاوضة تركيا ، وعلى هذا فان تطور نظام الدفاع الغربى بدأ يظهر الى حيز الوجود ٠

وفى شهر سبتمبر ١٩٥٤ ضاقت الثغرة فى نظام الدفاع الأمريكى الشامل الى حد بعيد ، وكانت باكستان قد انضمت الى حلف السيتو SEATO فى وقت كانت فيه تركيا عضوا منتسبا الى حلف الأطلنطى بينما كانت علاقة أمريكا بايران والعراق على خير مايرام(١٤) وانضمام الدولتين الى محور أنقرة – كراتشى اصبحت مسألة وقت فقط ليس الا ٠

وكانت العراق هى الدولة العربية الوحيدة التى استجابت لهذه المخططات الأمريكية ، وقد لاحظ دلاس وزير خارجية أمريكا ذلك ، ودونها فى مذكراته أثناء زيارته لدول المنطقة فى عام ١٩٥٣ ، واذا كان وقوع العراق على الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتى ، فان سياسة العراق هذه كانت سببا فى عزلتها عن العالم العربى(١٦) ٠

وفى الحقيقة كانت المساعدات العسكرية المقدمة الى كل من العراق وباكستان تحت المراقبة الأمريكية الشديدة ، نظرا لارتباط الأولى بالقومية العربية ، والثانية بالنزعة الاسلامية - ولاشك أن نزعة العراق العدائية للعرب كانت مفيدة الى حد بعيد للمسئولين الأمريكيين خاصة منذ أن أصبحت العراق معادية لمصر ، فى وقت كانت فيه كل من الأردن ولبنان وسوريا لاتشكل خطورة على اسرائيل(١٧) ولاشك أن تقديم المساعدات العسكرية للعراق قبل التوصل الى حل المشكلة العربية الاسرائيلية ، أمر لايشكل خطورة ، هكذا كان أعضاء الكونجرس الأمريكى يرون ذلك ٠ وهذا خطر يكاد لا يذكر بجانب مسألة تقديم مساعدات عسكرية الى دول مجاورة لاسرائيل ٠

وزيادة على ذلك ، فقد استقر الرأى بأن العراق ، ومدى تأثيرها على كل من سوريا والأردن ولبنان سوف تكون وسيلة مهمة للتحالف المعروف بحلف تركيا - باكستان(١٨) وبمثل هذا التفكير وافق القادة الأمريكيون على تقديم المساعدات العسكرية لحكومة العراق فى ابريل ١٩٥٤ ، وفى المقابل فقد وافقت العراق على وضع هذه الأسلحة تحت تصرف الولايات المتحدة ، وحكومات أخرى مرتبطة بنظام الدفاع الغربى(١٩) . ومقابل ذلك وضعت الولايات

المتحدة شروطا قاسية وضوابط قوية لاستخدام السلاح الأمريكى فى حالة الدفاع عن النفس ، وقد وافق العراق كذلك بعدم القيام برد أى عدوان قد يقع عليها من قبل دولة أخرى(٢٠) .

وبالاضافة الى ذلك فان العراق قد قبل المساعدات الأمريكية العسكرية تنفيذا لنص المعاهدة فى حين أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية بأنها سوف توقف تدفق هذه المساعدات العسكرية فى حالة استخدام العراق لهذه الأسلحة ضد اسرائيل .

ومن المؤكد أن سرعة انضمام العراق الى دول « الحزام الشمالى » سوف يطور نظام الدفاع المغربى - وبالتالى سوف تنسحب العراق من عضوية نظام الدفاع العربى ، لتبدأ مرحلة جديدة من العداء للقوميين العرب . بل سيكون العراق فى المستقبل مناهضا للعرب .

وقبل تشكيل الحلف - غير العربى - المكون من : باكستان وتركيا فان مصر وجهت الدعوة الى الدول العربية للحضور لتكوين جبهة مناهضة لحلف بغداد دون النظر الى العلاقات المتوترة والمشاكل القائمة بينهم وان الدافع الحقيقى لدعوة مصر . هو مجرد اجتماع العرب بهذا الشكل ليساعد على حل كثير من مشاكلهم .

وأخبرت مصر المسئولين الأمريكيين بأنها سوف تقاوم مثل هذه الأحلاف بكل الوسائل(٢١) . وعقب توقيع الاتفاق الباكستانى التركى أعلن ناصر بقوله : « أن أى دولة عربية تفكر فى الانضمام الى حلف تركيا - باكستان لن يؤثر على الوحدة العربية ، انما تلقى بنفسها فى براثن الاستعمار - الأمريكى - الانجليزى(٢٢) .

وقد أعربت الصحافة المصرية « بأن التهديد المحتمل للشيوعية أخطر منه الغزو الخارجي القائم بالفعل ، وأن اصــرار الولايات المتحدة على اجبار الدول العربية للانضمام الى الدول المنضمة الى حلف بغداد ، تشكل خطورة أكثر من الخطر الأمريكي نفســـه في المنطقة ، ان الدول العربية التي ماتزال تــرزح تحت الاحتـــلال الانجليزي أو الفرنسي ، لايمكن لهم أن يكونوا جـــزءا من القوى الغربية »(٢٣) ٠

لقد اعتبرت الشيوعية أن الدول العربية خارج نطاق النظام الغربي المؤيد والمساعد لاسرائيل ، وأن النظام الأمريكي وريث النظام الاستعماري الغربي ٠ ان تركيا أيضا أصبحت دولة استعمارية ، وذلك راجع الى تاريخها الاستعماري في المنطقة وعلاقاتها المتطورة المشبوهة باسرائيل(٢٤) ٠

واشتد هجوم مصر على قادة العـــراق عندما أقدموا على الانضمام الى الولايات المتحدة ، هؤلاء القادة سوف يترك أمرهـم الى القوى القومية الداخلية ، هؤلاء القادة العراقيون كانوا يهدفون الى اضعاف القادة المصريين في نفس الوقت ، واذا كان ناصـر قد وافق على عودة القوات الانجليزية الى قاعدة قناة السويس في حالة الهجوم على تركيا ، فان هذا كان أسلوبا تكتيكيا عسكريا ، ولكن قادة العراق أخطأوا كثيرا لاعتقادهم بأن عملهم هذا يضعف القومية العربية ، وبالتالي يضعف موقف مصر وســـياستها في المنطقة ٠

ان حكومة العراق تحت رئاسة فاضل الجمالي أجبرت على التوقيع في الحال عقب الانتهاء من موافقتها على شروط الولايات المتحدة ٠ وبعد السيطرة على الجبهة الداخلية المعارضة لانضمام العراق كطرف في الحرب الباردة(٢٥) ٠

وفى هذه الأثناء فان المسئولين المصريين قاوموا بكل الطرق والوسائل امكانية التعاون مع الغرب مع مهاجمة مصر للعــراق ومعارضتها الانضمام الى الولايات المتحدة ، وأن البديل لذلك كما كانت تراه مصر هو تكوين نظام دفاعى عربى ، وهذا هو النظـــام العربى فى المستقبل مع تأكيدها على مقاومة أى نظام دفاعى أوربى فى المنطقة ، هذه الملاحظة قد أيدتها أمريكا باعتبارها مراقبة لمسألة المفاوضات الخاصة بانسحاب القوات الانجليزية من مصر ، فى وقت كانت مصر فى حاجة الى دفع المفاوضات للتوصــل الى حل ، اذ كان أى رفض من جانبها سوف يقنع الغرب خاصة أمريكا ، التى اعتقدت أن تقوية العراق عسكريا واقتصاديا قد يشد من أزرها فى المنطقة العربية ، لأن العراق بهذا يصبح قادرا على اغــراء دول عربية أخرى للخروج من قبضة مصر ، والنظام العربى ، والانضمام الى مجموعة دول الحزام الشمالى ٠

وبدأت تظهر بوادر الضغط على العراق ، ويترك بصماته على حلف تركيا ـ باكستان ، ويقدم العراق تأكيدات جديدة بأنه سيعمل على انقاذ العالم العربى من الوقوع فى براثن الشيوعية ، وفى نفس الوقت فان مصر تسعى الى اقناع قادة أمريكا بالا تزاول أى ضغط على الدول العربية ، حتى تتمكن مصر من اتمام مفاوضـــاتها مع انجلترا بحل مشكلة الجلاء ٠

هكذا نرى أن أمريكا اقتنعت بأن تحرير مصر من الاحتــلال الانجليزى يعطيها حرية الحركة فى الانضمام الى نظام الدفـــاع الغربى ، وعلى هذا يمكن اقامة نظام يضم العرب تحت لوائه وبحيث لايشكل أى خطورة على اسرائيل ٠

وبدأت أمريكا تضع سياستها على أساس السياسة المصريـة المبسطة التى سوف تكون عقب توقيع مسودة اتفاقية الجلاء مع بريطانيا بنهاية شهر يوليو ١٩٥٤ ٠

وفى هذا الوقت تمكن ناصر من التغلب على منافسه اللواء نجيب . وفى شهر أبريل من نفس العام تمكن من القضاء على جماعة الاخوان المسلمين ، والشيوعيين ، فكلا الجماعتين عارضتا اتفاقية الجلاء الموقعة مع انجلترا ، وكلا الفريقين وضحا الخطر الداهم المتوقع حدوثه فى المستقبل على حياة أى رئيس يجرؤ على الاتفاق مع القوى الكبرى .

وقد انتقد الاخوان المسلمون بشدة نصوص اتفاقية الجلاء التى وقعتها مصر مع انجلترا وتبيح لانجلترا المحافظة على مصالحها ، هذه الجماعة أشارت الى مدى التطابق بين محتوى اتفاقية الجلاء وبين معاهدة التحالف والصداقة مع انجلترا الموقعة فى ١٩٣٦(٢٦) .

كما أن الشيوعيين انتقدوا اتفاقية الجلاء هذه من زاوية أخرى اذ كانوا يخشون من ارتباط مصر بالقوى الغربية فى مشروعات الدفاع لمواجهة الاتحاد السوفيتى ، وكلا الفريقين (الاخوان المسلمون والشيوعيون) وكذلك مخاوف القوميين كانوا يخشون أن مثل هذه الاتفاقية سوف تجعل مصر تدور فى فلك القوى العظمى ، وسرعان ماتعاظم نفوذ هذه القوى المعارضة لمجرد توقيع مسودة اتفاقية الجلاء مع انجلترا(*) .

❋ ❋ ❋

(*) الملاحظ أن ناصر كان بعيد النظر ، اذ كان جل اهتمامه هو خروج ٨٠٠٠٠ر٨٠ جندى بريطانى من مصر ، أما عن امكانية عودتها ثانية بمقتضى البند الخامس من المعاهدة فان فى امكان دبلوماسية ناصر أن تجد مخرجا ، بألا يمكن انجلترا من العودة الى قاعدة قناة السويس مرة ثانية ، ضاربا عرض الحائط بنصوص هذه الاتفاقية .

(المترجم)

وفى صباح اليوم التالى عندما وصل اللواء نجيب الى قصر عابدين بدأت المظاهرات تتجمع امام مكتبه بالقصر ، ولكن سرعان ماتطورت الأحداث بسرعة وقام حسن ابراهيم وزير شئون الرئاسة بقفل الشبابيك وكان المتظاهرون يحيون ويؤيدون اللواء نجيب ، ثم بعد ذلك فى نفس اليوم أعلنت جماعة الاخوان المسلمين بأن اتفاقية الجلاء هذه ربطت مصر بقيود غير مناسبة ، بينما معاهدة التحالف فى ١٩٣٦ بين مصر وانجلترا قد تم الغاؤها تماما فى ٢٨ يوليو لكى يوافق عطلة رسمية بمناسبة خروج آخر جندى انجليزى ولكـــن سرعان ماتصاعدت أعمال العنف(٢٧) ٠

ولكن على مستوى الأوضاع الداخلية فقد كان الرأى العام المصرى مؤيدا لهذه الاتفاقية ، وقد أعلن ناصر ، ووزير الارشاد القومى صلاح سالم الذى اكد بأن مسودة الاتفاقية مع بريطانيا لم تتضمن أى شروط عسكرية مفروضة علينا(٢٨) ٠

وفى شهر نوفمبر أقدم ناصر على اتخاذ خطوة جريئة تحت ضغط الظروف الداخلية ، فان الحزب الشيوعى المنحل اصبح اكثر عنفا فى مواجهة الحكومة(٢٩) وكذلك جماعة الاخوان المسلميـــن والذين يتمتعون بشعبية قوية ، أصبحوا أكثر قوة ، ومن ثم جرت محاولة لاحتوائهم من جانب ناصر واشراكهم فى التشكيل الوزارى الجديد فى شهر نوفمبر ١٩٥٤ وعلى هذا فقد تم اعتقال أعداد غفيرة من جماعة الاخوان المسلمين ، هذا بالاضافة الى ست شخصيات من كبار قيادات جماعة الأخوان المسلمين ، وذلك لارتباط اسم اللواء نجيب بهذه الجماعة من الاخوان المسلمين فى وقت كان فيه ناصر أكثر اقتناعا بابعاد نجيب ٠

وكان الرأى العام المصرى يقف الى جانب ناصر فى سياسته بعدم ارتباطه بالقوى الكبرى ، وليس مهما أن تقف مصر بمفردها . فقد أعلن ناصر بأن المشكلة مسألة وقت ليس الا .

وكان الرأى العام فى مصر ضد القوى الاستعمارية الغربية خاصة بعد أزمة قناة السويس الدولية ، وأصبحت لاتوجد أى التزامات تربط مصر بالغرب ولكن هذه القوى المناهضة لسياسة ناصر سوف تكون فى طى النسيان(٣٠) .

ومن المستحيل تجديد فكرة الاشتراك فى نظام الدفاع الغربى المشترك عند الشرق الأوسط ، كانت فكرة غير واردة على الاطلاق .

وفى مناقشة سياسية خاصة مع شخصيات سياسية غربية دون ذكر أسماء فقد ذكر ناصر أمامهم بأن ثمة تعاونا يمكن أن يحدث ، ومن هنا يمكن اقامة علاقات غير مباشرة بين مصر ودول حلف الناتو NATO هذه فكر ةيمكن قبولها(٣١) اذ كانت فكرة ناصر أن أى تعاون مع الغرب يتوقف على مدى امداد دول الشرق بالسلاح المطلوب ، ومن هنا فأى نظام دفاعى فى المنطقة سيكون بهدف الحصول على المساعدات العسكرية هذه(٣٢) وبذا يصبح امرا ممكنا من وجهة نظر ناصر ان تعاون مصر مع الغرب لابد أن يقوم على أسس وشروط تكون مقبولة لدى مصر على أساس أن وجود القوى الكبرى فى المنطقة أمر لا وجود له فى المستقبل .

واذا كانت انجلترا تخشى من حدوث فراغ فى المنطقة بعد انسحابها ، فقد حذر ناصر بأن وجود القوى الكبرى أمر غير مرغوب فيه خاصة الشيوعية(٣٣) .

لقد نشأ خلاف عميق بين فكرة انشاء حلف مع الدول الكبرى وبين فكرة الغرب الدفاعية التى تطورت بسرعة هائلة بحيث تؤدى

الى الارتباط بالغرب ، على أمل حل المشكلة العربية ـ الاسرائيلية ، وفى نفس الوقت يكون قد مضى زمن نسيت فيه مصر معاناتها من الاستعمار الانجليزى ٠

والآن فان سياسة مصر تقوم على دعامتين فى المنطقة : توحيد العرب فى اطار القومية العربية والدعامة الثانية هى أن هذا النظام هو الطريق الوحيد للدفاع عن أمنها ، ومن أجل نجاح السياسة الغربية لابد من تأييد النظام المصرى فى المنطقة(٣٤) فاذا مانجحت مثل هذه السياسة فان هذا سوف يعزز موقف وسياسة مصر ، ومن ثم فان هذه السياسة تدعو الى دعم العرب بالمساعدات العسكرية للتصدى لأى عدوان من أى جهة وأعلنت مصر كذلك أنه لابد أن يسعى العرب الى حل مشاكلهم بأنفسهم ٠

وخلال الأشهر التالية ساد العلاقات المصرية ـ البريطانية بعض الهدوء النسبى فى حين كانت العراق ومصر لهما تأثير قوى على العالم العربى ، ففى أغسطس ١٩٥٤ تصاعدت الحملة الاعلامية لاستعادة مكانة مصر كقائدة للعالم العربى ، وذلك باشتراكها لأول مرة فى المؤتمر الاسلامى المنعقد فى مكة(٣٥) ٠

وخلال المدة من أغسطس حتى نوفمبر ١٩٥٤ قام صلاح سالم ممثل مصر بزيارة الى كل من : العراق والأردن والسعودية لمحاولة اقناع هذه الدول بالالتزام بسياسة مصر ـ ونفس المحاولة جرت عندما انعقد فى القاهرة مؤتمر حضره ممثلون على مستوى عالى عن الدول العربية خلال شهر سبتمبر(٣٦) من نفس العام ٠

وخلال هذه الفترة حدثت عدة متغيرات تركت أثرا على العلاقات بين كل من العراق وتركيا ومصر ، والملاحظ أن العلاقات

بين العراق وتركيا قد شهدت تطورا ملموسا منذ مطلع عام ١٩٥٤ عندما اتفقت الدولتان على التعاون فيما بينهما دفاعا عن أمن بلديهما ·

وان كان العراق قد اعتقد ـ خطأ ـ أن الاتفاق بين مصر وانجلترا قد مهد الطريق أمام مصر للتعاون مع الغرب · ومما يلفت النظر فى هذه الاتفاقية المصرية ـ الانجليزية هو مسألة عودة القوات الانجليزية الى قاعدة قناة السويس فى حالة حدوث هجوم على تركيا ·

كما قامت انجلترا ـ عضو حلف الأطلنطى ـ بتدعيم القادة العراقيين بالامدادات العسكرية على وجه الخصوص لمواجهة أى ضغط من قبل مصر اذا ماظلت العراق محتفظة مع تركيا بهذا التحالف الثنائى ويكون الباب مفتوحا أمام دول عربية أخرى تريد الانضمام الى هذا التحالف ·

كما أن الاتفاقية بين مصر وانجلترا تعد القاعدة التى على أساسها يسعى العراق لاقامة علاقات مع بريطانيا ، ويخشى قادة العراق حدوث أى رد فعل من قبل القوميين فى حالة عودة القوات البريطانية ثانيةالى قاعدة قناة السويس ، خاصة وأن انجلترا لها مصالح بترولية وقواعد عسكرية فى العراق ·

وعلى هذا تسعى انجلترا الى استقرار الأوضاع فى المنطقة العربية ـ من وجهة نظرها ـ فى الوقت الراهن(٣٧) ·

وقد حاولت مصر أن تعمل على عودة العراق ثانية الى حظيرة العالم العربى والعمل على تحطيم العلاقة بين العراق وتركيا ، وذلك بتشجيع تركيا والضغط عليها للتعاون مع العرب فى

نظام أمنهم القومى ، وكانت العلاقات المصرية ـ العراقية خـــلال شهرى أغسطس وسبتمبر تتسم بالهدوء النسبى ، اذ كانت مصـــر تحاول جاهدة التقرب الى العراق بهدف اقناعها بالعودة الى صف الوحدة العربية ، وجرت هذه المحاولات أثناء الزيارة التى قام بها ممثل مصر صلاح سالم الى العراق ١٩٥٤ ثم معاودة نورى السعيد رئيس وزراء العراق بزيارة مصـــر فى شهر ســـبتمبر من نفس العام(٣٨) ٠

وبالرغم من كل الجهود المبذولة فلم توافق مصر على فكرة تعاون مصر والعـــراق مع كل من انجلترا والولايـــات المتحـدة الأمريكية ٠ وان كان صلاح سالم صرح ـ أثناء زيارته للعراق ـ بقوله : « انه يوافق على تعاون مصر والعراق مع انجلترا والولايات المتحدة بالشروط التى يتضمنها نظام الأمن القومـى العربى ، هذا التصريح جعل ناصر يشعر باستياء شديد ، وكان السبب فى تنحية صلاح سالم من منصبه فى سبتمبر(٣٩) ٠

وقد أخطأ صلاح سالم عندما أعلن بأن مصـــر جاهــزة الآن لاقامة علاقات قوية مع الولايات المتحدة لدعم الأمن القومى العربى كمـــا ســبق لناصر أن طلب من أمريكـــا مســـاعدات عســكرية ٠ وفى شهر أغسطس بدأت المباحثات العسكرية بين البلدين فى نفس الشهر(٤٠) وفى شهر سبتمبر سافرت بعثة عســكرية مصرية الى الولايات المتحدة ، وبعث البنتاجون Pentagon الأمريكــى الى مصر بتقرير يستفسر فيه عن مســـتقبل التعاون العسكرى بيــن البلدين(٤١) ٠

ولكن المسئولين المصريين وجدوا أنه من المستحيل التعاون مع الغرب بنفس الشروط التى قبلها العراق ، وكانت العقبة الكبرى

عندما حضرت بعثة عسكرية أمريكية الى مصر لتستفسر عن امكانية استعمال الامدادات العسكرية الأمريكية ، وطبقا للتقرير الذى بعث به السفير الأمريكى بالقاهرة والذى جاء به : « بأن ناصر رفض المساعدات العسكرية وغيرها قبل اتمام انسحاب القوات الانجليزية من مصر فى يونية ١٩٥٦ ، لأمر فى غاية الخطورة ، وكأنه القى بنفسه فى أتون دولة غربية ثانية »(٤٢) اذ كان ناصر يخشى أن مثل هذه الخطوة تعمل على زيادة المعارضة الداخلية وتفجرها بما فى ذلك القوى الشيوعية ·

وفى الوقت الذى أخفقت فيه المفاوضات الأمريكية مع مصر ، فشلت السياسة المصرية فى هذا الوقت لكى تنشر مبادئها ، وتمد نفوذها الى أرجاء الوطن العربى ، وللتدليل على هذا ، فقد سبق أن وزع مجلس قيادة الثورة منشورا فى سبتمبر بواسطة الضباط الأحرار والذى بدأ بهذه العبارة « .. لا يوجد أدنى شك بأن مصر اليوم لها تقديرها ووزنها فى نظر الغرب وأن الخطر الوحيد على منطقة الشرق الأوسط بما هو قائم بداخله بالفعل ، وليس من المحتمل حدوثه من قبل الاتحاد السوفيتى »(٤٣) ·

وقد أكد ناصر بأن التعاون العسكرى مع الغرب فى المستقبل سوف يستند بالدرجة الأولى على التعاون العربى العسكرى للأمن القومى بجانب هذا ان وجهة نظر مصر ، أن المشكلة الكبرى الداخلية هى ما يتمثل فى الخطر الداخلى القائم بالفعل ، وليس الخطر الشيوعى الخارجى المحتمل حدوثه ، كما أن التحالف بين مصر والقوى العظمى يعمل على تقوية أواصر المعارضة فى الداخل ·

وأكد ناصر بأن اسرائيل هى العدو الرئيسى ، وأكثر خطورة من الاتحاد السوفيتى والعرب يعرفون تماما اذا ما أبدوا الرغبة

فى محاربة عدوهم ، فان أمريكا سوف تلجأ الى وقف المساعدات المقدمة لهم ، وأن أى تنظيم عسكرى عربى اذا لم يوضع موضع التقدير والاعتبار يعتبر خداعا(٤٤) ٠

ويمكن أن ندرك وجهة نظر أخرى لناصر من خلال التصريح التالى : « وفى هذه المرحلة كان معروفا أن أى تعاون عسكرى لابد وأن يقوم على الثقة المتبادلة بين مصر والقوى العظمى الغربية لأن المصريين سوف ينظرون بدون أدنى شك وريبة الى توثيق عرى العلاقات بين مصر والقوى الكبرى ، ان التعاون يعتمد بالدرجة الأولى على الثقة والصداقة دون التقيد بأى نصوص مكتوبة ، اذ أن هذا أفضل بكثير لدى عامة الشعب » ٠

وقد ضمن بيانه أيضا : « بأن الغرب سوف يفهم موقف السياسة المصرية ، ومن ثم يترك العرب وحالهم ، ولهذا فانهم يستطيعون أن يقيموا دفاعاتهم ضد الخطر الشيوعى المحتمل حدوثه »(٤٥) ٠

وبالرغم من كل هذا فان وجهات نظر العراق ومصر فى امكانهما اقامة نظام متعاون مع الغرب ، وفى هذه الاثناء فان قادة العراق اختاروا الوقت الذى حدث فيه تقارب شديد بين مصر وتركيا واذا كانت آمال وطموحات تركيا أن تقيم مصر علاقات دفاعية مع الغرب بكل جدية ، فان آمال مصر وطموحاتها بأن تدعم تركيا مصر فى نظام دفاعها الذى لايقل أهمية عن النظام الغربى ، وكان الأمل يحدو مصر بأن يقدم المؤتمر الاسلامى التعاون مع النظام العربى الدفاعى وبالتالى فان هذا الأمل يحمل العراق للتعاون مع النظام الدفاعى العربى ٠

ولقد ناقش ناصر فى مؤتمر مكة الاسـلامى الذى عقد فى أغسطس ١٩٥٤ المشاكل التى تواجـه نظام الدفاع فى المنطقة مع محمد على رئيس وزراء باكستان ، وهو الذى كان من المتحمسين للدعوة لهذا المؤتمر(٤٦) وأعلن سكرتير المؤتمر الاسـلامى أنور السادات ميثاق المؤتمر عن التعاون بين الوحدة العربية والمنظمـة الاسلامية · وقد رحب ناصر بهذا البيان والذى أيد موقف مصر فى كفاحها كزعيمة للعالم العربى والشعوب الاسلامية(٤٧) ·

وسعت مصر لدى تركيا لاقامة علاقات فيما بينهما على أساس عربى اسلامى(٤٨) وفى شهر اكتوبر وصلت بعثة مصرية الى تركيا لشرح وجهة نظر مصر : « لقد أعدت القواعد الضـرورية لاقامة تعاون بين مصر وتركيا باعتبارهما أقوى دولتين فى منطقة الشرق الأوسط ، والشرق الأدنى ، وعلى هذا فسوف تبدأ فى القريـب العاجل المفاوضات بين البلدين بحيث يكون هناك تعاون وثيق بين البلدين : مصر وتركيا ، ولاشك أن قوة مصر هى قوة وسـند للعرب جميعا » ·

وتتوافر الأسس التى يقوم عليها هذا التحالف بين مصـر وتركيا باعتبارهما أقوى دولتين فى منطقة الشرق الأدنى ، اذ يبلغ تعداد سكانهما ٥٠ مليون نسمه فى ذلك الوقت(٤٩) ·

ولقد نشر فى الصحف المصرية : بأن ناصر لفت النظر الى مدى أهمية التعاون الاقتصادى بين الدولتين : « لم تحـدث أى مشاكل بين الدولتين فى الماضى والحاضر ، نحن ينتمى بعضنا الى بعض ، فان جيل الآباء هنا وهناك اخوة ، واذا أصاب تركيا ضرر فان المصريين يشعرون بنفس هذا الضرر ، ومصر وتركيا ينتميان الى عائلة واحدة ، الآن مصر وتركيـا اخوة كما كانتـا فى الماضى القريب »(٥٠) ·

لقد تم الاعلان فى نوفمبر بتشكيل وفد على مستوى عال بين البلدين بهدف توقيع معاهدة صداقة بين مصر وتركيا · وحتى شهر ديسمبر ١٩٥٤ ظلت العلاقات بين مصر وتركيا مجمدة ، اذ مازالت المناقشات جارية بين البلدين ، وبرغم توافر حسن النوايا وان كل دولة كانت تسعى أن تكون عاصمتها هى مقر منظمة الدفاع المقترح انشاؤها · وكان العراق يراقب عن كتب هذه المفاوضات بين البلدين(٥١) ·

وفى نفس الوقت كانت تركيا تجرى مفاوضات مع ايران ، وشعر العراق بأن تركيا تريد أن تفرض عليه حصارا من كل جهة · مما دفع نورى السعيد رئيس وزراء العراق بأن يصرح بقوله : « بأن العراق لايريد أن يورط نفسه فى التحالف الذى بين تركيا وايران لأن أهدافه تتسم بالغموض ·

وكان نورى السعيد يرى فى ذلك الوقت أنه ليس من المستحيل اقامة تحالف بشكل مباشر مع القوة الغربية خاصة بعد أن تمكنت مصر من حل مشكلة قناة السويس بتوقيع معاهدة الجلاء ، والتى جاء بها نص يلزم مصر بالتحالف مع الغرب بطريق غير مباشر ·

هذا المفهوم الخاطىء لدى العراق هو ماكان يحاول أن يصححه ناصر فى كثير من تصريحاته بعد توقيع اتفاقية الجلاء مع انجلترا فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ ·

ولقد سارع العراق ـ فجأة بدون مقدمات ـ الى توثيق علاقاته مع دول الشمال ، وهى دول ليست عربية بل اكثر من هذا ، لقد حاول العراق أن ينتزع دولا عربية أخرى لكى تنضم الى دول الحزام الشمالى (حلف بغداد) بهدف اقامة نظام الدفاع الغربى ، وهذه الهرولة من جانب العراق للانضمام الى هذا الحلف قلبت كل الموازين بين مصر والعراق ، بل أكثر من هذا فتحت صفحة بغيضة جديدة فى هذه العلاقات ·

واستمر العراق بمزاولة الضغط الشديد على كل من : الأردن وسوريا ولبنان كما يبدو فى الأفق أن العراق كان يريد أن يكون له السبق قبل مصر فى هذا المجال ·

ولكن الحكومة السورية كانت فى نفس الوقت مكروهة من قبل الحزب القومى المناهض للعراق ، وزيادة على ذلك فان المعارضة الداخلية والتى وضعت مصر فى موقف حرج خاصة بعد أن وقعت مصر الاتفاق مع بريطانيا لهذا كانت علاقة مصر بسوريا علاقة يشوبها التوتر ، والتى أصبحت الملجأ والملاذ لجماعة الاخوان المسلمين فى مصر · وكانت سوريا تساند بقوة العناصر المعارضة فى مصر ، ولهذا فقد استدعت الحكومة المصرية سفيرها فى دمشق ، ومن هنا حدثت مضاعفات من جانب سوريا ضد مصر ·

وكانت العراق ترى أخيرا أن العلاقات بين الأردن ولبنان مع مصر ضعيفة فى وقت سارعت فيه بريطانيا بمساندة الاسرة الهاشمية فى الأردن والعراق ·

وبالرغم من هذا فان حرية الأردن للتعاون مع مجموعة الدول غير العربية المكونة لحلف بغداد أمر يمكن تحقيقه ، وفى هذه الأثناء شهدت المنطقة العربية توترا حادا وحربا اعلاميا ·

وكانت مصر تأمل أن يتنبه العالم العربى لمخططات الاستعمار الجديدة من خلال السياسة الأمريكية الوافدة الى العالم العربى بعد أن أوشكت شمس الاستعمار القديم - الانجليزى والفرنسى - أن تغرب ·

وكان كثير من الاردنيين والعراقيين يؤيدون وجهة نظر السياسة المصرية التى كانت تسعى فقط لصالح العالم العربى ومستقبله بحيث أن يكون بمنأى عن النفوذ الاستعمارى ، وكفى بالقضية الفلسطينية دليلا ·

أما فى لبنان فقد لاحظ دلاس أثناء زيارته للمنطقة ــ كما ورد فى مذكراته ــ « أن اللبنانيين يعتبرون أنفسهم بمثابة قنطرة بين أمريكا والدول العربية وذلك نظرا لأصولهم الغربية الضاربة فى القدم ، اذ أنهم من أصول مسيحية أوربية »(٥٣) وان كانت الجماعات الاسلامية تشكل ٥٠٪ من تعداد السكان فى لبنان وهؤلاء متعاطفون مع القومية العربية ·

ومن هنا فان العراق بدأ يزاول ضغطه على كل من سوريا والأردن لكى ينضما الى صفقة فى التحالف مع الغرب · وبذل فيصل ملك العراق جهدا من جانبه بهدف لم شمل هذه الدول ، ولهذا قام بزيارة الأردن ولبنان فى شهر نوفمبر ١٩٥٤ ، كما قام فارس الخورى رئيس وزراء سوريا بنفس المحاولة لأن قادة العراق أرادوا أن يحذو حذو مصر ، وذلك بتعديل معاهدة ١٩٣٠ الموقعة بين انجلترا والعراق وذلك بتوقيع اتفاق جديد مع لندن على غرار الاتفاق الذى تم بين مصر وبريطانيا وعلى هذا فان العراق على استعداد بأن يسمح بدخول القوات البريطانية الى العراق فى حالة حدوث هجوم على ايران(٥٤) ·

تم توقيع هذه المعاهدة فى ١٤ ابريل ١٩٥٥ · وهذه المعاهدة كانت خارج نطاق السياسة البريطانية · ولا تنص على استعادة انجلترا لنفوذها فى العراق ، وجاء مضمونها يخالف المعاهدة التى وقعتها مع مصر ــ اذ كانت مصر لديها خبرة طويلة بأساليب الاستعمار ، ومن المعروف أن معظم مصادر البترول الانجليزية تتركز فى العراق ، ولهذا كانت حريصة على استمرار فرض سيطرتها على العالم العربى ·

وقد نجحت أمريكا فى كسب العراق الى جانبها خاصة فيما يتعلق ببنود اتفاقية ٤ أبريل ١٩٥٥ العسكرية وكذلك الاتفاقية الاقتصادية ، وفى نفس الوقت كانت بريطانيا تنظر الى هذا التقارب بشىء من الريبة والشك ٠

وترك الباب مفتوحا أمام العراق لامكانية التعاون كما أنها وجهت الدعوة الى ايران للانضمام الى هذه الاتفاقية الموقعة مع انجلترا)٥٥) ٠

وفى الواقع أن هذه السياسة العراقية دفعت مصر أن تنأى بنفسها بعيدا عن هذا المخطط ، وذلك منذ أن كانت لدى مصر الرغبة القوية فى جذب تركيا ناحية الاتحاد العربى ، وبجانب هذا فان اقتراح العراق لقى معارضة شديدة ، لأنه يمنح العراق بعض الامتيازات ، مما يساعدها على تنمية مصالحها خارج نطاق العالم العربى ٠

ان الاستجابة السريعة من قبل كل من : الأردن وسوريا ولبنان لمخطط العراق دفع مصر الى دعوة القوى الغربية الى مساعدة ومساندة العالم العربى من خلال التحالف العربى ، وفى ديسمبر ١٩٥٤ انعقد المؤتمر العربى لوزراء الخارجية ، والذين قرروا بأنه لايمكن اقامة أى تحالف خارج نطاق التحالف العربى اذ أن التحالف مع الغرب مرهون بحل مشاكل المنطقة أولا ، وبذا يمكن بناء قوة عسكرية عربية قوية(٥٦) ٠

وهذا يؤكد أن مصر مازال حتى الآن لها نفوذ قوى على شئون العالم العربى ، ولها رؤية بعيدة تهدف الى تحرير العرب من بقايا بؤر الاستعمار فى المشرق والمغرب العربيين ٠

وبالرغم من كل هذا فان مصر شهدت نوعا من الاحباط بنهاية شهر ديسمبر ١٩٥٤ فى وقت أوضح رئيس وزراء تركيا مندريس

بأن مستقبل التعاون العربى مع تركيا سوف يمر Menderes بعدة مراحل ، كما انه يعتمد بالدرجة الأولى على ايجاد تعاون وثيق مع العالم الحر(٥٧) وذلك برفض أى خطة تركية تهدف الى الاندماج مع العالم العربى ، ولهذا فقد تردد فى انشاء محور بين تركيا والعراق ، وأن الدولتين أصبحتا أكثر تصميما على ضرورة اقناع الدول العربية بالانضمام الى الحلف الشمالى (حلف بغداد) ٠

ان التوتر بين الدول العربية تصاعدت حدته على أثر الاعلان الذى تم بين العراق وتركيا فى ١٢ يناير ١٩٥٥ أثناء الزيارة التى قام بها رئيس وزراء تركيا الى العراق ، معلنين انسحاب العراق من تحالف الدول العربية الذى تتزعمه مصر ، وأيدت العراق رغبتها فى الانضمام الى الحلف الدفاعى مع تركيا ٠ وأن الدولتين يبديان رغبتهما فى تشجيع الدول العربية الأخرى للحاق بهما ، ويعلنان بأنهما يحثان هذه الدول لتوقيع هذه المعاهدة ويتحدون معهما(٥٨) ٠

وقام بعد ذلك رئيس وزراء تركيا مندريس بزيارة الى كل من سوريا ولبنان حيث لحق به رئيس وزراء الأردن(٥٩) وكان الهدف من زيارتهما حث هاتين الدولتين لكى يكونا عضوين فى تحالف جديد وكانت وجهة نظر مصر ازاء تطور الأحداث الحالية فى اتخاذ الخطوات التالية :

« لقد كان أمرا واضحا بأن المعركة بين سياستنا والعراق سوف تنعكس على سوريا ، وكان الوضع بكل بساطة يتمثل فى الآتى :

اذا تمكنت تركيا والعراق من السيطرة على سوريا وجذبها الى جانبها فان الأردن ولبنان سوف يسلكان نفس الطريق ، وبالتالى سوف تقف مصر بمفردها معزولة عن العالم العربى »(٦٠) ٠

ولكى تحبط مصر هذه المبادرة ، أعلنت مصر دعوتها لعقد مؤتمر لرؤساء الوزراء العرب لمناقشة المشكلة العراقية ، وفى هذا الاجتماع الذى استغرق الفترة من ٢٢ يناير الى ٦ فبراير ١٩٥٥ كانت تأمل أن تقنع العراق بعدم المضى فيما عزمت عليه من الانضمام الى أى تحالف ، ولكى تحول دون اقتداء دول عربية أخرى بها ٠

وبالاضافة الى هذا وجدت مصر أن من الضرورى بحث القضية العراقية ، اذا قدمت مصر ورقة عمل بها ١٢ نقطة ضد حلف بغداد ، وكان يساندها فى ذلك فقط كل من اليمن والعربية السعودية وبعد مضى أيام قليلة ، اتخذت مصر عدة اجراءات لحماية كل من سوريا ولبنان من الانزلاق فى هذا الاتجاه العراقى(٦١) ٠

وتلا ذلك تحرك مصرى ثان خلال هذا الاجتماع ـ كدعوة أخيرة موجهة الى الولايات المتحدة الأمريكية ، لكى تقدر موقف مصر وتحاول أن تنتبه الى مغزى سياستها(٦٢) ٠

ان السفير المصرى فى واشنطون أشار بأن مصر تعارض بشدة الشيوعية ، وتنتهج سياسة عدم الانحياز ، وأضاف الى قوله : « بأن الدفاع عن المنطقة العربية لابد وأن يكون نابعا من داخلها » وأن هذه الدولة يمكن لها « أن تطلب المساعدة ممن تشاء من القوى الكبرى ، وفى نفس الوقت تشجب وتستنكر العدوان على الآخرين »(٦٣) ٠

وقد أعلنت الصحافة المصرية ضرورة دعم العرب ومساندتهم لكى يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم فى المنطقة(٦٤) ٠

وحاول رؤساء الوزراء العرب المجتمعون بالقاهرة والمؤيدون لوجهة النظر المصرية اثناء العراق عن المضى فيما عزم عليه بالتحالف مع تركيا ٠ وكان المسئولون المصريون يأملون ـ ببذل

مزيد من الضغوط على العراق - ارجاء تنفيذها ما عزمت عليه على أقل تقدير ٠

وعند هذا الحد من تطور الأحداث شنت الصحافة المصرية حملة اعلامية شديدة ضد المسئولين العراقيين الذين يحاولون تدمير الوحدة العربية ، وفى نفس الوقت يلقون بالعالم العربى فى أتون تحالف يضم تركيا واسرائيل ، وسارعت الاذاعة المصرية - خاصة اذاعة صوت العرب - بتشديد الحملة الاعلامية على العراق وسياسته ٠

وعلى الرغم من هذه الحملة الاعلامية المصرية ، لكنها لم تأت بأى نتيجة ٠ وفى سوريا حيث كان المسئولون السوريون يساندون ويؤيدون السياسة العراقية الا أنهم ضد سياسة زرع الأحلاف الغربية فى المنطقة(٦٦) ٠

كما كان هناك رأى آخر يرى بأن تظل سوريا بمنأى عن هذا المنهج الذى سلكته العراق بهدف انقاذ الحكومة السورية الجديدة التى تشكلت فى ٦ فبراير(٦٧) للتصدى لمثل هذه المشكلة ٠

وبرغم هذا نجحت الوزارة السورية الجديدة المؤيدة للسياسة المصرية والتى تعبر تماما عن اتجاهات حزب البعث القومى ٠ وازاء هذا الموقف للوزارة السورية الجديدة ، حذرت العراق بشدة هذه الوزارة بأنها تلقى بنفسها فى أتون الخطر بسبب تأييدها للسياسة المصرية ، وبرغم هذا شنت سوريا فى ٢٢ فبراير حملة اعلامية ضد التحالف التركى - العراقى والذى لقى تأييدا من قبل حكومتى الأردن ولبنان(٦٩) ٠

وجدير بالذكر أن مؤتمر القمة العربى فشل فى اقناع العراق بالتراجع عما عزمت عليه ، كما أن المؤتمر لم يتمكن من توجيه أى

نقد أو لوم لها · ولهذا وجدت مصر صعوبة فى التصدى لسياسات دول عربية أخرى تسعى الى السير فى ركاب دولة العراق ، وحينما تم الاعلان يوم ٢٦ فبراير ١٩٥٥ عن قيام مايسمى بحلف بغداد بين تركيا والعراق ، تراءى للجميع أن مصر فقدت سيطرتها على العالم العربى ·

* * *

وحتى ذلك الوقت كانت الدول العظمى فى الغــــرب ماتزال منقسمة على نفسها لتحديد الهدف من انشاء حلف بغداد ، وكان المسئولون فى الدول الغربية يرون أن انشاء حلف بغداد ماهو الا تنظيم دفاعى محلى ، حيث تكون اجتماعاته تحت اشـــراف الدول الغربية الكبرى ·

ومن ثم فقد تعددت الآراء ووجهات النظر حول الهدف الرئيسى من انشاء حلف بغداد · هل هو بدافع المحافظة على مصالح دوله وتنميتها فى المنطقة ، أو بهدف الدفاع عن دول المنطقة ؟

والملاحظ أن الدول الغربية ظلت تراقب تلك المفاوضات بين الدول المعنية بشأن انشاء حلف بغداد من وراء ستار حتى لاتعمل على اثارة الرأى العام فى المنطقة العربية · عندئذ تظهر هذه القوى الكبرى أنها غير ضالعة فى انشاء هذا الحلف الغربى فى قلــــب الوطن العربى ·

ان حدود المسئولية الواقعة على كل من أمريكا وانجلترا فى هذا الاتفاق يعد نموذجا يجب الاحتذاء به ، وتعد أمريكا هى الدولة المحورية المحركة لهذا الحلف ، بل ان فكرته تعود فى بادىء الأمر الى تخطيط جون فوستر دلاس وزير الخارجية الأمريكية على أثر

زيارته لدول المنطقة عام ١٩٥٣ · كما كانت المحادثات مع تركيا - في بادىء الأمر - تعد الركيزة الأولى لهذا الحلف(٧١) ·

وبالنسبة للدول الغربية الأخرى - أعضاء حلف الأطلنطى - فان المسئولية تقع عليهم بالتساوى · كما أن أمريكا هى التى أوعزت الى انجلترا بأن تكون شريكة فى حلف بغداد(٧٢) ·

وحينما تبلورت كل هذه السياسات حول المصالح المهمة للدول الكبرى ، فقد تراءى الى بريطانيا أنها سوف تجنى ثمار مواقفها وجهودها أكثر مما تحصل عليه الولايات المتحدة من هذا الحلف ، وعلى سبيل المثال : حينما حدث تقارب الى حد مابين أمريكا ومصر - فى ذلك الوقت - ركزت انجلترا كل اهتمامها مع العراق ، والخليج العربى لكى تقيم توازنا مع نفوذ ومصالح أمريكا فى المنطقة(٧٣) ·

ففى هذه المرحلة اعتقدت بريطانيا أنها استعادت نفوذها فى المنطقة من وراء هذا الحلف ، وفى واقع الأمر أن ظهور هذا الحلف (بغداد) أضعف كثيرا من نفوذانجلترا فى منطقة الشرق الأوسط ، كما أن قوى المعارضة الوطنية فى العراق تصدت للتواجد البريطانى ·

وأشار السفير الأمريكى جلمان Gallman فى العراق بقوله : « ان سياسة بريطانيا من خلال تطور العلاقات التركية - العراقية كان لها أكثر من دافع »(٧٤) · لقد تمكن العراق من تطوير علاقاته مع تركيا وبعض الدول العربية الأخرى بعد أن قام الملك فيصل ونورى السعيد رئيس الوزراء بزيارة لندن(٧٥) ·

ومن الملاحظ أن أمريكا قامت بضغوط شديدة على العراق ، بينما كانت بريطانيا مشغولة فى حل مشكلتها مع مصر ، هذا الموقف قد أدركته الحكومة البريطانية مؤخرا .

وعقب توقيع العراق وتركيا للاتفاق ، سارعت بريطانيا بالانضمام الى المعاهدة برغم أنها تتعلق بكلتا الدولتين ، وكان اتفاق انجلترا مع العراق الموقع فى ٤ أبريل ١٩٥٥ بدلا من معاهدة ١٩٣٠ .

ومن ثم كان لانجلترا وضع خاص فى العراق(٧٦) وبعرض السياسة البريطانية أمام مجلس العموم البريطانى ، عرض رئيس الوزراء أنتونى ايدن وجهة نظره بقوله : « ان هدفنا الأساسى من الانضمام الى هذه الاتفاقية غاية فى البساطة حيث اعتقد أننا نعمل على تقوية نفوذنا ووجودنا فى منطقة الشرق الأوسط ، واننى أؤيد أى اتفاقية من شأنها أن تعمل على زيادة نفوذ دولتى »(٧٧) .

ومنذ ذلك الوقت ، وحتى انفجار أزمة قناة السويس ١٩٥٦ فقد كان حلف بغداد أهم محور فى سياسة انجلترا فى منطقة الشرق الأوسط(٧٨) وعلى النقيض من ذلك كانت الولايات المتحدة الأمريكية على أتم الاستعداد لتنمية مصالحها من خلال علاقاتها بكلا الجانبين ـ انجلترا والدول العربية ـ اذ كانت أمريكا حريصة على تقوية دفاعات الدول العربية العسكرية تطبيقا لنظام الدفاع الغربى فى المنطقة حرصا منها على مصالحها الشخصية .

حقيقة ان مسألة انشاء حلف بغداد ـ فى العالم العربى ـ أمر لايمكن قبوله أو التغاضى عنه ، فى وقت كانت أمريكا مصممة على اقامة نظام الدفاع الغربى لمواجهة الخطر الشيوعى . وفى

الواقع كانت هذه خطة أمريكية بعيدة المدى لمواجهة الخطر النووى من قبل الاتحاد السوفيتى ·

وهناك كثير من الحقائق بما فى ذلك موقف مصر القوى ضد اتفاقية المساعدات العسكرية فى أبريل ١٩٥٤ ، وكذلك الاتفـــاقية الاقتصادية بالاضافة الى مساندة اسرائيل فى عدوانها على الدول العربية ، كل ذلك جعل المسئولين الأمريكيين قلقين على تفاقم المشاكل تماما كما حدث عندما انشقت العراق عن الصف العربى ·

هذه الدوافع وضحت الى أى حد يجب أن يكون هناك دليل على هذه الاقتراحات ، خاصة أن الادارة الأمريكية ذكرت « انتظر لترى Wate and see» خاصة أثناء المفاوضات التى أدت الى قيام حلف بغداد ، لقد أشار لوى هندرسون Loy Henderson مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق « أن الولايات المتحـــدة الأمريكية تفضل اقصاء الدول العربية من هذا الحلف ، وفى نفس الوقت لا أتصور بأن حكومتنا كانت راضية عن حلف بغداد ، ونحن لدينا كثير من الشكوك عن الدول العربية المنضمة اليه »(٧٩) ·

وسواء كانت رغبة العراق أو عدم رغبتها للانضـــمام الى الحلف أثناء المفاوضات الخاصة بهذا الشأن تحتاج الى دليل واضح

ولكى نناقش مسألة المفاوضات التى جـــرت بين أمريكـــا وانجلترا ولم يتمخض عنها أى تقارب فى العلاقات بين الجانبين ، ومن المحتم أن الذين قبلوا بوجهة النظر القائلة « بأن أمريكا كانت صاحبة المبادرة فى بدء المفاوضات برغبة أمريكا فى انشـاء حلف الحزام الشـــمالى ، وبين تلك الظروف التى ظهرت فيها بريطانيا فى هذا المجال ، فان الانجليز كانوا يقصدون أن يقوموا بدورهم على اعتبار أن لانجلترا اليد الطولى فى منطقة الشرق الأوسط حتى عام ١٩٥٥ ·

وفى المقابل قد فضلت أمريكا أن تظل بعيدا عن الأحداث بينما أخذت بريطانيا تنظر الى النتائج التى سوف تتمخض عن قيام حلف بغداد ، هذا الحلف سيكون له تأثير قوى على محاولات أمريكا الأولية فى دول الحزام الشمالى ٠

وهناك أسباب أملت على أمريكا بالا تصبح شريكا كاملا فى حلف بغداد ، ويعد هذا من الوثائق المهمة التى تؤكد هذا التطور السابق فى العلاقات بين انجلترا وأمريكا ، ويأتى فى مقدمة هذه الأسباب « ردود الفعل العربية القوية فى بعض البلاد العربية ضد حلف بغداد ، تماما كما اكد ذلك وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دلاس فى ١٩٥٧ أمام مجلس السناتو بأن حلف بغداد كان سببا قويا فى حدوث الخلاف والشقاق فى منطقة الشرق الأوسط »(٨٠) ٠

وثمة ظهور أمل لدى الدول العربية بأن تهدىء من معارضتها الشديدة اذا ماظهر حلف بغداد فى دول المنطقة ، ولكن حتى هذا الأمل تلاشى تماما عندما أصبحت بريطانيا عضوا فى هذا الحلف فى أبريل ١٩٥٥ وعندئذ اتضحت النوايا والأهداف ٠

ومتخذو القرار الأمريكى كان يهمهم بالدرجة الأولى مدى رد الفعل لدى مصر والعربية السعودية واسرائيل ، نتيجة اعلان هذا الحلف وكانت الولايات المتحدة ماتزال تحاول ضغطها على مصر لكى تنضم الى الغرب وأن هذا الحلف يخدم الوحدة العربية ٠

وفى الحقيقة فان حلف بغداد ماهو الا وجه من أوجه الاستعمار (٨١) ولن نستطيع استنكار موقف السعودية من تأكيد اهمية مصالح أمريكا البترولية وكذلك القاعدة الأمريكية فى المملكة ولقد شرح دلاس واكد هذه المخاوف فى السطور التالية :

«ان حلف بغداد يعتبر عاملا موحدا للدول العربية ، فهناك العديد من المشاكل بعضها معقد جدا بالنسبة لنا ، وبالاضافة الى هذا فان حلف بغداد أثار ردود فعل قوية فى العالم العربى » ٠

ان حلف بغداد يعد مشكلة مثيرة للجدل بين الدول العربية ونحن لنا أصدقاء فى المنطقة مثل : العربية السعودية التى تربطنا بها علاقات قوية منذ أمد طويل ، هذا بالاضافة الى قاعدة الظهران الأمريكية فى المنطقة الشرقية بالعربية السعودية ٠

ان العداء العربى ـ الاسرائيلى يجب علينا أن ينال منا كل اهتمام باعتبار ذلك يشكل عقبة أمام السياسة الأمريكية فى المنطقة وأن حلف بغداد الذى زعزع كيان العالم العربى ، وهذا يؤثر بالتالى على أمن اسرائيل ، وهذا التناقض فى النتائج يشكل عقبة كبرى فى المنطقة ، وهناك تعليمات من السياسيين الأمريكيين الذين يرون عدم اثارة المشكلة أمام الكونجرس الأمريكى ، لأن هذه المشكلة تنال كل اهتمامهم نظرا للنتائج التى يمكن أن تترتب عليها ٠

ولكى يتم الحصول على ٢/٣ أصوات الأعضاء الأمريكيين فى مجلس السناتو ، فلابد أن تواجه بعض الصعوبات ، مالم يكن هناك اتفاق سرى مع اسرائيل ٠

واذا أمكن لنا أن نحصل على اتفاق مشابه مع اسرائيل ، فاننا سوف نواجه معارضة شديدة من مجلس السناتو ، ففى هذه الحالة سوف نكون فى وضع حرج للغاية »(٨٣) ٠

ان السفير الأمريكى جالمان Galiman تحدث الى المندوبين فى مؤتمر بغداد المنعقد فى شهر نوفمبر ١٩٥٥ ، والذين أكدوا بأن تأييد مندوب الولايات المتحدة يجب أن يكون متفقا مع مطالب اسرائيل التى تتواءم مع أمنها القومى ، وهذا الموضوع كان مطلب الساعة فى ١٩٥٦(٨٤) ٠

والعقبة الأخرى ـ الغاية فى الخطورة ـ أمام مندوب أمريكا كان الخوف من اعتراض الاتحاد السوفيتى(٨٥) وعلى الرغم من أن سياسة أمريكا الخارجية تنحصر حول احتواء الاتحاد السوفيتى فان المسئول الأمريكى فى امكانه التوصل الى اتفاق برضى الطرفين بحيث لايشكل أى خطورة على استراتيجية منطقة الشرق الأوسط ، اذا كانت أمريكا عضــوا فى الحلف ، بحيث تتفق الى حد كبير مع خطة دفاع الشرق الأوسط فى مواجهة الخطر السوفيتى ٠

فلهذا السبب ولأسباب أخرى فان الولايات المتحدة رأت ألا تحضر جلسات مؤتمر حلف بغداد بالرغم من الضغوط الشــديدة عليها من جانب انجلترا وكذلك تزكيـــة الســـفير الانجليزى فى العراق(٨٦) ٠

وبالرغم من هذا فان الولايات المتحدة كانت تحضر جلسات مؤتمر بغداد كعضو مراقب ليس الا حتى عـــام ١٩٥٦ ، وأخيرا وافقت أمريكا على أن تكون عضوا عاملا فى اللجنة الاقتصـادية ، وعضوا مراقبا للمؤتمر(٨٧) ٠

وقد تبلور موقف أمريكا كعضو عامل فى نفس اللجنة منذ يونيه ١٩٥٧(٨٨) فمن المستحيل أن الولايات المتحدة أوقفت الدعم الكامل لمجموعة دول حلف بغداد(٨٩) وكانت علاقاتها مع أعضاء الحلف وثيقة الصلة وكما سوف نرى فى الفصل الثامن من هذا الكتاب ، العمل على تقوية هذه الدول فى الحرب النووية مع الاتحاد السوفيتى هذا ما اقره السياسيون الأمريكيون فى مشروع ايزنهاور ١٩٥٧ (الخاص بملء الفراغ فى الشرق الأوسط)(٩٠) ٠

وبهذه الطريقة والأسلوب كانت لأمريكا علاقات خاصة مع مجموعة دول حلف بغداد والتى صيغت بهذا الشكل :

« ان الولايات المتحدة الأمريكية كانت شريكة فى الحلف ولكن بطريق غير مباشر ، فهى مشاركة مشاركة فعالة ولكن ليس بشكل قانونى »(٩١) ٠

* * *

وعلى الرغم من أن حلف بغداد لم يكن له أى تأثير بشكل مباشر على تطور العلاقات المصرية ـ الأمريكية ، فان هذا الوضع أوجد عدة مشاكل غاية فى التعقيد ، وبرغم هذا ظلت العلاقات المصرية ـ الأمريكية متماسكة ، وكمثال لهذا فان الدول الأوربية كانت تدعم دول الحلف بما فى ذلك تركيا ٠ كما أن هذه الدول الغربية بما فى ذلك أمريكا ٠٠ كانت تنظر الى مصر باعتبار أن لها وضعا خاصا بين دول الشرق الأوسط ٠

وكانت مصر تعمل جاهدة على نجاح سياستها باقامة اتحاد عربى أقليمى يكون بديلا من انزلاق بعض دول المنطقة الى مشروع الغرب الدفاعى وكان العراق فى تعامله مع الغرب قد أخل بهذه القاعدة بقوله : أن الخطر الشيوعى سوف يهدد كل الدول العربية دون استثناء ، كما كان العراق يرى : « أن الحقيقة المؤكدة بأن مصادر البترول العربية سوف تحميها الجيوش الأوربية الغربية ، ومن هنا فان مصر سوف تجد نفسها معزولة عن العالم العربى وبالتالى تضطر الى قبول وجهة نظر العراق » ٠

ولكن هذا الافتراض ـ الخاطىء ـ دعم موقف مصر فى مواجهة محاولات العراق لجذب بعض الدول للانضمام الى حلف بغداد ، كما مضى ناصر فى حملته ضد المسئولين العراقيين ، وكل أعضاء حلف بغداد بقوله :

« ان مشاعر الكراهية والبغضـــاء بدأت بيننا وبين نـورى السعيد زعيم العراق ، وبيننا وبين أمريكا »(٩٢) ٠

ان حملة الهجوم المصرى ضد العراق سرعان ماشملت الولايات المتحدة الأمريكية ٠ ان انضمام العراق الى حلف بغداد قضى على فكرة الدفاع العربى ، وان كانت الولايات اعترفت بهذه الحقيقـــة مؤخرا ، وان كانت مصر فرقت بين موقف انجلترا وأمريكا بقيام حلف بغداد نظرا لمناصرة الأولى له ، وتحـريض الثانيـــة على قيامه ٠

ان حلف بغداد ساعد على زيادة التوتر بين مصر واسرائيل حيث بدأت المشاعر تطفو على السطح فى هذه الفترة بالذات ، وأن اتفاقية الجلاء بين مصر وانجلترا الموقعة فى اكتوبر ١٩٥٤ والتى تضمنت فكرة انسحاب القوات البريطانية ، هذه الاتفاقية ساعدت على اتساع هوة الخلاف والتوتر بين مصر واسرائيل ، ومن ثـم فقد ساورت اسرائيل المخاوف من مصر ٠

وبالنظر الى النتائـج التى تمخضــت عن قيام حلف بغداد ، وردود الفعل لدى الدول المجاورة لاسرائيل ، فان أعداءها (العرب) سوف يسلحون بأسلحة غربية تساعد على تقويتها بشكل أكثر من قوة اسرائيل ٠ وبعد مضى أربعة أيام بعد توقيع العراق للانضمام الى عضوية حلف بغداد ، أغارت القوات الاسرائيلية على القوات المصرية فى قطاع غزة ، وعلى الحدود المشتركة بين مصر واسرائيل والتى وصفت بأنها أعنف الغارات العسكرية الاسرائيلية ٠

ان وقوع سلسلة من الحوادث المؤسـفة من جانب أمريكـا ، والتى كانت ذات صلة وثيقة بحلف بغداد ، كان من المحتمل أن يكون لها تأثير أكثر من هذا ٠ وان موقف مصر المعارض بشدة لسياسة

العراق واسرائيل أمر دفع مصر الى تكوين جبهة معارضة لـدول حلف بغداد ، ولتقبل المساعدات والدعم من الاتحاد السـوفيتى لتكون جبهة غير منحازة لتقبل المساعدات ·

وكما سنرى - فى الفصل التالى - أن مصر استعانت بكل هذه الحلول حتى لاتكون معزولة ، ولتؤكد زعامتها لكل من : دول العالم العربى ، ودول عدم الانحياز ، وذلك على الرغم من تصلب وتعنت أمريكا بالنسبة لمصر التى تعتبر أهم عقبة تقف أمامها ·

ولهذه الأسباب سالفة الذكر ، كانت هذه الحلول تبدو غير مقبولة فى حالة الحرب النووية ، والوضع الاستراتيجى الأمريكى ، ولاشك أن هذه الأحداث وماترتب عليها من نتائج تالية تركت أثرا عميقا على تدهور العلاقات المصرية - الأمريكية ، وصـلت الى الحضيض ، ولهذا لابد أن تتخلص من الآثار السيئة التى تركها حلف بغداد ، خاصة فى منطقة العالم العربى والمزايا التى حصـلت عليها دول حلف الحزام الشمالى سيئة على دول المنطقة ودفـع اسرائيل كذلك الى القيام بأعمال عدوانية ، الأمر الذى جعـل الاتحاد السوفيتى يغتنم هذه الفرصـة للاسـتفادة من الموقف لصالحه ، وأن الموقف المتدهور بين مصر والعراق جعل المنطقـة العربية ميدانا للحرب الباردة ·

وعلى الرغم من العلاقة الأمريكية القوية لدول حلف بغداد فقد ظلت هذه العلاقة تتسم بطابع خـاص ، وأن رئيس الوزراء الانجليزى أنتونى ايدن Anthony Eden يشارك أمريكا عزلتها الى آخرين يشاركون أمريكا عزلتها ايضا . فان هذا الموقف خدم موقف مصر المعارض ، وان كانت هذه المعارضة بدرجة أقل بالنسبة لأمريكا مما كان له أثره العميق فى ازمة السويس فيما بعد(٩٤) وأن

ازمة السويس هذه اتاحت الفرصة امام الاتحاد السوفيتى أن يتدخل بقوة فى شئون المنطقة ٠

والأمر الذى لاينكره أحد ، أن موقف أمريكا غير القوى بدول الحلف ، جعل الموقف الأمريكى لا يؤيد بقوة سياسة هذه الدول(٩٥) وكانت الدول المؤيدة للحلف تشجع أمريكا على أن تلعب دورا جديدا على الرغم من أنها لم تكن مشاركة ، مشاركة فعالة فى أعمـــال الحلف ، وان كان بعض الأعضاء الأمريكيين يرون التخلى تماما عن اقامة اى علاقة بدول حلف بغداد ، كما أن مخاوف اسرائيل حملت حكومة أمريكا مغبة الموقف المتدهور ، والتهديدات الموجهة ضـــد اسرائيل من قبل العرب ٠

N O T E S

(1) J.F. Dulles, «Policy for Security and Peace,» U.S. Department of State, **Bulletin**, 16 March 1954. See also Ibid., 12 January 1954.

(2) P.M.A. Lniebarger, «Air Power in the Modern Middle East,» **Annals**, May 1953, PP. 109 — 17. See also J.S. Raleigh, «The West and the Defense of the Middle East,» **Middle Eastern Affairs**, June/July 1955, P. 178.

(3) The Atals missile developed in 1953 was capable of carrying a thermonuclear head. With such massive desrtuction capacity, accuracy was no longer necessary. Nor had the anti-missile missile been developed. Becouse of the limited range of the Atlas, however, close proximity of delivery bases was necessary. Note that it was only after 1959, with the development of long-range bombers, that dependence on overseas bases was greatly diminished. Leonard Beaton, **The Struggle for Peace** (London : George Allen and Unwin, 1966), P. 27.

(4) According to American Ambassador Wadsworth, the Northern Tier concept involved the following strategy: «If Russia is to be stopped by force from enternig the Near East, strategically

the best line is the line of the Caucasus, and then the Zagros Mountains down through Persia». (U.S. Cong., **Hearings, 1957,** P. 637).

(5) **Egyptian Gazette,** 4 June 1953.

(6) Ibid., 18 June 1953.

(7) Dulles, «Evolutoin of Foreign Policy,» U.S. Department of State, **Bulletin,** 12 January 1954.

(8) For example, the Iranian government, followniq the fail of the leftist Mossadegh regime in August 1953, needed American aid to consolidate its position aganist remaining opposition elements. Pakistan's need to reinforce its position against India was urgent, Campbell, **Defense of hte Middle East,** PP. 49 — 62. The cases of Turkey and Iraq are considered at length in the text.

(9) **New York Times,** 13 November 1953.

(10) Ibid., 8 and 23 February 1954; see also Eisenhower's statement, 25 February 1954. **Documents on American Foreign Relations, 1954,** PP. 373 — 74. Note that Pakistani-Indian hostilities were a major problem. Probably the American insistence on Pakistan's collaboration with Turkey was a device to reorient Pakistan toward the Middle East. In an effort to allay Indian fears, the nonoffensive natuie of the agreement was stressed. U.S. Department to State, **Bulltin,** 15 March 1954, P. 401 : see also ibid., P. 400, for letter from Eisenhower to President Nehru. Britain remained aloof in order not to mar its relations with India.

(11)E.g., the February meeting between Eisenhower and President Bayer of Turkey. **New York Times,** 15 February 1954.

(12) For text see **Documents on American Foreign Relations, 1954,** PP. 376 — 79. See also June statement by Pakistani Prime Mnilster Mohammed Ali emphasizing that this agreement was to

be the first step and that other Middle East states could aspire to the aims it embodied, **New York Times**, 13 June 1954. **For all practical purposes, the agreement was later to be superseded by the Turco-Iraqi Pact in February 1955. See Dipolmacy in the Near and Middle East**, 2 : 345.

(13)On 8 September 1954. U.S. Department of State, **Bulletin**, 1 November 1954, PP. 639 — 40. Following the agreement, the United States gave additional military aid to Pakistan.

(14) After the fall of Mossadegh, additional American assistance was made available. U.S. Department of State, **Bulletin**, 14 September 1953, P. 350. See also Eisenhower, **Mandate for Change**, P. 164. Eisenhower hodls that $ 85 million had been made avaialble to Iran in fiscal year 1954.

(15) «Evidence indicates Iraq more willnig to consider defensive arrangements than other Arab states, U.S. military equipment and training mission urgently desired,» Dulles, «Important Points of Trip.» Unpublished Memorandum, **Dulles Private Papers.**

(16) The Fertile Cresent Unity Scheme continued to occupy the Iraqi leaders. See Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 13 and 19 January and 18 August 1954 for examples.

(17) Iraq, however was the only Arab country among those that declared war on Israel in 1948 that had yet to conclude an armistics agreement with it.

(18) In Syria there was the internal support of prominent pro-Iraqi political factions; Jordan was a cousin Hashemite state! Lebanon, because of its Western leanings, could follow the Iraqi lead. Saudi Arabia was excluded because of traditional hositility toward the Hashemites. American Ambassador to Iraq Gallman holds that Dulles encouraged an arrangement with Iraq «because

of the effect it would have on the other Arab states». (W.J. Gallman, **Iraq under General Nuri** (Baltimore, Med. : The Johns Hopknis Press, 1941), P. XIII).

(19) Campbell, **Defense of the Middle East,** P. 52; for text of the 21 April 1954 agreement see **Diploamcy in the Near and Middle East,** 2 : 346 — 47. Also note earlier statement by the Iraqi Prime Minister calling for the establishment of «a defense line, similar to that of the West» (**New York Times**, 11 March 1954).

(20) **Dipplomacy in the Near and Middle East,** 2 : 346. **New York Times,** 29 April 1954.

(21) Egyptian Foreign Minister Fawzi to Ambassador Caffey, **Egyptian Gazette,** 23 March 1954.

(22) **Al Gomhouria,** 15 April 1954. See also ibid., 12 April 1954, for Nasser's comments on the effects of such a pact on Arab unity.

(23) **Al Misri,** 3 April 1954, and 5 March 1954.

(24) **Al Gomhouria,** 20 February 1954.

(25) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 21 April and 26 July 1954. Nuri El Said, reportedly admitted to American Ambassador Gallman that 95% of the Iraqi population was aganist the Israeli enemy, not the Soviet Union. Gallman, **Iraq Under General Nuri,** P. 27.

(26) See open letter of Moslem Brotherhood Supreme Guide Hodiby of 2 August 1954 to Nasser, Lacouture, **Egypt in Transition,** P. 237, and Wheelock, **Nasser's New Egypt,** PP. 44 — 45 quoting a 1958 personal niterview with Anwar El Sadat. Note that although the Brotherhood had been officially disbanded in January 1954 (**Al Ahram,** 16 January 1954), it resurfaced during the struggle between Nasser and Naguib in support of the latter.

(27) Wheelock, **Nasser's New Egypt**, P. 43.

(28) **Al Ahram**, 30 and 31 July 1954.

(29) Little, **Modern Egypt**, P. 147.

(30) Statement by Nasser, **el Tahrir**, 21 August 1954.

(31) Wheelock, **Nasser's New Egypt**, P. 217. Egypt may in fact have accepted the inclusion of Turkey in the Arab Collective Defense Organization.

(32) The Soviet Union had not yet begun to supply non-Soviet Block countries. Anthony Nutting, a British representative to Egypt during this period, reports that Nasser told him that the soldier in him called for cooperation in a defense agreement for consolidating and strengthening Egypt with modern weaponry. Anthony Nutting, **Nasser (London : Constable, 1972), P. 74.**

(33) Nasser, in **U.S. News and World Report**, 1 September, 1954. See also statements in the **New York Times**, 23 July and 22 October 1954. He declared that «the Government of Egypt has pointed out that this evacuation (of British troops) will not create a military «vacuum» in the Middle East but will pave the way for strengthening the area's defenses.» See also Abdel Nasser, «The Egyptian Revolution,» P. 210.

(34) Ibid., P. 210. See also Spain, «Middle East Defense : A New Approach,» **Middle East Journal**, Summer 1954, P. 253.

(35) **Egyptian Gazette**, August 1954. Prior to the Anglo-Egyptian agreement the Egyptian spokesman, Salah Salem, had visited Saudi Arabia, Lebanon, and Yemen, reportedly to strengthen the Arab League ties of these countries (**Al Ahram**, 12 and 30 June and 11 July 1954). Following his sojourn in Saudi Arabia it was announced that agreement had been reached for a joint Egyptian-Saudi Arabia military reource merger and that efforts

were being made to persuade Jordan to join (ibid., 1 July 1954; and Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 11 June 1954). This development could still, however, be interpreted in terms of forcing Britain to make further concessions for agreement with Egypt.

(36) Iraq's Nuri El Said and Syria's Prime Minister Said Ghazz were present. **Egyptian Gazette,** 18 September 1954.

(37) Gallman, **Iraq under General Nuri** (P. 37) holds that Near of Egypt was a heavy constraint on Iraqi policy toward the northern pact. Britain's interest in Iraq was intensified by the approaching expiration of the 1930 Anglo-Iraqi Treaty of Alliance, due to lapse in 1957.

(38) **Egyptian Gazette,** 22 and 24 August, and 18 September 1954.

(39) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 10 September 1954.

(40)**New York Times,** 4 August 1954; **Egyptian Gazette,** 31 August and 1 September 1954.

(41) The group sent to Washington included Chief-Staff Major General Mohammed Ibrahim and four other high-ranknig Egyptian army officers. Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 16 September 1954. Former CIA agent Miles Copeland gives an account of the discussions between Nasser and American Colonels Albert Gerhardt and Wilber Eveland. Copeland, **The Game of Nations,** PP. 120-25.

(42) U.S. Cong., **Hearings, 1957,** PP. 730 — 31.

(43) **New York Times,** 31 September 1954.

(44) Copeland, **The Game of Nations,** PP. 120 w 25.

(45)**Egyptian Gazette,** 20 August 1954.

(46) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 21 August 1954; ibid., 9 and 28 April 1954.

(47) **Egyptian Gazette**, 17 September 1954 and **New York Times**, 20 October 1954.

(48) See Turkish Prime Mniister Menderes's statement, **Egyptian Gazette**, 18 September 1954.

(49) On 31 October 1954. BBC, no 515, 5 November 1954, quoted in Seale. **The Struggle for Syria**, P. 209.

(50) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 1 December 1954; Seale, **The Struggle for Syria**, P. 209.

(51) Nuri El Said, quoted in Gallman, **Iraq under General Nuri**, P. 30.

(52) **Egyptian Gazette**, 19 October 1954.

(53) Dulles, «Importan Points of Trip.» Unpblished Memorandum. **Dulles Private Paers.**

(54)Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 18 and 21 November and 1, 4, and 18 December 1954 : also 1 January 1955. Since the Egyptian agreement allowed for British re-entry in case of an attack on Turkey, it was felts that Egypt could hardly object to a similar arrangement between Iraq and Britain.

(55) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 6 December 1954.

(56) Ibdi., 16 December 1954; Seale, **The Struggle for Syria** P. 211.

(57) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 27 December 1954.

(58) Ibid., 12 January 1955; Nutting, Nasser, P. 81.

(59) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 13, 14, and 15, January 1955.

(60) Salah Salem to Seale, **The Struggle for Syria**, P. 212.

(61) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 21 January 1955; ibid., 30 January 1955. Traditional Hashemite-Saudi rivalry made

Saudi Arabia a natural ally of Egypt aganist Iraq. See official aSudi Arabian statement condemning Iraq in **Al Ahram, 9, 11.** **and** 12 February 1955.

(62) See the statement of Foreign Minister Mahmoud Fawzi to U.S. Charge d'Affaires Jones in **New York Times, 18** January **1955.**

(63) Ibid., 31 January 1955.

(64) **Al Akhbar,** 1 February 1955.

(65) See, for example, **Al Ahram,** 20 and 29 January 1955 and **El Gomhouria,** 14 and 31 January 1955; Seale, **The Struggle for Syria,** PP. 216 — 17, 223, Gallman, **Iraq under General Nuri,** P. 38.

(66) See **Egyptian Gazette,** 16 and 17 January 1955. The Syrian Prime Minister excused the Iraqi move as a result of Arab League weakness. Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 1 February 1955.

(67) Ibid., 7 February 1955.

(68) Ibid., 22 February 1955.

(69) Ibid., 14, 20, and 21 February 1955, for example.

(70) Britain adhered to the Pact in April. Pakistan in September, and Iran in October 1955.

(71) E.g. Copeland, **The Game of Nations,** P. 126; see also former Ambassador to Iraq. Gallman, **Iraq ander General Nuri,** P. 29.

(72) Former U.S. Ambassador to Egypt Raymond Hare to the author. See the remarks by then Ambassador to Egypt Byroade, quated in Love, **Suez : The Twice-Fought War,** P. 199, as as well as Byroade's comment in U.S. Cong. **Hearings, 1957,** P. 740.

See also comments by Raymond Hare and Loy Henderson in **Dulles Oral History Collection.**

(73) Eden, **Full Circle,** 3 : 214 — 20.

(74) Gallman, **Iraq under General Nuri,** P. 61. See also Eden, **Full Circle,** 3 : 214 — 20.

(75) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 18 September and 16 October 1954.

(76) Great Britain, **Traties Series,** nos. 50 and 9544, London, HMSO 1955. Although its bases legally passed to Iraq, Britain still retained its former privileges (Raouf El Said, «The Baghdad Pact in World Politics,» Thesis, Graduate Institute of International Studies. Geneva, 1971, P. 81).

(77) Great Britain, House of Commons, **Five Parliamentary Debates,** Doc. 39 (1955), P. 897.

(78) El Said, «The Baghdad Pact in World Politics,» P. 84 and Harold Macmillan, **Ridnig the Storm, 1956 — 1959** (London : Macmillan, 1971), P. 639.

(79) Quoted from **Dulles Oral History Collection** and confirmed by Loy Henderson to the author. This is indirectly corroborated by Gallman, who notes that — for unstated reasons — the Untied States was very slow in responding to Iraqi approaches concerning arms and the pact (**Iraq under General Nuri,** PP, 16 and 33)

(80) U.S. Cong., Hearings, 1957, P. 334. See also Dulles's Comments in Unpublished Background Press Conference, 24 March 1957, **Dulles Private Papers,** where he recognized the extreme sensitivity of Arab countries in general, and of Egypt in particular, to the issue of national sovereignty raised by the pact.

(81) Ambassador Gallman to Baghdad Pact delegates at their 12 November 1955 meeting, **New York Times,** 27 November 1955. See Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 16 April 1956.

(82) U.S. Cong., **Hearings, 1957**, PP. 50,334, and 107 : see also PP. 255 — 56.

(83) Dulles, Unpublished Background Pree Conference, 24 March 1957, **Dulles Private Papers.** See also Eisenhower, **Waging Peace** (Garden City, N.Y. : Doubleday, 1965), P. 27; Macmillan's comments on a Dulles note in this regard, Macmillan, **Riding the Storm**, PP. 631 ff.

(84) New York **Times**, 27 November 1955. Deputy Under-Secretary J.D. Jernegan had assured Israel that the United States would refrain from membership until Arab-Israli tensions were resolved. Ibid., 7 March 1955. Dulles reportedly promised that as soon as this issue was settled, the United States would join the pact. Macmillan, **Riding the Storm**, P. 631.

(85) Ambassador Gallman admitted this fact. New York **Times**, 27 November 1955.

(86) Nuri El Said desired American membership, which would have supported Iraq aganist Egypt. Gallman, **Iraq under General Nuri**, P. 30. For Britain, see Eden, **Full Circle**, 3 : 371 — 75 and and Macmillan, **Riding the Storm**, P. 632. Ambassador Gallman later said he had urged U.S. participation on the following grounds : (1) the U.S. was the origniator of the Northern Tier concept; (2) U.S. and British adherence would give the Middle East proof of their common cooperation; (3) U.S. adherence would enhance its own influence in the Middle East : (4) no material enlargement of the U.S. commitment was implied; (5) American membership might quell Israeli fears by controlling the use of arms sent to Iraq : (6) it would also reduce Iraqi fears of Turkish irredentist designs on Mosel (**Iraq under General Nuri**, P. 57).

(87) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 18 and 19 April 1956.

(88) U.S. Department of State, **Bulletin**, 7 May 1956, P 755 and 17 June 1957. P. 989.

(89) For example, see J.D. Jernegan, U.S. Department of State, **Bulletin**, 4 April 1955, P. 564. The United States welcomed Pakistani and Iranian adherence. See ibid., 3 October 1955, P. 534 and 24 October 1955, P. 653. In April 1956 it assumed a share of the Pact's financial burden. Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 19 April 1956.

(90) Dulles, Unpublished Background Press Conference, 24 March 1957, **Dulles Private Papers.**

(91) Campbell, **Defense of the Middle East**, P. 61.

(92) Gamal Abdel Nasser. **Where I stand and Why** (Washington. D.C. : Press Department, Embassy of the U.A.R., 1959), P. 4. See also Nasser's statement, **Al Ahram**, 28 March 1956.

(93) See comments by Henry Byroade in U.S. Cong., **Hearings**, 1957, P. 707.

(94) Eden, **Full Circle**, 3 : 336, 374 — 75.

(95) This was noted by Senator Hubert Humphrey : «For many months we have ...... know that America's participatoin in the Baghdad Pact is half in and half out — in just enough to cause irritation; out just enough to make us ineffective,» **U.S. Congressional Report**, 85th Cong., 2nd sess., 1958, 104, pt. 10 P. 13604; se ealso Campbell, **Defense of the Middle East**, PP. 61 — 62.

الفصل الخامس

سياسة الحياد
ناصر يتحدى الغرب

في منتصف ١٩٥٠ عقدت الجمعية العمومية للأمم المتحدة جلسة لمناقشة مشكلة كوريا الجنوبية ، وأعلن محمد فوزى ممثل مصر التى ماتزال محتلة بالقوات الانجليزية موضحا ذلك بقوله :
« ان الرياء الذى يستتر وراء كتلة الدول الغربية هو أساس تلك السيادة المفروضة على منطقة الشرق الأقصى ·

● أولا : ان الصراع ـ فى واقع الأمر ـ ماهو الا وجه جديد فى التنافس بين الشرق والغرب والذى يهدد أمن واستقرار العالم ·

● ثانيا : هناك العديد من حالات العدوان ضد الشعوب ، وانتهاك سيادة ووحدة الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة وأصبح مثل هذا العدوان والعنف من مهام الأمم المتحدة والتى لا تتخذ أى خطوة الا لتحقيق سياسة الدول الكبرى · تماما كما حدث فى مشكلة كوريا »(١) ·

وحينما تم الاعلان عن غياب مصر أثناء مناقشة مشكلة كوريا فقد ذكر محمود فوزى مستمعيه بأن مشكلة فلسطين ماتزال دون حل حتى الآن ، وكذلك مشكلة احتلال انجلترا لمصر ماتزال قائمة دون التوصل الى حل أيضا ، وقد سبق أن عرضت على الأمم المتحدة منذ ١٩٤٧(٢) ·

ومنذ عام مضى ـ أثناء انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة ـ أعلنت مصر رفضها التام قبول فكرة الحرب الباردة كصراع خاص بين الدولتين الأعظم : أمريكا ـ والاتحاد السوفيتى ٠

وقد أعلن أندراوس Andrlos ، أن استمرار احتلال انجلترا لمصر لم يكن سلاما بريطانيا أو أمريكانيا أو سوفيتيا ، ولا سلاما عادلا(٣) ، والموقف العقلى الذى اتخذه المفسرون للنظام الملكى القديم يعكس الموقف الذى تكون منذ الحرب العالمية الثانية ٠ وعندنا أصيبت مصر باحباط شديد لعدم حصولها على الاستقلال ، هذا الشعور قادها الى تذكر وعود بريطانيا التى لم تتحق ، وأن مجلس قيادة الثورة الذى سيطر على السلطة فى مصر فى عام ١٩٥٢ تأثر كثيرا بهذا الفكر ، والذى كان حريصا أشد الحرص على انتهاز هذه الفرصة(٤) حيث نجح فى لفت الأنظار فى المجتمع الأمريكى بعدم التوصل الى حل للمسألة المصرية ـ البريطانية ، ومدى حاجة أمريكا الى موقف مصر ، لرسم السياسة الأمريكية فى ظل الحرب الباردة ، وفى نفس الوقت ، فان حكومة الثورة فى مصر رفضت التعاون مع الغرب فى خططه مالم تتحقق من حصولها على الاستقلال أولا ٠

وكانت حكومتا أمريكا وانجلترا تحلمان بتحقيق نظام الدفاع فى منطقة الشرق الأوسط من خلال مصر والدول العربية ، وكان حزب الوفد القديم ـ صاحب الأغلبية الشعبية ـ يرفض دوما توقيع أى اتفاقية مع الغرب(٥) ٠

وتكررت محاولات الغرب بالضغط على مصر لكى تعترف بمدى الخطر السوفيتى ، ولكن مصر كانت تؤكد أن الاحتلال الانجليزى مازال قائما بالفعل منذ عام ١٨٨٢ وهو الخطر الحقيقى ٠

وقد تأكد لمصر والدول العربية منذ حرب فلسطين ١٩٤٨ ، أن الخطر الحالى القائم بالفعل هو المتمثل فى الخطر الاسرائيلى ، هذه كانت قناعة ناصر ووجهة نظره التى اقتنع بها مايلز كوبلاند Mıles. Gpeland « سوف يقول لك العرب ـ باعتبارك ممثلا للبنتاجون Pentagon ـ بأنه من المفروض أن نتحد نحن العرب لكى نحارب عدوكم ـ الاتحاد السوفيتى ـ بينما المسئولون الأمريكيون ، يدركون يقينا بأن العرب اذا ما أبدوا استعدادهم لقتال عدوهم فانك سوف تسارع فورا بوقف جميع المساعدات الأمريكية المقدمة لهم ، ومن الملاحظ أن أى اتفاق عسكرى لايضع هذا فى الاعتبار (٦) .

وزيادة على ذلك فان ارتباط مصر بالغرب فى أى تحالف ما سوف يعمل هذا على زيادة أهمية مصر فى حالة تعرضها لأى هجوم فى المستقبل خاصة فى حالة وقوع المعركة على أرض مصر ، وذلك نظرا لموقعها الاستراتيجى المهم(٧) وفى حالة تمسك مصر بموقفها ، فانها سوف تكون بمنأى عن الحرب الكورية ، تشاركها فى ذلك الدول الافريقية الأسيوية خوفا من مغبة استمرار الخضوع للاستعمار كمالم يوضع لهم أى اعتبار فى ظل استمرار الحرب الباردة بين المعسكرين(٨) وليس فى امكانهم أن يبحثوا لأنفسهم عن دور ايجابى فى هذه الحرب .

وقد اكتشف المسئولون المصريون أنهم ليسوا فى حاجة الى عون أو دعم للقومية العربية بصفة عامة ، ولكن فى الامكان أن يكون لهم الدور الايجابى بين الدول المتصارعة ، وفى أوائل ديسمبر ١٩٥٢ دعت مصر الى عقد مؤتمر أسيوى أفريقى من ١٢ دولة حيث لعبت مصر دورا مهما فى ادارة هذا المؤتمر(٩) .

وبالتقاء فكر ناصر ونهرو رئيس وزراء الهند ، بدأ ناصر ينحاز الى كتلة الحياد ، وقد سارع نهرو بزيارة القاهرة ، وبدأ يساند ناصر فى البحث عن مخرج للأزمة المصرية مع انجلترا ·
وقد ترك هذا اللقاء بين الزعيمين أعمق الأثر على ناصر ، خاصة بعد شهر يونية ١٩٥٣ ، حينما التقى كل من نهرو والوزير الباكستانى محمد على فى القاهرة ، ولقد صدر تصريح قوى على اثر هذه الزيارة متضمنا بأن مصر تساند الدول الآسيوية فى كفاحها باعتبارها محتلة من قبل انجلترا(١٠) ·

ونتيجة لهذا فقد كان لمصر موقف تكتيكى أكثر منه أيديولوجى ولسوف يذكر لمصر هذا الموقف بمساندتها كتلة دول الحياد غير المنحاز وبعد عام ١٩٦١ تغير الموقف من الحياد غير المنحاز الى الحياد الايجابى · ولقد وصلت مصر الى درجة من التألق فى مفهوم الحياد الايجابى لدى الهند(١٢) ·

وحينما توصلت مصر الى مفهوم الحياد الايجابى دفعها هذا الى انتهاج سياسة استقلالية ، وكان هذا الاستقلال فى فكر ومفهوم ناصر هو : ـ

« كواحد من مؤسسى القومية العربية المستقلة ، والتى تمتلك حرية اتخاذ القرار ، الحرية التى تحمى أى شخص من أى تأثير يقع عليه ، وأنا ضد وقوع العرب فى براثن القوى الكبرى ، لأن مثل هذا التحالف قد يفتح الباب أمام القوى الكبرى لكى تفرض نفوذها ، وبالتالى تفرض السياسة الاستعمارية ، والامبرالية الى أرض العرب »(١٣) ·

ومن الملاحظ أن النظام المصرى لم يحاول أن يحدد موقفه خلال السنوات الأولى من قيام الثورة ، ولمعلوماتنا لم يكن واردا

فى فكر قادة الثورة « الفكر الحيادى بين المعسكرين » وسارع الاتحاد السوفيتى باعلانه عن دعم كتلة الحياد وتأييدهم ، بينما ظلت الولايات المتحدة رافضة كل الرفض الاعتراف بهذه الكتلة الحيادية كممثل للنظام الديمقراطى فى العالم ٠

وكما اعترف محمد حسنين هيكل بقوله : « لقد كانت بريطانيا وليس أمريكا تعتبر هى المسئولة بالدرجة الأولى عن المشاكل المصرية والعربية ابان هذه المرحلة »(١٤) على أن تسارع أمريكا يمد يد المساعدة لكى تحصل مصر على استقلالها وذلك بانسحاب القوات الانجليزية . وقد أعلن المسئولون المصريون أنه من أجل دعم السياسة الأمريكية . يجب الالتزام بالحياد الايجابى بين المعسكرين : الشرقى والغربى ابان الحرب الباردة هذه .

وثمة خط فاصل فى سياسة مصر الخارجية منذ قيام الثورة حتى التزامها بسياسة الحياد ، فقد اتسمت هذه السياسة المصرية بالتردد منذ قيام الثورة حتى توقيع اتفاقية الجلاء فى يوليو ١٩٥٤ نتيجة رفض مصر الانضمام الى نظام الدفاع الغربى فى المنطقة والذى كان يؤكد استمرار الاحتلال البريطانى لقاعدة قناة السويس مع تغيير فى المسمى فقط ، لكى يكون احتلالا دوليا ٠

ويمثل رفض مصر لهذه السياسة وضعا ناجحا وبذا تمكنت مصر من تكوين جبهة عربية ترفض أى نوع من أنواع التحالف مع الغرب وعلى الرغم من عدم حدوث أى ضغط أو ترغيب من قبل مصر لتكوين هذه الجبهة العربية ، فان مصر أعلنت باسم الدول العربية ، عدم امكانية تقديم أى مساعدة للغرب ٠

كما ظهر دور مصر الحازم عندما أصرت انجلترا على ضرورة بقاء بعض الفنيين الانجليز لادارة قاعدة قناة السويس لمدة سبع سنوات قادمة ، مما دفع ناصر أن يعلن أمام وزير الخارجية الأمريكى « أنه اذا لم تتحقق مطالب مصر فسوف نعلن للملأ انضمامنا الى كتلة عدم الانحياز والوقوف بمنأى عن كلا المعسكرين »(١٥) ٠

وقد أعلن سفراء مصر فى كل من : باكستان والهند وبريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى « استعدادهم لمناقشة موقف وسياسة مصر الخارجية » ٠ وأعلنت مصر كذلك اعترافها بالصين الشعبية واقامة علاقات مع ألمانيا الشرقية وذلك لدعم العلاقات الدبلوماسية مع الكتلة الشرقية الشيوعية وأن تؤيدها فى أروقة الأمم المتحدة(١٦) ٠

وفى غضون شهر يناير ١٩٥٤ حدث تغيير جذرى بين أحمد حسين سفير مصر فى أمريكا ، وجيفرسون Geverson Caffery اذ أرسل الأول تقريرا محذرا من مغبة عدم توصل مصر الى اتفاق مع انجلترا ، فان مصر سوف تحاول طرد انجلترا بالقوة ومحاولة انتهاج سياسة عدم التعاون والتحالف مع الغرب(١٧) ٠ ولقد أجاب كافرى ، بأن سرعة انضمام مصر لكتلة الحياد ، قد أضاعت الفرصة المتاحة أمامها وحرمانها من المساعدات الاقتصادية والدبلوماسية ٠

وفى شهر فبراير ١٩٥٤ رأت الحكومة المصرية أن تستعد لردع أى عدوان قد يعرض التزامها بالحياد للخطر ، وعقد سفير مصر عزيز المصرى مؤتمرا صحفيا فى موسكو موضحا مدى امكانية اقامة علاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى(١٨) وبعث بتقرير الى حكومته يخبرها باستعداد الاتحاد السوفيتى بتقديم

مساعدات اقتصادية لمصر ، اذا ما بقيت مصر خارج دائرة نفوذ المعسكر الغربى ٠

وكانت مصر مستعدة للعمل مع كل الدول ، وهذا ما أكـده صلاح سالم المتحدث الرسمى باسم مصر قائلا : ـ « نحن لن نميز بين أى دولة وأخرى بناء على سياستها ورغبتها ، بل بنـاء على مطالبنا وسياستنا ، ومهما كان دعمها لنا فى كثير من الميادين خاصة فيما يتعلق بالنواحى الاقتصادية والسياسية ٠

وقد أخبرت مصر كثيرا من الدول عن سياستها العامة بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى ، ومن ثم فيوجد تلاحم قوى بين الدولتين ، وعلى هذا فتوجد علاقات تجارية بين الاتحاد السوفيتى ودول جنوب شرق أسيا ، وعلى هذا فان الاتحاد السوفيتى سوف يغتنم فرصة تحقيق كثير من مطالب مصر ، اذا مـا توصـل الطرفـان الى اتفاق »(١٩) ٠

ولقد حذرت مصر أمريكا بكل حزم ، بأن مصر لن تظل منطوية على نفسها ، وأن موقفها الرسمى هو التعاون مـع هذه الـدول الصديقة لها ولا يمكن أن تنتهج مصر منهجا يخالف أيديولوجيتها التى تؤمن بها(٢٠) ٠

وكان الاتحاد السوفيتى يؤيد ويناصر القضـايا المصـرية والعربية فى الأمم المتحدة خلال شهر يناير ومارس ١٩٥٤ عندمـا أمكن لمصر أن تقيم علاقات اقتصادية قوية مع الاتحاد السوفيتى ، ووافقت مصر على رفع درجة التمثيل السياسى بيـن هذه الدول ومصر من درجة قنصلية الى درجة السفارة ٠

وجدير بالذكر بأن وضع مصر أثناء العلاقات المصـرية ـ الانجليزية لم يتأثر كثيرا بسياستها وأيديولوجيتها ، اذ لم يكن

هناك ثمة تحالف وتعاون مع الغرب ، كان هذا موقفا تكتيكيا لكى تسارع انجلترا بالرحيل عن مصر · حيث كان المسئولون المصريون حريصين على عدم التحالف مع الولايـــات المتحدة فى هذه الفترة الحرجة · تماما كما ذكر ناصر مؤكدا ذلك فى ابريل ١٩٥٤ بقوله : « ان أمريكا تحرص كل الحرص على ايجاد حلف دفاعى فى المنطقة بهدف تخريب وتدمير العالم العربى ، ولكى تحول دون وحـــدة العالم العربى أيضا ، وفى ذلك الوقت كانت أمريكا تنتهج سياسة مزدوجة · انهم يقولون شيئا ويفعلون شيئا آخر ·

ومن ثم فقد بات واضحا أن الولايات المتحدة تدور فى عجلة الامبريالية والاستعمار ، وأن الولايات المتحدة سوف ترحب بتقبيل أيادى العالم العربى من أجل أن تفرض نفوذها عليه ، والا فانهـــا سوف تترك قيادة السفينة ، وكنا بدأنا علاقاتنا بأمريكا وكلنا أمل فى الوصول الى حل مشاكل هذه المنطقة »(٢١) ·

وفى نفس الوقت لقد أكد ناصر موقف مصر بكل وضـــوح بقوله : ـ

« ليس من المفيد أن نتكلم عن الحقيقة ، لأنها لاتحمل أى معنى خاصة فى وقت الحرب ، مالم تكن الدولة قوية بشكل كاف ، لكى تكون هناك حقيقة بالفعل(٢٢) ·

ان الحقيقة لم تكن موجودة فى العلاقات المصرية ـ الانجليزية الا بالقدر الذى بقيت فيه انجلترا محتلة لقناة الســويس ، منذ أن كانت فى حرب مع تركيا ١٨٨٢ والآن هى الحليفة وعضو فى حلف الأطلنطى NATO

ولم تكن مصر قد اتخذت خطوة ايجابية فى سياسة الحياد قبل التوصل الى اتفاق تام مع انجلترا وبالاضافة الى هذا فـــان

المسئولين المصريين لم يحاولوا السير فى ركاب الغرب بهـدف انشاء قاعدة للدفاع عن الشرق باعتبار مصر مركز العالم العربى فى أى تنظيم دفاعى(٢٣) • وتصاعدت حدة التوتر بين مصر والدول الغربية لأنه بموجب الحصول على الاستقلال التام ، هذا سيكون مدعاة للثقة الحقيقية التى سوف تنشأ بين مصر والقوى الأوربية الغربية ، مما سيدفع مصر الى أن تنظر بدون أدنى شك الى التحالف الذى يمكن أن يربط بين هذه الدول العربية والقوى الأخرى(٢٤) .

هذه الشكوك التى كانت تساور المسئولين المصريين انتهت حين أعلن عن قيام حلف بغداد ، وعندما قامت اسرائيل بالعدوان الغادر على قطاع غزة ، عندئذ كان رد الفعل لدى مصر يدفعها بعيدا عن طريق القوى الغربية ، الى ناحية الدول المحبة للمساعدة والدعم الحقيقى ، واستحالة قيام تحالف مع الغرب الذى تتسم سـياسته بالخداع •

ولكى نوضح موقف أمريكا الذى يستنكر موقف الحيـاد ، يجب أن نذكر المسئولين الأمريكيين بأنه فى ظل الصراع النووى القائم بين الشرق والغرب تختفى الحرية تماما ، وهذا أمر واضح تماما داخل الاتحاد السوفيتى على وجه الخصوص ، وأن فكـرة الأمن الجماعى الغربى ، معناه أمن غير قابل للتجزئة ، بمعنى أنه لاحرية لأى دولة ، وأن هذه الدولة أو تلك مضـطرة لمناصـرة الغرب ، ومن هنا فان الدول الصغرى كانت ومازال ترفض الانضمام لسياسة الغرب الدفاعية ، التى هى محل شك •

وزيادة على ذلك فان حرية أى دولة يمكن أن تنجح بمقاومة التحالف مع النظام الغربى • ان هذه السياسة يمكـن أن يحـدث عكسها • وكما ذكر دلاس وزير خارجية أمريكا فى كلمته أمام منظمة

الأمم المتحدة محذرا بأن دول الحياد يجب أن يوضعوا تحت المراقبة كصفقة رابحة أكثر من كسبها فى تحالف باعتبار أنها دول وفية مخلصة وبعيدة عن الادانة(٢٥) . بمثل هذه النظرية ، فان الولايات المتحدة من الصعب عليها أن تقف مكتوفة اليدين تجاه سياسة الحياد(*) .

وفى الحقيقة أصبحت معارضة أمريكا لسياسة الحياد هى الشغل الشاغل خصوصا بعد تصريح الرئيس أيزنهاور تجاه سياسة الحياد ، وهذا على عكس سياسة ستالين فى الماضى ورغبته فى اقامة سلام عالمى عادل مع الغرب ، وبالاشارة الى هذا الرأى فان السناتور ماك كارتلى McCarthly لربما يكون قد اقتنع بسياسة الرئيس ايزنهاور ، وحاول بالتالى اقناع المسئولين الأمريكيين باقامة علاقة كحد أدنى مع الاتحاد السوفيتى فى عهد ستالين(٢٦) ·

والآن فان المعركة محتدمة ضد سياسة الحياد والتى وصفها دلاس بأنها مبدأ لا أخلاقى · حيث أمكن وصف الحرب الباردة بأنها حرب مقدسة بين أنصار الحرية وأنصار العبودية · واذا كان الحياد مبدأ لا أخلاقيا ـ كما وصفه الغرب ـ فان الدول العربية رفضت ارتباطها وتحالفها مع الغرب ، هذه الدول التى وصفها نكسون Nixon نائب الرئيس بقوله : « ان من يتحالف مع الشيطان يجب أن تكون لديه معلقة طويلة »(٢٧) وفى شهر يونية ١٩٥٦ صرح وزير الخارجية بقوله : « ان حقيقة الحياد تتأكد لو فى امكان

(★) لقد صرح دلاس وزير الخارجية الأمريكية حين اعلان مبدأ الحياد الايجابى يقول : « ان سياسة الحياد الايجابى مبدأ غير أخلاقى ، وانى أقرر اذا لم تكن معى فأنت ضدى » ·

(المترجم)

أى دولة تستطيع أن تحقق السلام لنفسها ، وذلك بانتهاج سياسة مغايرة للآخرين »(٢٨) ٠

ولم يكن أمام المسئولين الأمريكيين الا الاعلان عن شجبهم واستنكارهم لسياسة الحياد ٠ ومن الملاحظ أن دلاس وزير خارجية أمريكا تجنب الحديث مع نهرو Nehru رئيس وزراء الهند حول هذه السياسة التى ينتهجها ويدعو اليها معلنا : بأن الفرق بين السياسة الهندية والسياسة الأمريكية هو جوهر المشكلة برغم أن الهند دولة ديمقراطية(٢٩) .

وبعد شهر يونية ١٩٥٦ علق دلاس على مبدأ الحياد فى مؤتمر صحفى له بقوله : « ان هذا المبدأ تتمسك به دول قليلة لا أخلاق لها ، وبرغم هذا فان أمريكا سوف تستمر فى تقديم مساعداتها لمثل هذه الدول التى سلكت طريق الحياد(٣٠) ٠ كما أوضح الرئيس ايزنهاور بأنه يحذر من انكار هذا المبدأ ، مؤكدا ذلك بقوله : « واذا ما أردت أن تقيم السلام فانك لاتستطيع ذلك شخصيا ٠٠٠ ونحن كنا دولة حديثة النشأة وسياستنا خلال المائة سنة الأولى هى التمسك بالعزلة والحياد خلال مرحلة الحروب التى شهدتها القارة الأوربية »(٣١) ٠

والآن فنحن نرى بعض الدول تتمسك بالحياد ، هذه الدول ليس بالضرورة تقصد المعنى المطلوب عن الحياد ، وكأنه موقف ما بين اليمين واليسار أو بمعنى آخر موقف مابين الصحيح والخطأ أو بين اللياقة وعدم اللياقة ٠

Between right and Wrong or decency and indencency

انهم يستخدمون لفظ الحياد كمنهج يجب الالتزام به فى مواجهة سياسة الأحلاف ، فقد كانت الفكرة السائدة ، بأن الحياد هو

الابتعاد عن الأحلاف ، وفى امكانى أن أشير بأنه ليس بالضرورة أن هذا أمر مفيد لنا »(٣٢) ٠

وخلاصة القول فان البيت الأبيض وضع فى الاعتبار ملاحظة الرئيس أيزنهاور الذى كان غافلا تماما عن السياسة العامة : « ان المسئولين الأمريكيين صانعى السياسة الأمريكية أظهروا مقدرتهم بوضع خطة على أساس التعاون مع دول عدم الانحياز »(٣٣) ٠

ولاشك أن الحرب الباردة كان لها تأثير على الجوانب الاقتصادية خاصة بعد ١٩٥٥ ، وأن جملة المساعدات التى قدمت لمجموعة دول عدم الانحياز كانت عنصرا أساسيا ٠ برغم سياستهم الحيادية ، فمن الملاحظ أن مجموعة هذه الدول كان لها تأثير فى نشر الفكر الشيوعى(٣٤) ٠

ويترتب على ذلك أن نزعة الحياد لدى مصر ـ أمر خطير ـ فى علاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية ، معنى ذلك أن هناك نزعات يجب على مصر أن تتخلى عنها اذ أن هذه السياسة الحيادية أمر مرفوض للسياسة الأمريكية ٠

* * *

ونتيجة لأحداث فبراير ١٩٥٥ فان الاقتراح بانشاء حلف بغداد ، وكذلك الغارة الاسرائيلية على قطاع غزة ، هذه الأحداث كانت القول الفصل فى التغيير الجذرى للسياسة المصرية ، وشعرت مصر باهانة شديدة لكرامتها فى العالم العربى ، وفى نفس الوقت بأن هزيمة قواتها المسلحة على يد القوات المسلحة الاسرائيلية أمر مخز ، ان مصر ترى ضرورة تأكيد زعامتها ووضعها الاستراتيجى وتأمين قواتها العسكرية ٠

وجدت مصر بأن العراق مازال يحاول الضغط الشديد لجر بعض الدول العربية الأخرى للارتباط بالمعونات البريطانية ، بينما

كانت الولايات المتحدة الأمريكية غير راغبة ، ولاتستطيع تلبية طلبات مصر من السلاح وكان من المحتم على مصر أن تتخذ موقفا مناهضا لسياسة الغرب هذه ، بأن تلزم نفسها بسياسة الحياد كطريق آمن للتغلب على مشاكلها ٠

وبدأ المسئولون المصريون فى التحرك فى ثلاثة اتجاهات هى :

١ ـ حاولت مصر أن تكون جبهة مناهضة لحلف بغداد فى اطار القومية العربية ٠

٢ ـ مصر عضو مهم فى دول عدم الانحياز ولها دور مهم ومؤثر ٠

٣ ـ سعى مصر الى تطوير علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى وكتلة الدول الشيوعية الشرقية(٣٥) ٠

وبالبحث عن تأثير العراق المحدود فى العالم العربى ، فان المسئولين المصريين اكتشفوا بأن القومية العربية والتمسك بها مفيد جدا بالنسبة لكتلة دول الحياد ٠ ان النضال والكفاح الوطنى من أجل الاستقلال هو الدافع القوى لتجنب اقامة أى علاقة فى المستقبل مع الدول المستعمرة أو الارتباط مع القوى الكبرى التى تسعى الى اعادة استعمار هذه الدول بشكل وأسلوب جديد ، ولاشك أن عدم الانحياز ساعد الدول التى حصلت على استقلالها بوضع حد لهذا النفوذ الاستعمارى(٣٦) ٠

ان مناهضة الاستعمار كمبدأ من مبادىء الحياد أمر ضرورى وهذا المبدأ دعم القضية الفلسطينية ، وكذلك مسألة الصراع العربى ـ الاسرائيلى ، منذ ان ظهرت اسرائيل كوجه من أوجه الاستعمار الاستيطانى فى قلب الوطن العربى ٠

وفى بادىء الأمر كانت المسئولية تقع على الغرب والاتحاد السوفيتى فى زرع اسرائيل فى قلب الوطـــن العربى ، وان كان الاتحاد السوفيتى يقف الآن بجانب العرب ويؤيدهم ويناصرهم فى قضاياهم ، برغم غلطته حينما سارع بالاعتراف باسرائيل كدولـة — فى بادىء الأمر — يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ .

أدرك ناصر أنه قادر على قيادة وتزعم قوى القومية العربية ، وذلك بالتنديد ومناهضة القوى الامبريالية والتصدى كذلك بشـدة للعراق ، واستنكار قيام حلف بغداد ، وهكذا أعلن المتحدث الرسمى لمجلس الثورة صلاح سالم بقوله : « ان مصر تعارض قيام حلـف بغداد لأنه يقضى على الناحية العسكرية فى العالم العربى ويعمل على تمزيق حكومات الدول العربية ، وتبديد القـــوى العربية من الاهتمام بمستقبلهم ومصالحهم خاصــــة منذ أن أدركت دول هذه المنطقة أن هدفها وأمنها وحريتها أمر غير حقيقى »(٣٧) .

ان انتشار ونجاح أفكار ومبادىء ناصــــر فى ربوع الوطن العربى أعطاه سندا قويا لسياسته وفلسفته ، كمـا أن مقـــدرته وحماسته المنقطعة النظير ساعدت كثيرا فى الهاب حماسة الجماهير العربية ، ومن ثم ارتفعت مكانة ناصر فى أرجاء الوطن العـــربى كزعيم لايبارى . وكزعيم متحمس للقومية العربية ، وبنهاية ١٩٥٤ أصبح بالتالى زعيما أوحد لا منافس له ، ليس على مستوى دولته فحسب بل انه نال اعجاب الجماهير العربية فى مرحلة صراعه ضد الاستعمار البريطانى كزعيم وطنى مفرط فى وطنيته .

وامتدت شعبية ناصر الى ماوراء حدود مصر فى جميع أرجاء الوطن العربى ، حتى قبل أحداث شـــهر فبراير ١٩٥٥ ، حيث أن ناصر اعتبر مصر جزءا لا يتجزأ من الوطن العربى ، وهذا ما كان يؤكده ناصر فى كل ذكرى سنوية للثورة .

ومن الملاحظ أن مصر بدأت مرحلة جديدة فى علاقاتها مع العالم العربى تقوم على المصارحة ، واظهار الحقائق ، وقد نبذت جانبا المشاكل المتفجرة فى العالم العربى ، وكان هدف حكومة الثورة هو ان تكون كل الدول العربية متحالفة مع بعض وترى حكومة الثورة كذلك بأن الدفاع عن المنطقة لابد وأن يكون قائما على دول العالم العربى ، وهم قادرون على الدفاع عن أنفسهم ٠

ان الجهود التى بذلتها مصر مع العالم العربى تعضد موقفها ضد حلف بغداد ، تساندها الجماهير العربية المناهضة للاستعمار وساعدت اذاعة صوت العرب فى حشد الجماهير العربية ضد حلف بغداد(٣٩) ، مؤكدة بضرورة التحالف ضد قوى الاستعمار ، وأكد ناصر على حتمية تحقيق الوحدة العربية ، واننى لن أستطيع أن أرى القومية العربية غريبة فى بلادها ، وأقف ازاء ذلك مكتوف الأيدى(٤٠) ٠

وبالرغم من هذا فان بعض المحللين كانوا يرون بأن ناصر يريد أن يلفت انتباه شعبه بعيدا عن المشاكل الداخلية التى كان يواجهها(٤١) ٠

كان ناصر حريصا على أن يستثير الجماهير العربية ضد حكامها وأيقن أن سبب انهيار الوحدة العربية مؤخرا يرجع الى المؤامرات الاستعمارية ، لقد ربط العراق نفسه بحلفاء اسرائيل ، أما تركيا فكانت بمثابة همزة الوصل بين هذا الاتحاد واسرائيل(٤٢) ان العراق والغرب ـ هكذا أكدت مصر ـ بأنهما كانا يسعيان لصرف الانظار بعيدا عن العدو الاسرائيلى ٠

كانت الجماهير العربية متحمسة لما تبثه اذاعة صوت العرب ، وحاول راديو العراق احتواء الحملة الاعلامية المصرية ، ولكنه

فشل ، وصرح مؤخرا نورى السعيد رئيس الوزراء الى السفير جولمان Gallman « بأن أكثر من ٩٥٪ من سكان العراق يرون أن اسرائيل هى عدوهم أكثر من عدائهم للاتحاد السوفيتى »(٤٣) ٠

كانت الجماهير العربية تنظر الى ناصر بأنه المثل الأعلى لهم فى صراعهم وكفاحهم من أجل الحصول على الاستقلال ، وعلى هذا لقيت دعوته الى القومية العربية تأييدا واسع النطاق لدى الجماهير العربية ، ولقد كان لموقف الحكام العرب المتخاذل ـ على أثر الغارة الاسرائيلية على قطاع غزة ـ أن أصبح ناصر الزعيم المعبر عن آمال وطموحات الأمة العربية ٠

أصبحت الجماهير العربية متأثرة الى حد بعيد باذاعة القاهرة ولهذا أصبح لدى الرأى العام العربى قناعة تامة بزعامة ناصر للأمة العربية دون منازع ، وكانت انتصاراته على الغرب تقوى من الشعور القومى العربى ، ولذا فان معارضته وهجومه على الغرب يعد عملا بطوليا مما جعله يضحى بحياته وراحته من أجل رفعة العرب وعزتهم ٠

وأصبح ناصر يمثل شخصية التحدى العربى ، مما جعل القادة العرب يخشون بأسه ومعظم هؤلاء القادة والزعماء يعتقدون بأن مصالحهم الشخصية وهويتهم سوف تنهار تماما ، اذا ما تعاونوا مع العراق ، أو اعترفوا بحلف بغداد ، ومن هنا يعد ناصر صمام الأمان ٠ « للقومية البراجميتة الحيادية National Pregmatilc Neutreliam الأمر الذى ساعد مصر للتعامل مع مشاكلها السياسية ، ولتدعيم مكانة قادتها فى المنطقة العربية فى نفس الوقت(٤٥) ٠

وقبل توقيع معاهدة حلف بغداد ، كانت محاولات مصر للحد من تأثير العراق فى منطقة العالم العربى ، مما دفع مصـــر الى تكوين جبهة مناهضة لحلف بغداد · وأثناء الفترة من يناير الى فبراير ١٩٥٥ انعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية ، وأعلن المسئولون المصريون عن عزمهم بتشكيل تحالف عســـــكرى يمنع دخول العراق فى أى تحالف غربى ، وأن تنظيم الدفاع الأمنـــى العربى يمكنه أن يقضى على هذا التحالف المعلن من قبل تركيا والعراق وأن يبدد هذا الأثر الذى أحدثه حلف بغداد فى المنطقة · وتمخضت الجهود والدبلوماسية المبذولة من قبل مصر خلال هذه الفترة عن انضمام كل من سوريا والسعودية الى جانب مصر لتشكيل نظـام دفاعى عربى جديد ، وتعاون اقتصادى فيما بينهم(٤٦) ·

رأت الأردن التريث لبعض الوقت لدراسة الموقف ، وانتهى بها الأمر الى معارضة حلف بغداد ، فى وقت ظلت فيه لبنان على الحياد وخـــلال هذه الفترة حدث تقارب دبلوماسى بين العراق وتركيا بهدف مناهضة سياسة مصر ، وتشـــديد القبضة حـــول سوريا(٤٧) ·

أعلنت الحكومة السورية رسميا معارضتها لحف بغداد فى نهاية فبراير وفى منتصف شهر مارس ، وجدت الحكومة السورية أنها فى مأزق شديد بسبب معارضتها ومناهضتها لحلف بغداد ، وتلا ذلك تكريس الحشود العسكرية التركية على حدود سوريا ،

ولاشك أن هذه الضغوط السياسية العسكرية التى تعرضـت لها سوريا دفعتها الى حضور مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى دعت اليه مصر لمناهضـة لحلف بغداد ، وقد عبرت عن معارضتها الشديدة للسياسة التركية ازاء سوريا لاجبارها على السير فى ركاب الغرب(٤٨) ·

ان جهد الولايات المتحدة الذى بذلته - بهدف كبح جماح تركيا - أن تمحو الأثر الذى أحدثه تحذيرها السابق الموجه الى سوريا نتيجة تقاربها من مصر ، وقد وصف المسئولون المصريون حكام أمريكا بما يلى : - « ان الولايات المتحدة لم تستطع برغم دعمها لتركيا والعراق واسرائيل - أن تعزل مصر عن بقية دول العالم العربى ، ولم تستطع كذلك كبح جماح السياسة المصرية التى تسعى لانقاذ العالم العربى من الاستعمار الغربى والصهيونية العالمية(٤٩) ·

وفى المقابل فان الاتحاد السوفيتى يعد السند القوى للعالم العربى ضد اسرائيل منذ عام ١٩٥٤ ، وأنه الآن حامى حمى العالم العربى دون منازع(٥٠) ·

ونتيجة لتحالف بعض الدول العربية مع الغرب أصبحت منطقة الشرق الأوسط ميدانا من ميادين الحرب الباردة ، وذلك نتيجة مساندة أمريكا للعراق وتركيا وفى المقابل يساند الاتحاد السوفيتى مصر وسوريا ·

هذه الحرب الباردة التى أثارت العالم الثالث دفعته لمساندة مصر فى مواجهة السياسة العراقية كما قام زعماء الحياد : نهرو Nehru وتيتو Tito بزيارة مصر على أثر تفاقم التوتر فى المنطقة الذى انعكس على مصر. وكان نهرو — على وجه الخصوص — غاضبا أشد الغضب على اثر انضمام باكستان لحلف السيتو Seato (حلف جنوب شرق أسيا) فى سبتمبر ١٩٥٤ مشيرا الى أن انضمام باكستان لحلف بغداد فيما بعد أمر وارد ، ومن ثم فقد عضد نهرو موقف ناصر المناهض لسياسة التدخل الغربى فى المنطقة ·

وأكد الزعيمان ـ ناصر ونهــرو ـ أن ســياسة الأحـــلاف العسكرية تعمل على تفاقم التوتر فى المنطقة مؤكدين بأن أمن المنطقة العربية يكمن فى : « نحن نستنكر الحرب الذرية ، نحن نســتنكر الاستعمار الغربى الرأسمالى والشيوعى ، ونحن تستنكر الأحلاف العسكرية »(٥١)(*) .

ان سياسة الحياد الحكيمة التى انتهجها ناصر كانت خطوة موفقة والتى أصبحت محور السياسة المصرية الخارجية ، وفى النهاية فان انتهاج مصر لهذه السياسة مكنها من كسـب الجولة الأولـــى فى تحديها وتصديها لسياسة العراق ·

ومما لاشك فيه أن مساندة سوريا والاتحاد السوفيتى ، ودول العالم الثالث دعم موقف مصر المناهض لسياسة العراق ، وحلف بغداد ، كما ظلت سوريا تقاوم كل الضغوط المفروضة عليها نتيجة لسياسة القوى العظمى ، ومن الواضح أن سوريا تريد أن تبرهــن بأن سياسة الحياد كانت خطوة موفقة تماما لأنهــا أبطلــت كـــل الضغوط التى مارستها الدول الغربية على مصر والدول العربية ·

عندئذ ، وفى شــهر ابريل ١٩٥٥ سعت دول الحياد الى عقــد مؤتمر لهم فى باندونج ، وقد تأكدت فى هذا المؤتمر زعامة ناصر للعالم العربى · وكانت فكرة عقد مثل هذا المؤتمر قد اقترحت فى مؤتمر كولومبو Colombo والذى عقد فى ابريل ـ مايو ١٩٥٤ وكانت الفكرة قد تكونت فى بوجار Boger فى شهر ديسمبر

(*) We are Fed up with bombs, we are Fed up with imperialism, Capitalism and Communism, we are fed up with alances and blocs.

١٩٥٢ ، والدول التى دعت الى ذلك هى : الهند وبورما Burma وأندونيسيا وباكستان وسيلان ، وتم اجتماع زعماء وقادة ٢٨ دولة أسيوية وافريقية ممثلين عن نسبة ٥٦٪ من سكان العالم ، واجتمعوا ليناقشوا التعاون الاقتصادى فيما بينهم ، والعمل من اجل السلام العالمى بين جميع دول العالم ٠

وبهذا يعد مؤتمر باندونج Bandung من أكبر المؤتمرات واهمها حيث ضم معظم دول العالم الثالث ٠

وعرض ناصر وجهة نظر مصر أمام المؤتمر والتى وضحت بجلاء موقف العرب فى السياسة العالمية ، وواضح أن بدايات هذه السياسة المعبرة عن وجهة نظر مصر كانت فى المؤتمر الاسلامى الذى انعقد بالسعودية فى أغسطس ١٩٥٤ ، وقد استقبل ناصر ـ كشخصية قيادية ـ تماما مثل نهرو ، وشوين لاى Chouen Lai وسوكارنو Sukarno وتم انتخاب ناصر رئيسا للجنة الفرعية لاثنتى عشرة دولة وهى لجنة « التعايش السلمى » ومن هنا اعلن أنه يناهض الاستعمار الفرنسى المتركز فى دول شمال افريقيا ، كما أنه عرض لقضية فلسطين(٥٢) ٠

وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده ناصر أعلن شجبه واستنكاره لكل اساليب الاستعمار بما فى ذلك الفكر الشيوعى ، وذلك بقوله : « فى رأيى أن المعسكر الشرقى تتسم سياسته بنوع من الاستعمار الشيوعى ، وهذه حقيقة لايمكن انكارها »(٥٣) ٠

واذا كان ناصر حضر الى مؤتمر باندونج معروفا بالاسم فقد غادر المؤتمر كقائد لمجموعة دول افريقيا وآسيا(٥٤) وانبرت الصحف المصرية تشيد بكفاءة ناصر الشخصية ، لهذا النجاح الذى صادفه فى هذا المؤتمر بصفة شخصية ٠

ان جميع الشخصيات الممثلــة فى المؤتمر من الشــعوب الآسيوية والافريقية وكذلك جميع المراقبين كانوا مقدرين ومعجبين بالقائد والزعيم ناصر ، بهيئته ، بصوته ، بحكمته ، بصــلابته ، وأسلوب قيادته لدولته التى آلت على نفسها أن تدعو الى التعايش السلمى العالمى ٠

« وكان العرب يقتفون أثر ناصر للاعتبارات التالية : ــ

ان جميع المصالح العربية يمكن أن تصان من أى عــدوان يقع عليها ، اذا ما التزمت الدول العربية بسياسة مصر الخارجية والتى تمكن ناصر بأن ينال اعجاب واحترام جميع الشعوب فى العالم ، فضلا عن أن دولته فى امكانها أن تســتعيد مجدهــا وعزتها »(٥٥) ٠

وأيقن ناصر بنفسه أن مؤتمر باندونج كان فرصة سانحــة لتفجير طاقاته الخلاقة الابداعية ، وفى طريقه الى حضور المؤتمر قضى خمسة أيام مع نهرو ، هذه الأيام التى وصفها ناصر بأنها كانت نقطة تحول فى ادراكه لأبعاد السياسة العالمية ، لقد تعلمت وأدركت يقينا بأن السياسة الحكيمة بالنسبة لنا يجب أن تكون هى الحياد الايجابى(٥٦) ٠ وأثناء ســـفر ناصـــر مع نهرو فى طريقهما الى بندونج قابلا شوين لاو Chouen Lai فى بورما والذى دعاه لزيارة الصين(٥٧) ٠

وبعد أن صادف ناصر نجاحا منقطـــع النظير فى مؤتمــر باندونج صار لمصر نزعة حيادية ممتازة رائعة ، هذه المكانة الممتازة كانت سندا قويا له لزعامة العالم العربى ، وعززت مكانة مصر الاستراتيجية وتأثيرها الكامل على السياسة العربية حيث قال يجب

أن نعود الى أصلنا ، « اذ وجدت من مسئوليتى أن الحيـــاد هو السياسة التى تلائمنا وتنقذ العالم العربى »(٥٨) ٠

وكزعيم وقائد للشعوب الأسيوية والأفريقية ، فهو المتحدث باسمهم(٥٩) ووجد ناصر الدعـم والمساندة والتأييد المطلق من هذه الشعوب بالاضافة الى وضعه كمنقذ لهذه الشعوب ٠ وأصبح ناصر شخصية ديناميكية ، جريئا بشكل متزايد من خلال سياسته الداخلية والخارجية ٠

❋ ❋ ❋

وبنهاية شهر مايو ١٩٥٥ فان تجمعا مصــــريا وســـــوريا وسعوديا ضد حلف بغداد بدأ يظهر الى الأفق بشكل جاد ٠ وعلى المستوى العالمى ، فان ناصر هاجم نظام الحكم القائم فى كل من : باكستان وأفغانستان ، وهذا بالتالى أثر على علاقاتهما بمصر(٦٠) .

وبالنسبة لتحرك ناصر الدبلوماســـى ـ الذى كان يزداد قوة ـ فانه بدأ يهتم بشـــئون الجيش خاصـــة بعد تلك الغــــارة الاسرائيلة على قطاع غزة فى شهر فبراير ١٩٥٥ ٠

وأكدت الولايات المتحدة ـ بما لايدع مجالا للشك ـ بـــأن المساعدات العسكرية سوف ينظر فى أمرها على اعتبار أن هناك ســـوء تفاهـم بين مصـر وانجلترا ٠ وبعث الرئيس ايزنهـــاور Eisenhowerتقريرا ـ فى يوليو ١٩٥٣ـ مؤكدا رغبة الحكومة الأمريكية فى عقد اتفاقية بتقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية عقب توصل مصر وانجلترا الى تسوية المشاكل فيما بينهما(٦١) ٠

وحينما طلبت مصر من أمريكا تنفيذ ماوعدت به بعد توقيع الاتفاقية المصرية ـ الانجليزية الخاصـة بالجـــلاء ، فقد أصـــر البنتاجون Pentagon ـ تماما كما كان موقفه فى الماضى ـ

بأن مصر لاتستطيع أن تتعهد بقبول مشروع الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط ، أو حتى قبول البعثة العسكرية الأمريكية المخولة بتقديم المعونة العسكرية(٦٢) لأنه فى نفس الوقت تقدم أمريكا الدعم العسكرى لاسرائيل ، استجابة للوبى الصهيونى بأمريكا كما لاتقدم السلاح للعرب ٠

ان الشروط التى وضعتها أمريكا كانت غير مقبولة لدى المصريين ، اذ شرح ناصر وجهة نظره خلال اللقاء الذى تم فى غضون شهر سبتمبر بقوله : « استنادا الى تاريخنا ، فقد أصبنا بالعقد ازاء بعض الكلمات ، خاصة هؤلاء الذين يقولون بأننا مرتبطون سويا فى قارب واحد ، كما أننا نتشابه فى أسلوب الحكم ، وفى التحالف ، وفى التعاليم ، كل هذا أمر ليس مرغوبا فى دولتنا لأننا قاسينا الكثير ...

واننى لأذكر الذين يتعاملون معنا فى هذه المنطقة ، بأن يفهموا نفسية شعوب هذه المنطقة ، واذا أرسلت المساعدات العسكرية ، وبرفقتها عشرة من الضباط الخبراء ، فلا أحد يقدم لك الشكر ، بل العكس يلقى عليك باللوم(٦٣) ٠

وقرر أنور السادات معلنا بنوع من الغيظ والانفعال نتيجة تلك الشروط التى تفرضها أمريكا ومقرونة بتقديم المساعدات العسكرية :

« ان مصر لن تقبل مطلقا مثل هذه المساعدات المشروطة ، واكد بأن مصر ترفض اية شروط قد لا تفرضها أمريكا على فرنسا أو انجلترا »(٦٤) ٠

وكان من نتيجة عدوان اسرائيل على قطاع غزة ـ أن تأكدت

مصر أن جيشها ضعيف فى وقت يعتمد ناصر كلية عليه ، وأعلن كذلك أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة بقوله :

« نحن نشعر بضعف ووهن وفقدان الأمل ، لأن قواتنا المسلحة كانت تعانى عجزا شديدا فى كل شىء ، ففى أثناء العدوان على غزة ، كان لدى مصر ست طائرات صالحة للاستعمال فى حين يوجد ٣٠ طائرة غير صالحة للاستعمال وتحتاج الى قطع غيار ، وبريطانيا قد أوقفت مساعداتها العسكرية لنا ، وبأن ذخيرة الدبابات التى لدينا لاتستغرق أكثر من ساعة واحدة بينما يوجد أكثر من ٦٠٪ من الدبابات فى احتياج الى قطع غيار ، وكذلك سلاح المدفعية كان لايقل سوءا ، فقد كان فى وضع يبعث على الأس ، ومن ثم فان جيشنا بصفة عامة كان فى وضع سىء للغاية »(٦٥) ٠

كان ناصر يشعر بالتشاؤم فيما يتعلق بالمساعدات الغربية حتى ولو قبل شروط البنتاجون ، فى حين أن مثل هذه الشروط لاتفرضها أمريكا على الجيش الاسرائيلى ، وعلى هذا فيصبح الجيش المصرى غير قادر على الدفاع عن نفسه أمام هجوم الجيش الاسرائيلى ٠

وعلى أى فالأمل معقود على انجلترا بأن تمدنا بما نحتاج اليه من سلاح على وجه السرعة ، وحتى فى المعاهدة المصرية ـ الانجليزية فرضت علينا انجلترا مثل هذه الشروط وفى شهر سبتمبر ١٩٥٥ ـ ومما زاد الطين بله ـ فقد تجمدت العلاقات مع بريطانيا وذلك بسبب التوتر الذى كان بين مصر والعراق نتيجة اعلان حلف بغداد ومعارضة مصر بشدة على استمرار الاستعمار الانجليزى وكذلك مصالحها فى منطقة الشرق الأوسط(٦٦) ٠

* * *

أما بالنسبة لفرنسا وهى الدولة الغربية ذات الأهمية فانها تنظر الى مصر باعتبارها تقود حركة مناهضة الاستعمار فى شمال أفريقيا منذ شهر يوليو ١٩٥٥ · حينما وقعت معاهدة التسليح معهم · وفى واقع الأمر فان فرنسا أصبحت هى المورد الرئيسى للسلاح لاسرائيل ، بالرغم من أن فرنسا هى احدى دول البيان الثلاثى فى ١٩٥٠ القاضى بمساندة ودعم اسرائيل ·

وعلى الرغم من كل ما حدث فان ناصر استمر فى الحاحه بطلب السلاح من أمريكا حتى النصف الأول من عام ١٩٥٥ ، وأحد هذه الدوافع هو أن الجيش المصرى مسلح ومدرب على السلاح الغربى ، والاتجاه نحو الكتلة الشرقية هو وجود دوافع أخرى ، اذ لربما تكون ادعاءات مايلز كوبلاند Miles Copeland عميل المخابرات الأمريكية ، بعيدة عن التصديق ، اذ بعث كوبلاند بتقرير بعد اتصاله بالسفير المصرى فى واشنطون ، والذى أشار عليه بمحاولة توريد سلاح الى مصر بما قيمته ، مليون دولار حتى يمكن كسب ود الضباط الأحرار قادة مصر فى هذه المرحلة(٦٧) ·

وجاء بمذكرات ايزنهاور Eisenhower بأن ناصر سبق أن طلب أسلحة من أمريكا بما قيمته ٢٧ مليون دولار(٦٨) · وفى هذا الوقت كان يجب على مصر أن تدفع قيمة هذه الصفقة بالعملة الصعبة ، وكانت أمريكا تعارض بيع أسلحة لمصر لاعتبارات هى تقدرها ·

ووجد ناصر أنه لا مفر من الالتجاء الى الكتلة الشرقية خاصة أثناء انعقاد مؤتمر باندونج ، حيث عبر ناصر لشوين لاى Chouen Lai عن رغبة مصر طلب أسلحة صينية مع ملاحظة أن الصينين يعتمدون على المصادر السوفيتية من السلاح

وقد وافق شوين لاى على طلب مصر بأن يقوم بالاتصال بالسلطات السوفيتية .

وطبقا لتقرير وزير الارشاد القومى صلاح سالم فان السفير السوفيتى بالقاهرة دانيل سولد Daniel Sold طلب منه أن يوافيه بتقرير على وجه السرعة فى أوائل شهر مايو ١٩٥٥ .

وكانت استجابة الاتحاد السوفيتى لما طلبت مصر أمرا غير متوقع ، بالرغم من اعتراض الاتحاد السوفيتى على مضمون اتفاقية الجلاء الموقعة بين مصر وانجلترا فى أوائل ١٩٥٤ .

وكانت المعارضة المصرية تعارض بشدة مثل هذا الاتجاه ، وفى اجتماع لقيادة الثورة فى يونية ١٩٥٥ اتخذوا قرارا بالقيام بمحاولة أخيرة بطلب السلاح من الغرب . عندئذ أكد ناصر للسفير الأمريكى بالقاهرة بأنه اذا ما استمر الغرب يرفض مد مصر بما تحتاج اليه من سلاح فان مصر - فى هذه الحالة - لا يسعها الا أن تطلب السلاح الذى تحتاج اليه من الاتحاد السوفيتى(٧٠) .

ولكن المسئولين الأمريكيين - مرة أخرى - استمروا فى عدم تحديد موقفهم من ناصر ، اذ كانوا يعتقدون أن ناصر يحاول أن يخدع ويبتز الولايات المتحدة الأمريكية والأمر ليس بغريب عليه(٧١) .

ومع استمرار رفض أمريكا الاستجابة لطلب مصر من السلاح ، سارع ناصر بالاتصال بالاتحاد السوفيتى ، وعلى هذا جرى اتصال بالملحق العسكرى السوفيتى بالقاهرة ، وبين المسؤلين المصريين فى شهر يوليو . أما باقى الموضوعات فقد تم بحثها مفصلا أثناء زيارة الوفد السوفيتى الرفيع المستوى الى القاهرة فى غضون شهر يوليو برئاسة شبيلوف Shepilov (٧٢) .

وبالرغم منكل هذا فقد كان المسئولون السوفيت يرغبون فى التوصل الى اتفاق نهائى فى هذا الشأن ، وذلك قبل عقد مؤتمر القمة فى جنيف فى شهر يوليو ١٩٥٥ ورأت مصر أن تكون تشيكو سلفاكيا هى الدولة الوسيط فى توريد ما تطلبه مصر من سلاح . هذه الدولة التى كانت تورد السلاح لاسرائيل فى عهد ستالين Stalin

وعلى أى حال فقد تم توقيع الاتفاق بشكل نهائى فى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ ، وأعلن ناصر بأن ثمة اتفاقا قد تم توقيعه مع تشيكو سلفاكيا : « لقد رفضنا أى نوع من التحالف أو المعاهدات ، وعلى هذا فقد تعذر حصولنا من أمريكا على أى نوع من السلاح » وفى هذا الأسبوع الأخير تم توقيع اتفاقية مع تشيكو سلوفاكيا Czechoslovakia بأن تمد مصر بما تحتاج اليه من سلاح · ونصت هذه الاتفاقية بأن تدفع مصر ثمن ماتطلبه من سلاح بما تنتجه من القطن والأرز ·

وفى هذه الأثناء حذر ناصر أمريكا بقوله : « نحن ننظر الى الأمور بشكل مختلف عما ينظر اليها الأمريكان ، نحن لانضيع وقتنا ولا نشغل أنفسنا بما يكتنف العالم بما يعرف بالحرب الباردة أو العدوان السوفيتى الشيوعى علينا · أو بمسألة الصراع بين الشرق والغرب نحن نهتم بالدرجة الأولى بأمن وأمان مصر · بمعنى آخر ضد العدوان الاسرائيلى الواقع علينا بالفعل »(٧٥) ·

وكان اعلان مصر باستيرادها السلاح من تشيكو سلوفاكيا حدثا خطيرا ، اذ يعنى هذا كسر احتكار السلاح الغربى بالنسبة لمصر ، وعلم السفير الأمريكى بالقاهرة ـ فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٥ باتفاقية السلاح المصرية ـ التشيكو سلوفاكية · وفى الحال أعلن

المسئولون الأمريكيون التخلى عن شروطهم السابقة ، محاولـــة منهم فى احتواء التحرك السوفيتى فى المنطقة(٧٦) ٠

وبعد أيام قليلة بعثت أمريكا بمساعد وزير الخارجية جورج آلن George Allen الى القاهـــرة لمحـــاولة اثنـــاء ناصــــر عن المضى فيما عزم عليه ، ولكن قوبلت بعثة جورج آلن فى القاهرة مقابلة سيئة ، على اعتبار أن هذا المسلك يعد تدخلا فى شئون مصر الداخلية ٠

وكان ناصر فى هذا الوقت على استعداد لقطع العلاقات مع أمريكا(٧٩) وكان هذا الموقف له تأثير سىء على البعثة الأمريكية الموجودة فى القاهرة ، وكان جورج آلن يحمل انذارا الى ناصر(٨٠) ولكن المبعوث الأمريكى فضل أن يســـــلم ناصــــر الرسالة التى كان يحملها اليه ، ويتشاور معه(٨١) ٠

وعلى أى حال تطورت الأحداث بشكل سريع لدرجة أنــــه حضرت الى القاهرة بعثة أمريكية أخرى الى القاهرة ، رفيعـــة المستوى ، حتى يتمكن الامـــريكيون من التأثير على المســـئولين المصريين لتغيير موقفهم ٠

ولاشك أن هذه الخطوة من قبـــل ناصـــر جعلت دلاس وزيـــر خارجية أمريكا يخفف من تشدده ازاءه ، وفى مؤتمر صحفى لـــه فى ٤ أكتوبر حاول دلاس أن ينكر بأن جورج آلن كان يحمل معه انذارا الى ناصر ، انما كان هدف البعثة هو محاولـــة توصـــل الجانبين الى درجة من التفاهم ، وقال أيضا :

« بأن الدول العربية دول مستقلة ذات سيادة ، ومن ثم فلهم حرية اتخاذ القرار الذى يناسبهم ، ومن العجب حقا أن تصدق تلك

الدول التى تشعر نفسها بأن ثمة خطرا يهدها ، ومن ثم تسعى الى طلب السلاح للدفاع عن نفسها »(٨٢) ٠

وحاولت أمريكا استعادة مكانتها وذلك باعادة تقييم الموقف فى منطقة الشرق الأوسط ، وأيضا اعادة النظر فى مسألة طلب مصر من السلاح ٠ وفى حقيقة الأمر فان التقارير التى قدمت الى دلاس وزير الخارجية عن مسألة تسليح مصر كانت هذه التقارير بعيدة عن الواقع ، ويعتقد دلاس أن لديه متسعا من الوقت لمعالجة المسألة ، وقد سبق أن نصح هنرى بايرود H. Byroade المسئولين بوزارة الخارجية فى ٩ يونية بضرورة التوصل مع مصر الى حل حتى لايسبقنا الاتحاد السوفيتى فى توقيع اتفاق معها (٨٣) ٠ وصرح دلاس بأنه اتخذ قراره فى نفس الوقت الذى كانت ترد فيه تقارير المخابرات الأمريكية (C.I.A.) اليه فى شهر أغسطس مؤكدة أن مسألة تسليح مصر انتهت عند هذا الحد ٠

وعلى هذا فان دلاس يعد مسئولا مسئولية شخصية لمحاولة بعث الحياة فى العلاقات المصرية الاسرائيلية بحيث تؤدى الى اقامة سلام بينهما(٨٦) ٠

وحاولت أمريكا أن توضح موقفها من طلب مصر للسلاح ، وأن الولايات المتحدة ليست « سوبر ماركت » لبيع السلاح ٠ وسبق أن أعلن دلاس فى ١٩٥٣ أمام مجلس الكونجرس الأمريكى أن الثمن المطلوب منا دفعه باهظ ، وقدم كافرى Caffery سببا آخر بأن ناصر يريد مساعدات حربية بدون شروط ، فى حين أن الولايات المتحدة فرضت عليه شروطا ، كما قدم الادميرال رادفورد Readford تقريرا آخر ، اذ فهم بأن المصريين يطلبون أنواعا من البنادق(٨٧) ٠

واذا مارغبت الولايات المتحدة أن تمد مصر بالسلاح ، فان الأمر سيدفعنا بأن نضع أنفسنا فى مستنقع ، اذ أن مصر ليس فى امكانها دفع ثمن ما تطلب منسلاح ، وأن استجابتنا لطلب مصر أمر يتناقض تماما مع البيان الثلاثى الموقع فى ١٩٥٠ والقاضى بحماية اسرائيل من أى عدوان خارجى يقع عليها ٠

كان موقف مصر من سياسة الحياد هو نقطة التحول فى علاقاتها مع أمريكا ، اذ كانت أمريكا تعتبر نفسها هى المورد الرئيسى لطلبات الدول العربية من السلاح ، وكان المسئولون الأمريكيون يمتنعون عن الاستجابة لطلب مصر من السلاح ، وان كان من المؤكد أن مصر سوف تحصل على ماتريد سواء الآن أو فيما بعد . وحاولت الولايات المتحدة أن تبذل المستحيل من أجل كبح جماح أى قائد ثورى بأن يجرؤ على تحدى الغرب ، تماما كما فعل ناصر بتوقيعه اتفاقية السلاح مع الاتحاد السوفيتى ٠

ومما لاشك فيه أن صفقة الأسلحة التشيكية التى حصلت عليها مصر أكدت عدم صحة الحقيقة القائلة بأن سياسة الاتحاد السوفيتى مع مصر كانت سياسة عديمة الجدوى ، ولهذا فقد تطورت هذه العلاقة بشكل سريع بما يتناسب مع الوضع الذى تعيشه مصر ، فى حين أن المسئولين الأمريكيين كان عليهم انتهاج سياسة جديدة على أساس أنهم مازالوا مقتنعين بأن ما أقدمت عليه مصر ماهو الا مرة لن تتكرر أبدا ٠

اثبتت صفقة الأسلحة مقدرة مصر على الدفاع عن مصالحها القومية ٠ بالرغم من أن منطقة الشرق الأوسط أصبحت ميدانا للحرب الباردة بين الشرق والغرب وحقيقة الأمر أن هناك دوافع حدت بمصر أن تنتهج هذه السياسة ، منها حادث فبراير ١٩٥٥

الذى وقع فيه العدوان على غزة ، وكذلك اعلان قيام حلف بغداد مما دفع مصر بضرورة العمل للخروج من هذا المأزق ٠

ولاشك أن مسئولية مصر العربية دفعهـــا الى اســـتمرار مناهضتها لحلف بغداد باسم القومية العربية ، ولكى تثبت أن الالتزام بالحياد هو طوق النجاة من الوقوع فى حبائل سياســـة الغـرب الاستعمارية المزمع تنفيذها فى منطقة الشرق الأوسط ، وهذا مادفع مصر أيضا الى أن تسعى الى تطوير علاقاتهـــا مع دول الكتلـة الشرقية ، وتطور هذه العلاقات ــ من وجهة نظر مصر ودول منطقة الشرق الأوسط ــ تتناقض تماما مع وجهة نظر واشنطون ودول الغرب ٠

وكانت شعبية ناصر ومكانته فى آفاق العالم العربى سمحت له بأن يكون بطلا قوميا والمنقذ للعرب(٨٨) وكان قادة العـــراق مكروهين لأنهم باعوا أنفسهم للغرب ، وأصبحوا طوع ارادته ، ويطلبون سلاحا من الغرب وبالشروط التى يفرضها عليهـم دون اعتراض ، وفى نفس الوقت كان السوريون واللبنانيون وأعضاء مجلس النواب الأردنى قد أعلنوا تأييدهم لناصر ، كما أن معظم صحف العالم العربى كانت تشيد ببطولة ناصر ، حتى أعدائه فى الوطن العربى شهدوا له كزعيم عربـى لايبـــارى ، وان كان هذا لايعطى أى تقدير للاتحاد السوفيتى أو الرغبة فى انتشار الشيوعية فى منطقة الشرق الأوسط ، انما كان هذا تقديرا للزعيم ناصر الذى وجه صفعة قوية للغرب ولسياسته الاستعمارية فى المنطقة(٨٩) ٠

ولا شك أن وضع ناصر الآن وصراعه مع قادة العالم العربى أضفى مكانة عظيمة عليه ، هذا بالاضافة الى الحملة العنيفة التى يقودها ضد حلف بغداد وكذلك المسئولون العراقيون ٠

وفى اطار الحرب الباردة كانت مصر حريصة كل الحرص على أن تتعامل مع الاتحاد السوفيتى فى اطار تمسكها بالحياد · وفى نفس الوقت فان صفقة السلاح التشيكيه ـ من وجهة نظر أمريكا ماهى الا صفقة لاتتكرر ثانية · وكان فى امكان الحكام العرب اتاحة الفرصة أمام الاتحاد السوفيتى للتدخل فى شئونهم الداخلية دون وضع أى اعتبار لوضع أمريكا فى المنطقة ·

وبالاضافة الى ذلك ، فانه بناء على ترحيب مصر ، فقد وجدها الاتحاد السوفيتى فرصة للقفز فوق حاجز حلف بغداد الى قلب العالم العربى وبمثل هذه الخطوة استطاع الاتحاد السوفيتى أن يهز بعنف نظام حلف بغداد ، وترتب على هذه الخطوة نجاح ساحق منقطع النظير ، ومن ثم فقد أصبحت قوة الاتحاد السوفيتى يحسب لها كل حساب فى سياسات منطقة الشرق الأوسط ·

والدرس المستفاد من هذا الموقف أنه كان العامل الحاسم فى تغيير موازين القوى بين الشرق والغرب ، كما كان لها تأثير قوى أيضا على الحكومات العربية ، ووصف الوضع الجديد بالآتى : « ان تخلص القوات المسلحة المصرية من مسألة احتكار السلاح ، كان المحور الرئيسى فى النتائج الهائلة التى ترتبت عليها ، ولكن الموقف الحاسم هو خلق حالة من التنافس الشديد بين دول المنطقة ، وعلى هذا فقد أوجد حالة من الحرب الباردة بين دول المنطقة ·

ولاشك أن هذا الوضع كان له مخاطره العميقة على الدول العظمى ، لأن هذه الدول سوف تضطر لأن تكون تابعة لأصدقائها من الدول الصغرى وبالتالى تتأثر بسياستها التى تنتهجها(٩٠) ·

ولاشك أن سياسة مصر الخارجية تتسم بالنشـاط فى ذلك الوقت كما أنها أصبحت مرتبطة بمصالح الكتلة الشرقية · كل هذا ترتب عليه رفض مصر الارتباط بنظام الدفاع الغربى ·

وعلى النقيض من ذلك فان تمسك مصر بسياسة الحيـاد أتاح لها الفرصة لتقوية الأواصر بينهما وبيـن الدول العربية ، والتمسك بالقومية العربية حتى يمكن القضاء على نظام الاستعمار والتخلص من آثاره الخطرة فى المنطقة ، بما فى ذلك حلف بغـداد الذى يشـكل تهديدا خطيرا فى المنطقة ، ويسـاعد الاسـتعمار الغربى فى الاستمرار والتمركز ·

أما فيما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية ، فقد هاجـم ناصر سياسة أمريكا الاستعمارية أثناء مؤتمر باندونج

ووقف بجانب الدول المعادية لأمريكا مثل الصـين الشـيوعية ، وفيتنام الشمالية ، وكوريا الشمالية ، وعلى هذا أصبح ناصـر يشكل خطرا بالغا لسياسة أمريكا ، وذلك على أثر اقامة علاقات قوية مع مجموعة دول الكتلة الشرقية وعلى هذا فان اتجاه ناصر نحو السوفيت كان أسرع وأقوى من اتجاهه نحو مجموعة دول الحياد ·

ولاشك أن هذه السياسة المصرية دفعت أمريكا الى الاهتمام البالغ بمنطقة الشرق الأوسط · والعمل على احتـواء الخطـر الشيوعى القادم الى المنطقة ، حيث أن سياسة مصر الآن قد فتحت الأبواب على مصراعيها أمام الاتحاد السوفيتى للدخول الى قلب المنطقة والوقوف فى وجه السياسة الأمريكية وجها لوجه ·

ولاشك أن التخلص من مسألة احتكار السلاح الغربى كان له تأثير عميق على مستقبل العلاقات المصرية ــ الأمريكية ، كما أن

اللوبى الصهيونى فى أمريكا زاول ضغطا مكثفا على المسئولين الأمريكيين لكى يؤمنوا مسألة تأمين اسرائيل من الناحية العسكرية واجبار أمريكا بألا تندفع فى قطع علاقاتها مع مصر قبل التوصل الى اقامة سلام دائم بين مصر واسرائيل .

وهكذا وقف الغرب يشهد انتصارات ناصر القومية العربية كبطل قومى ، وزعيم لكل العرب الذين يشكلون جبهة الناصرية وأن انتشار مبادىء القومية العربية والدعوة اليها فى جميع أرجاء الوطن العربى بشكل سريع ليؤكد بالدليل القاطع فشل سياسة الغرب فى مواجهة سياسة ناصر ومؤيديه .

وعلى هذا أصبح التنافس الآن بين قادة العرب ، وبين الناصريين العرب الذين يعتبرون ناصرا متحدثا باسمهم ومعبرا عن آمالهم وأمانيهم(٩١) .

وبالتركيز على مسألة تألق السياسة المصرية ، فان الغرب المعادى للقومية العربية يأمل أن يتمكن من اقناع دول العالم العربى بأن سياسة مصر العربية هذه تتسم بنزعة استقلالية تسلطية يتزعمها ناصر .

ومن المفارقات العجيبة أن كل جهود الغرب لاضعاف العالم العربى وتغيير موقفه تجاه سياسة الغرب ، أضاف الى ناصر دعما بطريق غير مباشر داخل مصر وخارجها ، ودعم التمسك بالقومية العربية فى نفس الوقت ، حيث أن الهجوم على ناصر يعد هجوما على القومية العربية نفسها :

« ان الناصرية لم تشر الى شخص بذاته أو الى حكومة محددة ، انما هى تشير بكل وضوح الى ثورة قومية عربية فقط

وسياستها الايدولوجية ، ومقوماتها ، وحتميتهـــا والتى حققـت خطوات ناجحة لدعم القومية العربية من أجــل تحقيق الحرية ـ الوحدة ورفع مستوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية »(٩٢) ٠

وبحلول شهر سبتمبر ١٩٥٥ أصبح من المؤكد لدى المسئولين الأمريكيين أن تدهور العلاقات المصرية ـ الأمريكية لاتخدم المصالح الأمريكية فى المنطقة ، وكان أعضاء الكونجرس الأمريكى يرون بأنه لاداعى لقطع المساعدات المقدمة لمصر ، اذ أن المساعدات الصناعية واقتصـــادية لاعلاقــة لهــا بصـــفقة الأسـلحة التى أبرمتهـــا مصر مع الاتحاد السوفيتى(٩٣) ٠

ومن ثم فقد أبدت أمريكا رغبتها فى دعم علاقاتها مع مصر حتى لاتتمادى فى علاقاتها مع دول الكتلة الشرقية ٠

والخطوة الثانية من جانب الولايات المتحدة هى محاولـــة احتواء تأثير علاقات الاتحاد السوفيتى بدول المنطقة ، ووضعها المتميز ، وذلك بمساعدة مصر فى دعم اقتصادها القومى ببنـــاء السد العالى كخطوة تالية ٠

NOTES

(1) U.N. Security Council, **Official Records,** 5th sess., No. 17, 475th meeting, 1950.

(2) **Egypt and the United Nations, ed.** The Egyptian Society of International Law (New York : Manhattan Publishing Co., 1957), PP. 62 — 63.

(3) U:N: General Assembly, **Official Records,** 6th sess., 1st Committee, 450th meeting, 22 November 1951, PP. 15 — 16.

(4) Malcolm Kerr, «Egyptian Foreign Policy and the Revolution,» in **Egypt Since the Revolution,** ed. P.J. Vatikiotis (London : George Allen and Unwin, Ltd., 1968). P. 114.

(5) **Al Misri,** 14 April 1953. In explaining the regime's position to the American public, Nasser maintained that military pacts with great powers would give rise to local discontent that could only benefit political extremist groups, including the communsits. **U.S. News and World Report,** 4 September 1954.

(6) Copelad, **The Game of Nations,** PP. 124 — 25.

(7) Nasser. **U.S. News and World Report,** 4 September 1954.

(8) S. Yin'am, «The Middle East in 1953 : Annual Political Survey,» **Middle Eastern Affairs,** January 1954, P. 2.

(9)Wheelock, **Nasser's New Egypt**, P. 215. Within the U.N., Afro-Asian support for Arab problems was frequently expressed.

(10) **New York Times,** 25 June 1953.

(11) Fayez A. Sayegh, «Anatomy of Neutralism — A Typical Analysis,» in **The Dynamics of Neutralism in the Arab World,** ed. Fayez A. Sayegh (San Francisco : Chandler, 1964), P. 1.

(12) Ibid., PP. 28 — 29 and 42 — 43.

(13) Abdel Nasser, **Where I Stand and Why,** (Washington, D.C. : Embassy of the U.A.R. Press Department, 1959), P. 2.

(14) M.H. Heikal, **Nahnu Wa Amrika,** PP. 55 —57.

(15) **Akhbar Al Youm,** 5 December 1953.

(16) **New York Times,** 28 December 1953.

(17) Ibid., 7 January 1954.

(18) Ibid., 14 February and 4 January 1954.

(19) Ibid. 14 February 1954.

(20) Statement by Abul Assoud, Under-Secretary of the Ministry of National Guidance. Ibid., 18 February 1954.

(21) **Al Ahram,** 16 April 1954.

(22) **New York Times,** 20 April 1954.

(23) See statement by Salah Salem, **Egyptian Gazette,** 20 December 1954. «Why does not the West assist the Arab Alliance by supplying amrs and economic aid so that they may be able to check any aggression ? I assure you that such a step would remove many of the complications which have arisen between the Arabs and the West/».

(24) «Background Paper» of the Revolutionary Command Council, **New York Times**, 3 September 1954.

(25) Unpblished record, 2 January 1956, Sills Reporting Service, **Dulles' Private Papers.**

(26) This seems a fair inference from a study of the **Dulles Oral History Collection.**

(27) U.S. Department of State, **Bulletin**, 16 July 1956, P. 95.

(28) U.S. Department of State, Press Release 307, 9 June 1956.

(29) **New York Times**, 23 May 1953.

(30) Ibid., 12 July 1956.

(31) For India, see Dulles, «Free World Unity,» U.S. Department of State, **Bulletin**, 4 June 1953. For the general situation, see Dulles, U.S. Department of State, Press Conference, Press Release 380, 11 July 1956.

(32) **New York Times**, 7 June 1956. See also Nixon's 7 June 1956 statement, which warned that monaligned natoins were not going to be «frightened into alliance with the West by military power,» Ibid., 8 June 1956.

(33) U.S. Department of State Bulletin, 18 June 1956, PP. 1004 — 1005.

(34) C.V. Grabb « The United States and hte Neutralists A Decade in Perspective,» **Annals**, November 1965, P. 92.

(35) For the various brand, see Sayegh, «Anatomy of Neutralism», PP. 27 — 37. Nasser's brand has been labeled «national pragmatic neutralism» (P. 35).

(36) Don Peretz, «Nonalignment in the Arab World.» **Annals**, November 1965, P. 36. Note that Afro-Asian support was lent to the srtuggle for independence of the Maghreb ocuntries.

(37) **Egyptian Gazette**, 23 January 1955.

(38) BBC No. 486, 21 July 1954, quoted in Seale, **The Struggle for Syria**, P. 198. See also Copeland, **The Game of Nations**, P. 165.

(39) Wheelock, **Nasser's New Egypt**, P. 224.

(40) **Al Ahram**, 1 April 1955.

(41) Wheelock, **Nasser's New Egypt**, P. 223.

(42) **Al Ahram**, 27 January 1955 and **Al Gomhouria**, 27 January 1955.

(43) Gallman, **Iraq under General Nuri**, P. 27.

(44) Sayegh, «Anatomy of Neutralism,» (**The Dynamics of Neutralism in the Arab World**). P. 35.

(45) Malcolm Kerr, **The Arab Cold War** (New York : Oxford University Press, 1967) P. 118.

(46) **Egyptian Gazette**, 3, 7, and 14 March 1955.

(47) Salah Salem to Seale, **The Struggle for Syria**, P. 212.

(48) **New York Times**, 30 and 31 March 1955.

(49) Ibid., 10 March 1955.

(50) Ibid., 8, 10, and 28 March 1955.

(51) **Egyptian Gazette**, 17 February 1955.

(52) U.A.R. Mniistry of National Guidance, **The UAR and the Policy of Nonalignment** (Cairo : State Information Service, n.d.). P. 15 : **Egyptian Gazette**, 22 April 1955.

(53) **New York Times**, 26 April 1955.

(54) Tome Little, quoted in the **Egyptian Gazette**, 26 April 1955.

(55) **Al Gomhouria**, 25 April 1955.

(56) R. K. Karanjia, **Arab Dawn** (Bombay ; Blitz, 1958), P. 187.

(57) **New York Times,** 16 April 1955.

(58) Karanjia, **Arab Dawn,** P. 187.

(59) In the Afro-Asian group, Egypt does not represent herself only, but also a pattern of cultural history and thinking which has its own importance (**Al Aghbar,** 30 April 1955).

(60) **Egyptian Gazette,** 15 and 31 March 1954.

(61) **New York Times,** 31 July 1954.

(62) Lacouture, **Egypt in Transition,** P. 216; See also Copeland, **The Game of Nations** , PP. 123 — 26.

(63) **U.S. News and World Report,** 4 September 1954.

(64) Wilton Wynn, **Nasser of Egypt : The Search for Dignity** (Cambridge, Mass : Arlington Books, Inc., 1959), P. 70.

(65) Salem to Seal, **The Struggle for Syria,** P. 234.

(66) Heikal holds that Britain had delivered only sixteen of eighty centurion tanks purchased by Egypt. Heikal: **The Cairo Documents,** P. 46; see also Childers, **The Road to Suez,** P. 133.

(67) Copeland, **The Game of Nations,** P. 132.

(68) Eisenhower, **Waging Peace,** P. 24; U.S. Cong., **Hearings, 1957,** P. 714.

(69) See Salah Salem's comments to Seale, **The Struggle for Syria,** PP. 235 — 36. See also Heikat, **The Cairo Documents,** P. 48.

(70) Byroade, U.S. Cong., **Hearings, 1957,** P. 714.

(71) Copeland, **The Game of Nations,** P. 132. Copeland reports that American Assistant Secretary of State, George V.

Allen, informed him that a decision on the project was officially held up for «administrative reasons.».

(72) Salem to Seale, **The Struggle for Syria,** P. 236. It is impossible to verify the exact date; Salem indicated that the agreement was concluded by end-July, to be announced later (September).

(73) Heikal, **The Cairo Documents,** P. 49. This conflicts with by Kermit Roosevelt at the last moment to take some of the **The Struggle for Syria,** P. 236, and also by a former Czech officer «sting» out of the agreement. Copeland, **The Game of Nations,** P. 135. Heikal's version was confirmed by Salah Saelm, Seale, Copeland's version that the use of Czechoslovakia was suggested — interviewed by the author — who was dispatched with the arms to Egypt.

(74) Nasser's 27 September 1955 speech at opening of Armed Forces Exhibition, **Documents on Interntional Affairs, 1955, PP. 370 — 73.**

(75) Interview with **US News and World Report,** 4 November 1955.

(76) **New York Times,** 26 Septemoer 1955. This offer was confirmed by White House spokesman Lincoln White. Ibid., 27 September 1955. After Nasser's 27 September announcement, the United States denied havnig made any such offer. Ibid., 28 September 1955.

(77) Nasser in an interview with Kennett Love, in **Suez : The Twice-Fought War,** P. 283.

(78) New **York Times,** 28 September 1955; see «Policy on Supplying Arms to Countries of the Middle East,» Jonit United States-Britain Statement. U.S. Department of State, **Bulletni,** 10 October 1955, P. 560.

(79) **New York Times,** 19 October 1955.

(80) Elis, **Challenge in the Middle East,** P. 42.

(81) Copeland, **The Game of Nations,** P. 140 — 43. See also Love's account in **Suez : The Twice-Fought War,** PP. 284 — 89.

(82) U.S. Department of State, **Bulletin,** 17 October 1955, P. 604.

(83) U.S. Cong., **Hearings, 1957,** P. 728; **New York Times,** 14 November 1955.

(84) U.S. Cong., **Hearings, 1957,** P. 16.

(85) Love, **Suez : The Twice-Fought War,** P. 283.

(86) Ibid.

(87) U.S. Cong., **Hearings, 1957,** PP. 17, 183, and 483.

(88) Hussein, **Uneasy Lies the Head,** P. 88.

(89) Bernard Lewis, **The Middle East and the West** (Bloomington : Indiana University Press, 1954), P. 132.

(90) J.C. Campbell : « American Search for Partners, » **Soviet-American Rivalry in the Middle East,** ed. J.C. Hurewitz (eNw York : Praeger, 1969). P. 200.

(91) Leonard Binder, **The Ideological Revolution in the Middle East** (New York : John Wiley and Sons, 1964), P. 198.

(92) Ibid., P. 199, quoting Abu Allah Al Rimawi, **Al Mantig Al Thawri** (The Revolutionary Logic) (Cairo, 1961), P. 95.

(93) For example, see Dulles's statement about «discarding the old types (of weapons)» at an 18 October 1955 press conference (U.S. Department of State, **Bulletin,** 31 October 1955, PP. 688 — 89). In another statement (**Documents on International Affairs,** 1955. P. 383), the Soviet willnignees to supply arms to Egypt was described as a «move to gain popularity at the expense of the restraint shown by the West.».

الفصل السادس

مشكلة مشروع السد العالى

ان مشروع بناء السد العالى كان بمثابة المفتاح فى تنمية اقتصاد الحكومة المصرية فى خطة التنمية للسنوات العشر القادمة ، وحسب تقدير الخبراء ، سيكون له تأثير عميق على الحياة المصرية ، وهذا المشروع سوف يعمل على زيادة الرقعة الزراعية مساحة ٣ر١ مليون فدان(١) ويعمل كذلك على رى مايزيد على ٧٠٠ر٠٠٠ فدان ريا دائما بالاضافة الى امكانية زراعة ٧٠٠ر٠٠٠ فدان بالأرز(٢) ٠

كما أن الطاقة الهايدروليكية المولدة منه سوف تعمل على زيادة المشروعات الصناعية ، بالاضافة الى أن هذا المشروع يمكن مصر من تنمية اقتصادها القومى بصفة عامة ، وأن هذا المشروع سوف يعمل على ايجاد فرص عمل فى المجال الزراعى والصناعى ، ويساعد كذلك على زيادة الصادرات المصرية بنسبة ٥٠٪ معنى ذلك أن يعمل المشروع على تنمية الاقتصاد القومى بنسبة ٣٠٪ وهذا يعادل ٢٥٥ مليون دولار ، وبعد انتهاء خطة التنمية الأولى خلال عشر سنوات سوف يصل هذا المبلغ الى ٣٥٥ مليون دولار سنويا خلال ١٥ سنة أخرى(٣) كما أن مشروع بناء السد العالى سوف يؤمن مصر من نتائج الجفاف ومن خطر الفياضانات العالية الذى يدمر القرى ، كما أن نظام الرى الحالى المتبع يترتب عليه فاقد كبير من كمية المياه يضيع فى البحر المتوسط ٠

ان الاهتمام بسياسة تنمية الاقتصاد القومى وجد صدى واسعا ، هذه التنمية التى كانت منذ ١٩٤٩ - أى قبل الثورة - تسعى مصر لتحقيقها · ولذلك تمكن الضباط الأحرار من التغلب على المعوقات التى تحول دون ذلك ، ومن بينها الاتفاق مع السودان على توزيع مياه النيل فيما بينهم ·

وفى ٨ أكتوبر ١٩٥٢ حصل المجلس القومى على الموافقة باتخاذ قرار بناء السد العالى(٤) وتشكلت لجنة لدراسة المشروع ، وكانت هذه اللجنة برئاسة الدكتور هرست Hurst ، وأشارت هذه اللجنة بأنه من الصعب استغلال المشروع فى توليد الطاقة وتشكلت لجنة من ألمانيا الغربية برئاسة هو شتيف ، دارت موند Hochtief and Martmund والذى قدم تقريرا أقر فيه أهمية بناء مشروع السد العالى(٥) ومنحت لجنة الانتاج القومى سلطات واسعة النطاق بالاضافة الى صلاحية الاقتراض من البنك الدولى(٦) . وفى نهاية ١٩٥٤ بدأت هذه اللجنة فى تنفيذ المهمة المنوطة بها(٧) .

وتوقع الضباط الأحرار بأن العلاقات سوف تكون قوية مع بريطانيا عقب توقيع اتفاقية الجلاء ، وتوقع الضباط الأحرار كذلك بأن أمريكا لن تتوانى فى تقديم مساعداتها فى هذا الصدد · كما أن مدير البنك الدولى يوجين بلاك Eugene Black قام بدراسة المشروع مع اللواء محمد نجيب فى منتصف ١٩٥٣ ، وبعث بتقرير الى الرئيس أيزنهاور ، والذى يعبر عن قوة العلاقات المصرية - الأمريكية ، فانها - أمريكا - تنظر الى المشروع بعين الاهتمام(٨) ·

وجملة القول ، ففى نهاية شهر يوليــو ١٩٥٤ تم توقيــع الاتفاقية بين مصر وانجلترا بالأحرف الأولى ، احتوت على عــدة بنود عن مشروع بناء السد العالى وأهميتــه ، وتم نشــر هذه الاتفاقية فى الصحف المصرية ٠

وفى صيف ١٩٥٤ أقرت أمريكا مشروع بناء السد العالى(٩) بل أكثر من هذا كانت تشجع الحكومة المصرية على اقامة مثل هذا المشروع المهم ، وأن أمريكا لن تتوانى فى تقديم أى مســاعدات ممكنة لتنفيذه ووافقت أمريكا على تقديم ٤٠ مليون دولار كقرض لتنفيذ مثل هذا المشروع ٠ ومن المؤكد أنها سوف تلتزم بذلك ٠

وفى هذه الأثناء حاولت أمريكا الضغط على مصر لقبــول مشروع الدفاع الغربى فى المنطقة ، والذى قدمته فى ٢٣ أبريــل ١٩٥٣ ، حيث أكد الرئيس ايزنهاور بأن المساعدات الأمريكية لبناء مشروع السد العالى سوف تقدم الى مصر بكل يسر فى حالــة عودة مصر الى حظيرة الدول الغربية ، وبحث مدير البنك الدولــى امكانات الاقتصاد القومى المصرى الذى أدرك بأنه لايفى بضمان تنفيذ هذا المشروع(١٠) ، وكانت ميزانية الدولة قد أقرت فى شهر أغسطس ١٩٥٥(١١) فى وقت تعهدت فيه مصر باعتماد مبلغ ٨ ملايين دولار لتنفيذ شبكة من الطرق والسكك الحديدية(١٢) ٠

ورأى المسئولون الأمريكيون ضرورة المحافظة على مصالحهم فى مصر من خلال مشروع الســد العالى فى سبتمبر ١٩٥٥ بعد أن ضاعت منهم هذه الفرصة من خلال صفقة الأسلحة التى سارعت مصر ـ فى غفلة من أمريكا ـ وابرمتها مع الاتحاد الســوفيتى والتى أثرت على كل منطقة الشرق الأوسط ٠

ويجرى هناك جدل فى أمريكا واسع النطاق حول القدرة الاقتصادية فى مصر للوفاء بتكاليف مثل هذا المشروع ، وأن هذا يعنى عدم القدرة على استيراد صفقات أسلحة مرة ثانية من الكتلة الشرقية ، كما أن استهلاك موارد مصر الاقتصادية فى مشروعات داخلية ، يجعلها تقف عاجزة فى مواجهة اسرائيل عسكريا ، كما أن مثل هذا المشروع يشغلها عن معارضة العراق عضو حلف بغداد ·

كما أكد مدير البنك الدولى يوجين بلاك Eugene Black وتقرير بعثته المحايد عن تأثير هذا المشروع على اقتصادها ، ولذلك وعد رئيس البنك الدولى بأنه سوف يقدم مساعداته بالتضامن مع الحكومة الأمريكية ، وبموافقة الحكومة الانجليزية حيث أن الحكومة الأمريكية وبريطانيا العظمى يضمنان البنك فى تقديم مثل هذه المساعدة لمصر لتنفيذ مثل هذا المشروع(١٣) ·

وقد ابتهج الاتحاد السوفيتى لتقرير مدير البنك الدولى ، حيث أعرب الاتحاد السوفيتى عن رغبته فى تقديم أى مساعدة تطلبها مصر لتنفيذ مشروع السد العالى ·

وكان عرض الاتحاد السوفيتى هذا فى غضون شهر أكتوبر ١٩٥٥ ، وقام بتقديمه السفير السوفيتى فى القاهرة دانيل سلود Solod الى وزير الانتاج المصرى - وكان أحمد حسين سفير مصر فى أمريكا قد قدم تقريرا الى وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دلاس ، يتضمن قيام الاتحاد السوفيتى بتقديم قرض قدره ٢٠٠ مليون دولار بفائدة بسيطة ٢٪ يسدد على مدى ٣٠ عاما ·

وفى شهر نوفمبر ، صرح السفير السوفيتى سلود بأن هذا القرض مقدم الى مصر بضمان محصول القطن فى خلال ٢٥ سنة

قادمة ، كما عدل الاتحاد السوفيتي في قيمة عرضه حيث وافق على زيادة القرض الى ٦٠٠ مليون دولار بفائدة ٢٪ تسد على مدى ٥٠ سنة قادمة(١٤) ٠

ولاشك أن هذه التصريحات الجريئة لم تتأكد بعـد ، اذ أن الاتحاد السوفيتي لم يقم من جانبه بانكار أو تأيد هذه التصريحات وأعلن صلاح سالم وزير الارشاد القومي بأن هذه التصريحـات أكيدة ، ولايخالجها أدنى شك « بأن الاتحاد السوفيتي أعلن بأن له مصلحة أكيدة في تنفيذ هذا المشروع » ٠

وفي شهر مايو ١٩٥٥ أكد هيكل ـ وهو مصدر موثوق به ـ بقوله : بأن عرض الاتحاد السوفيتي المقدم الى مصر أمـر أكيد لاجدال فيه »(١٥) وفي الفصل التالي سوف تعرض لوجهات نظر أخرى غير رؤية هيكل للأحداث التي يعبر عنها باستمرار عن السياسة المصرية ٠

وسواء كانت هذه الأخبار والتصريحات أكيدة أو غير حقيقية فقد أحدثت ردود فعل عنيفة في حلف الأطلنطي ، وهذا ما أشار اليه انتوني ايدن Anthony Eden بقوله : « ان حكومة الاتحاد السوفيتي قدمت مايؤكد عزمها لتنفيذ هذا المشروع ، وقدمت عرضا على عدة مراحل ، ورأت فيه فرصة ذهبية يجب اقتناصـها ، وانني أود ألا أرى تأثير الاتحاد السوفيتي ونفوذه يمتد ليشمل القارة الافريقية بأثرها ، وفي شهر نوفمبر ١٩٥٥ ناقشنا مع الحكومة الأمريكية مدى الأخطار التي سوف تترتب على ذلك ، وبرغـم هذا فنحن مصرون على المقاومة والتصدي »(١٦) ٠

وعودة مرة أخرى الى تسلسل الأحداث ، ففى شهر أكتوبر ١٩٥٣ عندما تقرر بناء السد العالى بين المسئولين الأميركيين ، ووزير المالية المصرى عبد الجليل العمرى الذى صرح بما يلى :

« لقد سبق لى الاتصال بالحكومة الأمريكية بخصوص تقديم مساعداتها فى تنمية المشروعات الصناعية ومن بينها كان مشروع السد العالى بأسوان ، ووافق كل المسئولين الأمريكيين دون أدنى اعتراض »(١٧) ·

وعلى الرغم من هذه الحقيقة المشار اليها والتى أكدها المسئولون الأمريكيون فى أكثر من مناسبة أثناء تعثر المفاوضات المصرية ـ الانجليزية ، وعندما انهارت هذه المفاوضات فى شتاء ١٩٥٣ ، وفى ربيع العام التالى ١٩٥٤ صرحت معظم الدول الغربية بأنها تساند الرأى الأمريكى فى هذه الآونة(١٨) ·

ومع هذا فقد صرح المسئولون المصريون بأنهم يفضلون تلقى المساعدات الغربية لتنفيذ هذا المشروع على الرغم من العرض المغرى المقدم من قبل الاتحاد السوفيتى فى أكتوبر ١٩٥٥ ·

وأعلن ناصر الى السفيرين ترفيليان Trevelyan وبابرود Byroade بأن الأسبقية لتنفيذ هذا المشروع تكون الى البنك الدولى أولا والحكومات الغربية ثانيا ، والحكومة المصرية ثالثا والاتحاد السوفيتى رابعا ·

وجرت محادثات بين البعثة المصرية برئاسة عبد المنعم القيسونى وزير الاقتصاد ، ويوجين بلاك مدير البنك الدولى فى واشنطون فى ١٥ نومبر ١٩٥٥(٢٠) ·

وفى أوائل شهر ديسمبر عندما انضم مساعد وزير الخارجية الأمريكية هيربرت هوفر Herbert Hoover الذى أكد بأن مشروع بناء السد العالى يتكلف مايزيد على ١ر٣ بليون دولار · ومن هذا

المبلغ ٤٠٠ مليون دولار تدفع نقدا بشرط أن تطلب مصر مبلغ ٢٠٠ مليون دولار كقرض من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بالاضافة الى ٢٠٠ مليون دولار يدفعها البنك الدولى ، ومصر تتحمل بقية تكاليف المشروع البالغ ٩٠٠ مليون دولار(٢١) .

وأخيرا فى ١٧ ديسمبر وافقت كل من انجلترا وأمريكا على تقديم مساعداتها فى تنفيذ بناء السد العالى بأسوان : « ان حكومتى انجلترا وأمريكا أكدتا للحكومة المصرية من خلال عبد المنعم القيسونى ضرورة مساهمتهما فى بناء السد العالى »(٢٢) .

ووافقت الولايات المتحدة وبريطانيا على تقديم قرض قدره ٥٤٫٦ مليون دولار بالاضافة الى تقديم ١٥٫٤ مليون دولار على التوالى(٢٣) خلال المرحلة الأولى من تنفيذ هذا المشروع ، والذى من المقرر أن يستغرق بناؤه أربع سنوات ، تقدم دول الغرب مبلغ ٧٠ مليون دولار - وهذه القروض كانت مشروطة بتقديم البنك الدولى ٢٠٠ مليون دولار تسدد خلال ٤٠ سنة بفائدة ٥٫٥٪ تقدم الى مصر فى المرحلة الثانية ولكن من المقرر أن يستغرق بناء السد العالى من ٨ الى ١٠ سنوات وتنفيذ المشروعات المترتبة عليه تستغرق مابين ١٥ الى ١٨ سنة(٢٤) .

وأكدت أمريكا وبريطانيا تقديم مساعداتهما التى تبلغ ١٣٠ مليون دولار خلال المرحلة الثانية على الرغم من انهما لايرغبان فى تقديم أى ضمانات لهذا القرض فى الوقت الراهن(٢٥) ، وهذا القرض مرهون بتقرير يقدم من البنك الدولى نفسه عن التكاليف الاجمالية للمشروع ولايمكن لأى من الأطراف الثلاثة تقديم قرض بمفرده الا بموافقة اجماعية من البنك الدولى والولايات المتحدة وبريطانيا .

ومن المؤكد أن ثمة عراقيل كانت توضع لتحول دون تنفيذ هذا المشروع ، وبالنسبة للمسئولين المصريين الذين كانوا شـــديدى الحساسية ازاء أى تدخل دولى فى شئون مصر الداخلية باستثناء تصرف البنك الدولى لتقديم القرض المطلوب منه ·

وفى أوائل أكتوبـر ١٩٥٥ قدم بوجين بـلاك مدير البنـك الدولى تقريره اذ تأكد له بأن مصر سوف تعبىء كل الموارد المالية وسوف تلزم نفسها بسياسة داخلية وخارجية من أجل تنفيـذ هذا المشروع ·

وكان أهم هذه الشروط ألا تسعى مصر الى الاتفاق على أى قرض آخر أثناء مرحلة بناء السد العـالى ، منذ أن كان من بين الشروط المقدمة من البنك « بأن البنك الدولى لايستطيع أن يقدم لمصر قرضا آخر اذا مالجأت الى الاقتراض الخارجـى » معنى ذلك أن شروطا أخرى قد فرضت على مصر بألا تسعى مرة ثانية الى التعاقد على صفقه أسلحة جديدة(٢٧) ·

أكثر من هذا فان البنك الدولى اشـترط بأن يشـرف على اقتصاد مصر ، وعلى كل قرض تجبر مصر على طلبه ، ولايمكـن الالتزام به الا اذ حصلت على موافقة البنك الدولى أولا(٢٨) ·

هذه الشروط تذكرنا تماما بما حدث فى مصر أثناء الأزمة المالية فى عام ١٨٧٠ والذى كان له اسوأ الأثر على الاقتصـاد المصرى وسيادة مصر(٢٩) وعندما عاد مدير البنك الدولى بوجين بلاك الى القاهرة فى شهر فبراير ١٩٥٦ ليناقش المسائل المالية مع ناصر شخصيا ، وسأل عن الأسباب والدوافع التى حدت بمصر أن تقبل مثل هذه القيود والشروط ·

وأجاب ناصر : « بأن شروط البنك الدولى سوف تصدم مصر وتكون قيدا عليها ، وزيادة على ذلك فان مصر كانت ترغب فى أن يقدم البنك حلا ، وألا يقدم شروطا غير مقبولة ، مثل أن يقوم البنك بسحب نفسه من المشروع وألا يقدم بقية القرض فى أثناء تنفيذ المشروع وهذا ماكان يخشاه ناصر شخصيا »(٣٠) ٠

ولقد أعلن ناصر معارضته الشديدة للشروط التى قدمتها بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية وهو يرى بأن هذه الدول تملى شروطها على البنك الدولى ، بحيث يكون هو الأسلوب الذى يجب أن تعامل به مصر وبهذا الأسلوب ، فان البنك يرى بأن القرض مهم لمصر فى المرحلة الثانية لبناء السد العالى ، وهو الأهم من القرض الأول فى المرحلة الأولى ، والحقيقة أن ناصر كان يود أن يخفف البنك الدولى من قسوة هذه الشروط(٣١) ٠

وفى ٩ فبراير تم التوصل الى اتفاق نهائى مفاده « بأن يخضع الاقتصاد المصرى لاشراف البنك الدولى ، وأصر بوجين بلاك على حتمية الاشراف Supervision ووافق على أن يقوم البنك بصفة استشارى advisory Capacity وعلى مصر أن تقدم للبنك الدولى تقريرا عن وضعها الاقتصادى وكذلك عن خطة التنمية الاقتصادية(٣٢) بالاضافة الى ذلك فان مصر عليها أن تقبل مايلى : —

« ان مساهمة مصر فى تنفيذ هذا المشروع كان بشرط الا يكون هذا سببا فى حدوث تضخم مالى ، والا تكون هذه المساهمة سببا فى اضعاف الاقتصاد المصرى ، وعند هذا الحد فان الحكومة المصرية والبنك الدولى سوف يسعيان الى التوصل الى حل ، ويمكن عمل تعديل حين اعداد الميزانية ، بحيث تكون الأولوية لتنفيذ

مشروع السد العالى وتوفير كل ما يلزم تنفيذه بحيث يتم تعبئة كل الاقتصاد القومى لهذا الغرض »(٣٣) ٠

وتوصل البنك الدولى والحكومة المصرية فى يوم ٩ فبراير ١٩٥٦ الى اتفاق تم اعلانه « لقد تم التوصل الى اتفاق حول الأسس التى يقرها البنك الدولى ٠٠ وعن اجمالى النفقات من العملة الأجنبية لتنفيذ المشروع والتى تقدر بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار »(٣٤) ٠

ومازال هناك عقبة لم يتم التوصل الى حلها وهى الشروط التى وضعتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بأن تقدم مذكرة توضيحية بشأن اتفاق مصر مع السودان عن توزيع مياه النيل فيما بينهما ، ومنذ اجراء الانتخابات فى السودان فى ربيع ١٩٥٥ فان العلاقات بين البلدين قد توقفت فيما يتعلق بخصوص توزيع مياه النيل ، وذلك نتيجة لدوافع سياسية(٣٦) ٠

وقد أصرت كل من حكومتى مصر والسودان على حقوق كل منهما الشرعية ، وعندما تعهدت مصر باعطاء السودان حرية تقرير المصير ، انهارت المحادثات الجارية بينهما ، وعند هذا الحد فان المسئولين المصريين رأوا ترك الأمور مع السودان عند هذا الحد ، حتى يمكنهما فيما بعد التوصل الى حل لمثل هذه المشاكل القائمة بينهما ٠

وفى هذه الاثناء كانت تعترض الادارة الأمريكية مشكلة خاصة بها ، وأمكن التغلب عليها ، وهى خاصة بالأسس الضرورية لامكانية المشاركة فى تنفيذ مشروع بناء السد العالى تحت بند الأمن القومى ١٩٥٦ ، ومن ثم فلا يوجد أى تناقض لقبول الاشتراك فى هذا المشروع(٣٧) ومنذ أن تناهى الى امريكا أن المشروع يستغرق وقتا طويلا وبالتالى يصعب على الادارة الأمريكية أن

تضمن موافقة الكونجرس الأمريكى مستقبلا على الاستمرار فى المشاركة فى تنفيذ هذا المشروع ، وقد بعثت الادارة الأمريكية برسالة الى الكونجرس الأمريكى فى ٥ يناير ١٩٥٦ تساءل فيها الرئيس ايزنهاور عن امكانية المساهمة فى مشروع السد العالى وهو لديه سلطات محدودة اذ لايمكن أن تكون لديه الصلاحيات الكاملة لاستمرار المساهمة فى مثل هذا المشروع خلال السنوات القادمة(٣٨) .

وردا على هذا التساؤل أمام لجنة العلاقات الخارجية ، فان مساعد وزير الخارجية هوفر Hover أكد بأن مساعداتنا سوف تتوقف أمام ردود أفعال الشعب المصرى مستقبلا ، مؤكدا أمام لجنة السناتو بأن هذا المشروع يتكلف فوق طاقة وامكانات مصر الاقتصادية وهذه هى المشكلة القانونية(٣٩) وجرت مناقشات صاخبة بمجلس الكونجرس ، فى نفس العام الذى يستعد فيه الرئيس ايزنهاور لخوض معركة الانتخابات ، مما جعل الادارة الأمريكية تميل الى معارضة المشروع تحت ضغط جماعة المعارضة فى المجلس .

وفى يوم ٢٦ يناير فى جلسة استماع مشتركة لمجلس السناتو تمت مناقشة مشروع السد العالى ، حينما قاد جماعة منتجى القطن فى الجنوب ، مجموعة المعارضة ، والذين تتأثر مصالحهم أمام منافسة القطن المصرى طويل التيلة بالنسبة للقطن الأمريكى ، ان جماعة منتجى القطن فى الجنوب كانوا يخشون من تفوق انتاج القطن المصرى نتيجة بناء السد العالى(٤٠) وبالرغم من محاولة الحكومة الأمريكية تهدئة ثائرة جماعة منتجى القطن فى الجنوب فانهم ظلوا يمثلون قوة ضغط على الحكومة .

كذلك ظلت مجموعة اللوبى الصهيونى تمثل القوة الضاغطة ، اذ كانت تخشى من أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تنسحب من مساعدتها لمصر أثناء سنوات تنفيذ مشروع السد العالى ، طالما ترفض مصر اقامة سلام دائم مع اسرائيل(٤١) ومن الواضح أن جماعة اللوبى الصهيونى بددت مخاوفها نظرا لطول مرحلة التنفيذ للمشروع ، بأنه لايمثل أدنى فائدة للاقتصاد المصرى ، بل سيكون عبئا عليه ، وعاملا مساعدا لوقف مشروعات التنمية ، مؤكدين على العداء الحاد الحالى بين مصر واسرائيل ، وان جماعة اللوبى كانوا يعبرون عن مخاوف اسرائيل ، حيث أن المساعدات الأمريكية تدعم موقف ناصر داخليا وخارجيا ٠

وطبقا لرؤية أبا ايبان Abba Eban « بأن ناصر نجح أولا فى عقد صفقة الأسلحة ، والآن يوجد لديه مشروع السد العالى ، حيث سيتمكن من السيطرة وفرض نفوذه على كل من : الأردن ولبنان وسوريا ، وهذا يحد من نفوذ اسرائيل فى المنطقة ، واننى سوف أقول بكل صراحة ، اننى أعارض بشدة مساعدة أمريكا لمصر فى بناء السد العالى »(٤٢) ٠

ولكن المعارضة الشديدة كانت من جانب مجموعة مناهضة سياسة الحياد وهؤلاء من بين أعضاء مجلس الكونجرس الأمريكى ، كما أن المعارضة بدأت من جانب أصحاب الأعمال الذين تدخلوا فى السياسة ، رافضين تقديم أى مساعدات الى مصر ، هذه الجماعة كانت ترفض سياسة مصر الخارجية المؤيدة للاتحاد السوفيتى ، وكان يقود هذه الجماعة السناتور كنولاند Knowland هذا السناتور البرلمانى كان له انصار عديدون ، وله شعبية واسعة النطاق فى الرأى العام الأمريكى ، وأيضا له نفوذ كبير فى البنتاجون الأمريكى ، وكانت الادارة الأمريكية تؤيد مثل هذا الاقتراح شكلا

وموضوعا ، ان دعوة هذا السناتور المعارض لمساعدة أمريكـــا لمصر تؤكد بأن مصر سوف تقوم بتنفيذ المشروع سواء رضينا أم أبينا ، ولاتوجد مشكلة أمامها فاذا لم نتعاون معها فى هذا المشروع فانها سوف تسعى الى طلب المساعدة من أى مكان أو أى شخص ما ، وعلى وجه الخصوص مساعدة الاتحاد السوفيتى ، وذلك على الرغم من كل ماقيل عن مدى التأثيـــر السلبى للمشـــروع على الاقتصاد المصرى .

وبالرغم من هذا فهناك قطاع كبير من الرأى العام الأمريكى يؤيد تقديم المساعدات لمصر لتنفيذ هذا المشروع ، ولايمكن لمثل هذه الشروط المفروضة على مصر أن تثنيها عن تنفيذ مشروع بناء السد العالى رغم طول مدة تنفيذه ، ولم يتمكن الغرب أن يحتفظ بحقــه أثناء المفاوضات بالابقاء على جزء من القرض الذى وعد به ، بناء على الظروف المتغيرة Exceptional Circumstances ولكن يجب تحديد هذه الظروف المتغيرة ، وهذه كان من المفروض أن تترك الى القرار الانجليزى الأمريكى ومن المفروض تشـــديد الضغوط على الحكومة المصرية لقبول مزيد من الشروط التى تحد من التنمية الاقتصادية(٤٤) .

وبناء على كل ماتقدم كان لزاما على مصر أن تسلك أفضل السبل اليها بناء على التدخلات الأمريكية ـ الانجليزية لتنفيذ هذا المشروع ، فان مساعدات الغرب لمصر أمر يثير العداء للغرب والى مصالحه فى منطقة الشرق الأوسط ، وأن مصر سوف تختار خطتها بالرغم من كل هذه الضغوط ، فهى لاتعجز عن تدبير ١٣٠ مليون دولار حيث أن أمريكا وانجلترا مازالتا تعترضان على طول مـــدة تنفيذ المشروع .

باختصار فان الادارة الأمريكية فى امكانها أن توافق مصر على تنفيذ مشروعها ــ دون اعتراض ــ كما هو مقرر ــ من قبل الحكومة المصرية ، وأن تقرضها ما تطلبه فى نطاق التعاون بين البلدين ، مما سيكون له أثر مفيد على مصالح الغرب فى المنطقة . حتى الكونجرس الأمريكى التزم جانب الشك والتردد ، تماما كما حدث فى لجنة الاستماع فى مجلس السناتو وكان من الغباء أن يقر بأن مثل هذه المساعدة من الممكن أن تكون بمثابة حرب باردة لابد منها .

وكادت مناقشات الكونجرس الأمريكى أن تنتهى بموافقة مجموعة المعارضة بالموافقة على مساهمة أمريكا فى المشروع نظرا لحماس دلاس وزير الخارجية ، وعلى الرغم من ردود الفعل التى حدثت فى منطقة الشرق الأوسط ، وتطور الصراع الدولى فى المنطقة ــ بالاضافة الى الأحداث التى شهدتها الأردن فى سبتمبر ١٩٥٥ ــ يناير ١٩٥٦(٤٥) .

وفى بريطانيا كان همفرى ترفيليان Humphrey Travelyan يرى بأن محاولة الاعتراف بالأردن بدأت فى أكتوبر ١٩٥٥ وكان هذا ضد رأيه ، فقد أخبرته وزارة الخارجية بأن بريطانيا ليست بصدد تغيير سياستها نتيجة لمعارضة ناصر(٤٦) وسعت انجلترا بتقديم مساعدات عسكرية الى الأردن وهى صفقة عشر طائرات مقاتلة بجانب مساعدات اقتصادية تصل الى ١١ مليون دولار(٤٧)

وفى هذه الأثناء قام رئيس وزراء تركيا بيار Bayar بزيارة الى عمان فى شهر نوفمبر للضغط على الأردن لكى ينضم الى حلف بغداد(٤٨) . وكان العراق كذلك يضغط على الأردن لهذا الهدف(٤٩) .

وقام القائد البريطانى العام جيرالد تمبلر Gerald Templer بزيارة الى الأردن فى أعقاب وصول الطائرات العشر اليها لمزاولة مزيد من الضغط عليها ، وان كان رئيس وزراء الأردن يؤيده وزراء آخرون رفضوا الامتثال لمثل هذه الضغوط(٥٠) ٠

وترتب على زيارة تمبلر للأردن أن أقيلت الوزارة ، واشتدت المعارضة العسكرية الأردنية ، كذلك الرأى العام الأردنى(٥١) ولقد أخبر رئيس الوزراء الأردنى تمبلر بأن الرأى العام الأردنى يعارض بشدة حلف بغداد(٥٢) وشهدت الأردن ثورات شـعبية عارمـة رافضة الامتثال لمثل هذه الضغوط الغربية(٥٣) ٠

وبعض المحللين السياسيين يلقون تبعة مُحدث فى الأردن نتيجة للسياسة المصرية(٥٤) كما ألقى راديو القاهرة اللوم الشديد على الفلسطينيين والذين يشـكلون نسـبة ⅔ شـعب الأردن ، ويستطيعون أن يتصدوا للضغوط المفروضـة على الأردن ٠ مع ملاحظة أن فريقا من الفلسطينيين والرأى العام العربى يعـارض بشدة قيام حلف بغداد فى المنطقة ٠

وكانت العربية السعودية تعارض بشدة حدوث تقـارب بين العراق والأردن مما يـؤدى الى اتحاد البيت الهاشـمى المعادى للأسرة السـعودية ، ولذا كـانت السـعودية تؤيد السـياسة المصرية (٥٨) ٠

وياليت انجلترا كانت استمعت الى منطق العقل بأن تسـارع بتقديم كل مايطلبه ناصر وتحاول أن تكسبه الى صـفها ، وتهدىء من غضبه وحنقه على السياسة الانجليزية فى المنطقة ٠

وعرضت السعودية ومصر تقديم المعونة المرتقب وصولها من انجلترا ، وحتى لاتكون تحت قيد ونفوذ انجلترا(٥٩) ٠

وبعد مضى شهرين ترتب على الأزمة الأردنية ماينطبق عليه المثل القائل « الهدوء الذى يسبق العاصفة To be a lull before the storm» ففى أول مارس ١٩٥٦ طرد الأردن الجنرال جلوب باشا Glubb قائد عام الجيش الأردنى ومعه ضباط آخرون من قيادة الجيش الأردنى ٠

وأحدث طرد جلوب باشا رد فعل واسع النطاق(٦٠) وأصرت بريطانيا على أن ناصر كان وراء هذا الحدث الذى شهدته الأردن(٦١) ، وبالاضافة الى هذا فقد لحقت وزير الخارجية البريطانية سلوين لويد Selwyn Lioyed اهانة بالغة ، اذ تصادف وجوده فى هذا الوقت فى زيارة رسمية للقاهرة يتباحث مع ناصر ، وفوجىء سلوين لويد بتهليل الصحافة المصرية لهذا الحدث ، والتى أشارت بأن هذا الحدث يعد نصرا على الاستعمار الانجليزى ٠

نتيجة لكل ماحدث فقد توقفت العلاقات بين مصر وانجلترا اذ بلغ السيل الزبى بانجلترا ، ضاعت كرامتها ووضعها ومكانتها فى المنطقة ٠ وتحملت الكثير على أيدى العرب ، والقومية العربية كما تأكد المسئولين البريطانيين أن ناصر عدوهم الأول فى منطقة الشرق الأوسط ، محل مصالحهم الحيوية ٠

ولقد ضاق وزير الخارجية انتونى ناتنج Anthony Nutting ذرعا بسياسة ناصر وردود فعله ازاء سياسة انجلترا فى المنطقة ، خاصة مسألة طرد الجنرال جلوب باشا من قيادة الجيش الأردنى(٦٢) ٠

وهكذا تطورت الأحداث وردود أفعالها بعيدا عن مسألة

مساعدة انجلترا فى بناء السد العالى · وكانت مذكرات دلاس وزير الخارجية الأمريكية تحوى الكثير عن هذا الموضوع(٦٣) :
« ومن المؤكد أن العرض الأمريكى لمساعدة مصر كان بدافع كبح جماح الكتلة الشيوعية ، وتأثيرها العميق فى المنطقة ، وهذا جزء من استراتيجية الحرب الباردة ، والنتيجة الحتمية لمثل هذا التفكير أن هذه المساعدات الواسعة النطاق كان من المفروض أن تغرى ناصر بأن يتعاون مع أمريكا أو على أقل تقدير الا يتدخل فى سياستها ، ولكن مثل هذه الافتراضات من الممكن أن تنهار تماما أمام حماس مصر فى محاولتها بأن تكون زعيمة لدول الحياد ·

وبناء على تقرير بوجين بلاك مدير البنك الدولى (وهذا كمثال) فان وزير الخارجية الأمريكية كان يأمل أن تقدم المساعدات الأمريكية لمصر لبناء السد العالى ، فربما أن مثل هذا العمل يحث ناصر على أن يستخدم نفوذه لحل المشكلة العربية ـ الاسرائيلة »(٦٤) ·

وأرسلت أمريكا بعثة سرية برئاسة روبرت أندرسون Robert Anderson الى كل من مصر واسرائيل لجس نبض الدولتين حول امكانية انهاء حالة العداء فيما بينهما ، واقامة سلام دائم بينهما · وكان من المتوقع اذا قبلت مصر هذه الدعوة فان دولا عربية كثيرة سوف تقتفى أثرها(*) ·

ان ناصر برغم شعبيته الواسعة النطاق الا أنه كان يسعى الى تحقيق هدفه ، وربما كان يقصد بذلك أن يذكر المسئولين حوله

(★) كانت فكرة ناصر أن يكون حل هذه المشكلة على أساس تقسيم عام ١٩٤٧ ، ولكن عندما طلب بن جوريون أن يجتمع بناصر فى أى مكان ، عندئذ رفض ناصر هذه الفكرة من أساسها ·

(المترجم)

بأنه لايود أن يفقد شعبيته ويتخذ قرارا يقلل من وضعه خاصة أنه كان يسعى الى وحدة الصف العربى(٦٥) ٠

وازاء هذا التصور المصرى – فى ظل محـــاولة أمريكا – بتسوية المشكلة العربية الاسرائيلة ، فقد كان مصير هذه المحاولة الفشل الذريع ، وأحد أسباب هذا الفشل يرجع الى محاولة أمريكا بأن تضع قوات عسكرية كمراقبين على الحدود الفاصلة بين اسرائيل والدول العربية المحيطة بها ٠ خاصة على الحــدود المصــرية – الاسرائيلية فى أبريل ١٩٥٦(٦٦) ٠ هذا الموقف من جانب ناصر قوى موقف اللوبى الصهيونى فى أمريكا والمناهضـين لمشــروع السد العالى(٦٧) لم يكن الوقت مناسبا لمثل هذه المحاولة باقامـة سلام دائم فى المنطقة ، كما لم يكن هناك أدنى حماس لتأييد موقف مصر ٠

وكجزء من سياسة هجوم ناصر الشديد على حلف بغـــداد والعراق وتأكيده « بأن الخطر الذى يهدد منطقة الشرق الأوســـط ليس من جانب الدول الشيوعية ، ولكن هذا الخطر يأتى من جانب الدول الغربية الاستعمارية »(٦٨) وأن ناصر يتعامل مع الدول الشيوعية من خلال مبادىء(٦٩) ولم يكن قد بدأ بعد مرحلة التبادل التجارى ، وفى شهر فبراير ١٩٥٦ أعلن : بأن الاتحاد السوفيتى قد وافق على أن يقدم المساعدات الى مصر لزوم الأبحاث الصناعية وتنميتها ، وفى شهر مارس ذهب وفد من الضباط المصريية لزيارة بولندا ، كما قامت كثير من قيادات الدول الشرقية الشيوعية بزيارة الى منطقة السد العالى ليدرسوا امكانية الاستفادة من المشـــروع باقامة صناعات قائمة على توليد كهرباء السد العالى(٧٠) ، وفى

شهر أعلن ناصر بأنه قبل عرض الاتحاد السوفيتى لبناء مشروع السد العالى(٧١) .

* * *

وبالرغم من تطور العلاقات المصرية الأمريكية بشكل ايجابى فان هذا لم يؤثر على موقف مصر تجاه شعب جمهورية الصين ، اذ يمثل شعب الصين أهمية عالمية بالغة ، فقد دخل معسكر الشيوعية فى عام ١٩٤٩ بينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تساند وتدعم نظام شيانج كاى شيك Chiang Kai Shek ولاشك أن هذا الموقف المتناقض نتج عنه أزمة كوريا ، بعد أن فعلت أمريكا كل مافى وسعها لكى تعزل هذه الدولة الضخمة العدد وهى الصين ، وكان المسئولون الأمريكيون - لهذا السبب - منزعجين لأن يروا أن كل مساعداتهم الواسعة النطاق لمصر ، فان ذلك لم يمنعها من تأييد الصين ونمو العلاقات بقوة بينهما ، عقب انعقاد مؤتمر باندونج Bandung وتطورت العلاقات بينهما بشكل سريع ، اذ تم توقيع اتفاقيات تجارية وتم افتتاح المعارض الصينية الكبرى فى القاهرة فى أول أبريل ١٩٥٦(٧٢) .

عندئذ فى ١٩٥٦/٥/١٦ كانت مصر هى أول دولة تعلن اعترافها رسميا بالجمهورية الصينية بعد الحرب الكورية(٧٣) وقدم المسئولون المصريون تبريرا لهذا الاعتراف « بأنه من غير المعقول أن تحرم كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى على الصين تكوين جيش مسلح ، وهذا التحريم هو الذى دفع مصر للاعتراف بالصين(٧٤) .

وفى خطاب لناصر يوم ١٩ مايو أعلن بأنه سوف يقاوم بكل ماأوتى من عزم أى قوى أجنبية أن تحد من حجم التسليح لمصر ،

ومن ثم فقد تم الاعلان عن صنقة الأسلحة التشيكية لمصر فى اليوم التالى(٧٥) ·

ان اعتراف ناصر بالصين الشيوعية صدم الادارة الأمريكية بعنف وكذلك الرأى العام الأمريكى ، ومن المؤكد أن هذه الخطوة تبطل السياسة الأمريكية تجاه الصين ·

وفى تقرير قدم الى دلاس فى ٢٢ مايو بأن هذه الخطوة من جانب ناصر كان لها أسوأ الأثر على العلاقات المصرية ـ الامريكية ومن هنا ازدادت الشكوك ازاء سياسة ناصر ، وأعلن دلاس ·

« اننى أوقن بأن الاعتراف بالصين الشيوعية كان عملا بالغ الأهمية واننى أؤكد بأننا نهتم اهتماما بالغا بما سوف يقدم عليه ناصر من أعمال تؤكد حقيقة استقلال مصر ، وليثبت أنه الرجل الأول لمصر المستقلة ، وان كان لنا وجهة نظر ازاء هذا الموضوع ، وكل ما يهمنا فى هذه المرحلة هو ما يقدم عليه ناصر من أعمال لتعزيز مكانتة ومصالح الأتحاد السوفيتى والصين الشـيوعية ، ونحن لاننظر بعين الارتياح لمثل هه الأعمال » ·

ولكن تحذير دلاس ـ وزير الخارجيـة ـ ترك أثـره على شبيلوف Chepilov وصحيفة البرافدا Parvda وكذلك وزارة الخارجية السوفيتية فى وقت كانت الصحف المصرية مشغولة بمسألة انسحاب القوات الانجليزية من قاعدة قناة السويس ·

وهذه الأطوار المتغيرة فى موقف مصر كانت تقابل بموقف صارم من قبل الولايات المتحدة ، وفى الكونجرس الأمريكى ، وكانت تجرى مناقشات حادة يتزعمها السـناتور كنولاند Knowland

حيث تزعم مجموعة المعارضة لمشروع السد العالى(٧٧) والسؤال الثانى لاستمرار عرض أمريكا فى مساعدة مصر ببناء السد العالى ولكن كيف يتم سحب العرض السابق الذى سبق أن وعدت به أمريكا تقديمه لمصر - وعلى ضوء كل الأحداث السابقة لنا أن نتساءل لماذا لم تعلن مصر رفضها للمساعدات الغربية فى بناء السد العالى ؟

وكما لاحظنا من قبل بأن مراحل تقديم هذه المساعدات لم يلزم أمريكا وبريطانيا باستمرارهما فى تقديم المساعدات حتى نهاية المشروع ، ومنذ أن كانت مصر معرضة للخطر من قبل القوى الكبرى طوال هذه الفترة من بناء المشروع ، كان من المفروض قبول العرض برغم مايحيط به من مخاطر ، وفى الحقيقة كتب هيكل تقريرا حول هذا الموضوع من البداية :

« لقد أدرك ناصر أن الأمريكان يستطيعون فرض نفوذهم وسيطرتهم خاصة وأن المشروع يستغرق سنوات طويلة ، ومن ثم يستطيعون عدم اتاحة الفرصة لازدياد نفوذ الاتحاد السوفيتى فى مصر أو يستطيعون خلال هذه المدة الطويلة اسقاط ناصر أو الحد من نفوذه »(٧٨) .

والمسئولون المصريون كانوا يودون الحصول على ضمانات وكانوا يقصدون من وراء ذلك هو اجبار الغرب للحصول على المساعدات المطلوبة ، وكانت مصر تريد أن يقوم البنك الدولى بتمويل مشروع السد العالى ، والبنك الدولى بطبيعة الحال يخضع لكل من أمريكا وانجلترا ، وكان ناصر يريد أن ينفذ هذا المشروع لاعتبارات داخل مصر ، ولهذا حدث الصدام فى الرأى بين ناصر ومدير البنك الدولى(٧٩)

وفى الحقيقة كانت مصر تبحث عن ممول لتنفيذ المشروع بالكامل وذلك حتى تحد من النفوذ الغربى فى مصر ومن تاثيره على سياستها · والدول الغربية اضطرت الى قبول سياسة مصر فى هذه المرحلة ، وأبدوا عدم الاكتراث باعتزاز مصر باستقلالها وشعورها بالحرية ·

وبرغم هذا فان المسئولين الأمريكيين كانوا يرفضون بشدة قبول سياسة ناصر ودبلوماسيته ، اذ تأكد لهم أنه يسعى الى استغلال القوى العالمية وضربها بعضها ببعض لكى يحقق فى نهاية الأمر مايريد · ولقد تمسك وزير المالية الأمريكية جورج همفرى George Humphrey بالرأى الذى يبديه معظم الأمريكيين المسئولين : القائل بأن مصر تريد أن تجبر القوى الغربية حتى يمكنها المفاضلة بين العرض الأوربى وعرض الاتحاد السوفيتى(٨٠) ·

وبالرغم من هذا الدور المسرحى الذى نشاهده الآن فان ناصر قد أصيب بغرور نتيجة انتصاراته فى تعامله مع الغرب والشرق فى آن واحد ، معتقدا أن الولايات المتحدة وبريطانيا سوف تضطران لقبول سياسته فى نهاية الأمر ، ولاشك أن شعبية ناصر وشعوره بالامتنان لحصوله على الاستقلال والتخلص من سيطرة القوى الكبرى ، معتقدا بأنه سيمضى فى رفضه لشروط وضغوط القوى الغربية ·

وكان وضع مصر يتغير حسب الظروف لادراكه بأن الغرب لايتحمس كثيرا للمشروع · ومن المؤكد أن موقف الولايات المتحدة وبريطانيا يوصى بالرفض منذ أن أهملوا الرد على مذكرة مصر المقدمة اليهما فى شهر فبراير١٩٥٦(٨١) ·

واذا كان ناصر يعطى اهتمامه لمصالح الغرب ، فان الدول الغربية يمكن أن تقدم له المساعدات المطلوبة بدون أية شـــروط مسبقة خاصة اذا ما التزمت مصر بسياسة هادئة تجاه السياسة الغربية فى منطقة الشرق الأوسط(٨٢) ٠

واذا ماظهر الغرب بأنه لايريد أن يسلك سياسة المهادنـــة والاحتواء بالنسبة لمطالب مصر ، فان ناصر يصبح أكثر تصميما ليثبت أنه لن يخضع لأى ضغوط من الدول الكبرى تغير من سياسة مصر العامة ٠

وباختصار فان مشروع السد العالى ، ارتبط بسياسة مصر ، وكان بمثابة الفعل ورد الفعل لدرجة أنه كان السبب فى تحطيم كل أمل فى تقديم أى مساعدة لانشائه من قبل الغرب .

وفى أوائل شهر فبراير ١٩٥٦ أيدت أمريكا رغبتها بتقديـــم المساعدة المطلوبة لمصر(٨٣ وفى نهاية شهر مايو بنفس العام وطبقا للتقرير الذى قدمه السفير الأمريكى فى مصـــر هنـــرى بايرود Henry Byroad وافقت الحكومـــة الأمريكيـــة على برنامـــج المساعدات المقدمة لمصر لتنفيذ مشروعها خـــلال السنة المـــالية ١٩٥٦(٨٤) ٠ وبينما تم اتخاذ هذا القرار الأمريكى بناء على رغبة مصر وما يتفق مع سياستها(٨٥) وفى الوقت الذى تمت فيه موافقة أمريكا واذا بمصر تسارع باعلان اعترافها بالصين الشيوعية ـ وبدون مقدمات ـ مما أدى الى تدمير العلاقات بين مصر وأمريكا ٠

وبالرغم من هذا فلم يكن القرار الأمريكى بشكل نهائى ، اذ أنها كانت تقصد أن مصر سوف تتسلم المساعدات الأمريكية لتنفيذ المشروع فى المستقبل ٠ واذا كان المسئولون الامـــريكيون يرون ارجاء قرارهم لأن الميزانية سوف يقرها الكونجرس فى الســـنة

المالية القادمة ١٩٥٧ بينما كان الكونجرس يكن كل بغض وكراهية لمصر . لقد أكد رئيس مجلس السناتو لوى هندرسون Loy Henderson لدلاس وزير خارجية أمريكا بأن الأصل التشريعى على وشك الانتهاء وأنه لن يوافق على اعطاء مصر أى مساعدات لتنفيذ مشروعها(٨٦) .

وزيادة على ذلك (وأثناء مناقشة خاصة بين دلاس والسناتور كنولاند Knowland بناء على التقرير الذى قدمه مساعد وزير الخارجية جورج آلن Geore Allen) فان دلاس كان يهتم فقط بموقف جماعة المناهضين للحياد ، وكذلك موقف اللوبى المؤيد لاسرائيل . بجانب الاهتمام بمصالح جماعة الجنوب زراع القطن وحماية مصالحهم وأعلن كنولاند بقوله : « بأننا قد نسينا أن ندرج بند المساعدات المقدمة لمصر لتنفيذ مشروعها فى اعتمادات لجنة المساعدات الخارجية » وهذه المحادثات كانت عامل ضغط على وزير الخارجية ، هذا ما أعلنه جورج آلن G. Allen فيما بعد(٨٧) .

ولكن فى نهاية شهر يونية فان لجنة المساعدات الخارجية اعتمدت المبالغ المالية اللازمة لمصر كمساعدات لتنفيذ مشروعها فى السنة المالية القادمة ١٩٥٧ ولم يكن لدى دلاس وزير خارجية أمريكا الحق بأن يتخذ قرارا بهذا الشأن ، ومن جانب آخر استطاع أن يقنع لجنة المساعدات فى ١٩ يونية بأن الاعتمادات المالية لاتكون طويلة المدى(٨٨) .

ومنذ هذا الموقف ، وهذا الاقتراح الصريح بأن دلاس كان على أتم استعداد للموافقة على الاعتمادات المالية اللازمة للمشروع فى نهاية شهر مايو ، ومن الواضح أن ضغوط الكونجرس الأمريكى أصبحت الآن لاقيمة لها .

. . ان مساعد وزير الخارجية هيربرت هوفر Herbert Hoover والسفير ريامونده‍ير Raymond Hare قد رأيا بأن دلاس بموافقته على تقديم القرض المطلوب لمصر لتنفيذ مشروعها(٨٩) ، « فان مصر قد حكمت على نفسها بالفناء »(*) وسعى دلاس الى تأجيل قرار الكونجرس الأمريكى حتى يختار الوقت المناسب لاعلان الرأى الأمريكى النهائى فى هذه المسألة ٠

وكما سوف نرى فان ناصر كان هو الآخر يتحين الفرصة المناسبة ليعلن مفاجآته أيضا ، وفى منتصف شهر يوليو ١٩٥٦ وأثناء انعقاد مؤتمر قمة عدم الانحياز فى يوغسلافيا Yugoslavia أرسل ناصر أحمد حسين سفير مصر الى واشنطون حاملا تعليمات تقضى بقبول مصر العرض الأمريكى(٩٠) اتصل أحمد حسين بوزير الخارجية الأمريكى يوم ١٩ يوليو ليسلمه رسالة مصر ٠ وهذا اللقاء قد وصفه جورج ألن بما يلى :

« كانت فى ذلك الوقت تجرى أحاديث برلمانية غير رسمية حول هذا الموضوع ٠٠٠ وقد بدأ أحمد حسين قوله : بأن لديه عرضا سوفيتيا عظيما ، وتزايدت لديهم الظنون ٠ وامتدح أحمد حسين مشروع السد العالى الذى أقره ناصر ٠٠ وقال كيف يكون اذن موقف الولايات المتحدة الأمريكية ؟ وأوضح بأن هذه هى المشكلة ، ثم وضع يده فى جيبه ، وقال : لقد حصلنا بالفعل على عرض الاتحاد السوفيتى وهو فى جيبى الآن ٠٠٠ »(٩١) ٠

ورأى مصدر موثوق به فى الحكومة المصرية ، بأن أحمد حسين قد تجاوز التفويض المنوط به ازاء هذا الموضوع ، وعلى

(*) Egypti had disqualified itself.

أى حال فقد وجدها دلاس فرصة سانحة له ، وأعلن للسفير المصرى بقوله : « فما عليك الآن الا أن تذهب الى موسكو بما تحملــــه فى جيبك »(٩٢) .

وقال دلاس بأسلوب حازم : اننى أعلم بأن الولايات المتحدة تعتبر المشروع هاما جدا ، ولكن برغم أهميته فبكل صراحة قال : « ان الوضع الاقتصادى لأمريكا لايمكنها من تقديم المساعدة المطلوبة ومن ثم فاننا ننسحب من تمويل المشروع »(٩٣) .

وفى الحال تم عقد مؤتمر صحفى ليؤكد دلاس فيه ما يلى :

« ان تطور الأحداث خلال الشهور الأخيرة لا تبشر بنجـاح المشروع وحكومة الولايات المتحدة لايمكنها فى الوقت الحاضر أن تشارك فى المشروع ، والاتفاق الذى أقره معه حلفاؤنا لايستطيعون الوفاء بما وعدوا به . وأن مقدرة مصر وامكاناتها الاقتصـــادية لاتمكنها أن تتحمل مثل هذا المشروع . وأن هذا القرار لايشين عمق علاقات الصداقة بين البلدين والشعبين الأمريكى والمصرى وستظل أمريكا تقدم كل مساعدة ممكنة لدعم الاقتصاد المصرى وتنميته ، ومستعدة لمناقشة مثل هذه المسائل فى ميزانيتها القادمة بمجلس الكونجرس الأمريكى(٩٤) .

واتخذت أمريكـــا قـــرارها هذا دون التقيد بموقف كل من انجلترا والبنك الدولى طبقا لما سبق أن تم الاتفاق عليه ، ورأت بريطانيا أن تختار اليوم التالى لتعلن انسحابها من تمويل الســد العالى ، ثم تلا ذلك اعلان البنك الدولى يوم ٢٣ يوليو بالانسحاب من تمويل المشروع(٩٥) .

وكان دلاس يتيه فخرا واعتزازا بأنه أمكن له ان الصـــاع صاعين ، واعتبر ذلك غاية فى التكتيك لينزل بمصر العقاب اللازم

جزاء وفاقا لموقفها المتشدد لرفض التعاون مع الغرب ، وقد عبر دلاس فى مذكراته : « كان أمامنا خياران : اما أن نترك ناصر يأفل نجمه بهدوء من خلال فتح باب المفاوضات بحيث تنتهى الى لاشىء ٠

واما أن نصل الى حل من خلال هذه المفاوضات » ٠

ومنذ أن اتبعنا الأسلوب الملتوى فى عدم الاستجابة الى مساعدته بالاموال اللازمة لتنفيذ بناء السد العالى بطريقة غاية فى التكتم ، وبالرفض لكى تظهر سياسته على حقيقتها ، وكان علينا أن نسعى الى التقليل من نزعته الحيادية بطريقة تحط من شأنه ومكانته(٩٦) ٠

واذا مافشلت خطة Beal بيل فان دلاس سوف يقف موقفا حازما ازاء ابتزاز مصر وتلويحها بأنها سوف تقبل عرض الاتحاد السوفيتى ، وتمكن دلاس أن يوجه طعنة خاطفة لكى تكون درسا وعبرة لأى دولة ترى أن تحذو حذو مصر ٠

ان الطريقة والأسلوب الذى اختاره دلاس لسحب عرض أمريكا السابق فى المشروع درس لأى شخص سياسى ، ان التقارير الصريحة التى قدمها الاتحاد السوفيتى لبناء السد العالى كانت بمثابة مناورة دبلوماسية لتوريط أمريكا فى هذا المشروع(٩٧) ان دلاس كان متنبها تماما للعبة الاتحاد السوفيتى ومناوراته التى تهدف الى صرف الأنظار عما كان يحدث فى منطقة أوربا الشرقية(٩٨) ٠

ان دلاس ليعلم تماما مدى حجم تكاليف بناء السد العالى وأن هذا يفوق قدرة الاتحاد السوفيتى الاقتصادية على تحمله ،

ولكى يقدم الاتحاد الســـوفيتى هذا القرض ماعليه الا أن يقترض هو الآخر ، برغم موافقة ناصر بتحمل جزء من هذه التكاليف كما أن خطة دلاس فى الانسحاب من تمويل السد العالى والتى قدمها بهذه الصورة ســوف تضع الاتحاد السوفيتى فى مأزق يكشــف حجمه الطبيعى فى السياسة الدولية ·

وهناك أسباب أخرى دفعت السياسة الأمريكية أن تتحرك فى هذا الاتجاه الأخير اذ كان يجب على الدولتيـن الاســتمرار فى الاتصالات الجارية قبل يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ : أولا نظرا لغياب وسائل الاتصال بين مصر وأمريكا وثانيا عدم مقدرة مصـــر أن توضح مدى نجاح مشروع السد العالى من عدمه ·

وبالنسبة للعامل الأول : فان المسئولين الأمريكيين قرروا بأن ناصر يستخدم عدم اتفاقه مع السودان حول مياه النيل فى المناورة حتى يؤخر اتفاقه النهائى مع الغرب حول تمويل المشـــروع من عدمه(٩٩) ·

ولكن كان هذا مجرد حجة فى ظل الأوضاع الجديدة التى يمر بها السودان فى علاقاته مع مصر ، بعدما أصبح السودان مستقلا فى ديسمبر ١٩٥٥ ، وفى الواقع عندما قام وزيـر المواصـــلات السودانى بزيارة مصر فى شهر مايو صرح بقوله : «أن هناك علاقات قوية تحكم البلدين مصر والسودان ، وأكد بأن المفاوضـــات بين البلدين حول مياه النيل تسير بشكل ايجابى »(١٠٠) .

وكانت أمريكا متأكدة من عدم امكانية مصر على تمويـــل المشروع بمثل هذه الاعتمادات الضخمة فان الأمريكان يفهمون ضمنا أن حالة الاقتصاد المصرى سوف تنهار تماما اذا ماقدم الغرب دعمه فى هذه المرحلة ·

وفى الحقيقة أن ديون مصر نتيجة لصفقة الأسلحة التشيكية كانت تبلغ حوالى ٢٨٠ مليون دولار بدلا من ٨٠ مليــون دولار حسب تقدير السياسيين الأمريكيين(١٠١) لهذه الصفقة ٠ وأشار ايزنهاور بما يلى :

« ان المصريين لايستطيعون فى آن واحد ان ينهضوا ببنـــاء السد العالى الذى لامبرر له الآن ، لأنهم اذا مافعلوا ذلك فـــان الاقتصاد المصرى لايكفى اذا ماكرس كله لتنفيذ هذا المشروع ٠ وفى هذه الحالة لايستطيعون فى نفس الوقت أن ينشىء ناصــر قوات مسلحة قوية فمن المؤكد اذا ماحاول المصريون اعادة بناء القوات المسلحة فانهم لا يستطيعون بالتالى بناء هذا المشروع »(١٠٢) ٠

وفى الحقيقة فان اعادة بناء القوات المسلحة تكلف الميزانية المصرية مبلغ ٧ ملايين دولار سنويا(١٠٣) وبالرغم من ضخامة حجم هذه الاعتمادات ، فان بوجين بلاك مدير البنك الدولى فى أول زيارة له للقاهرة فى يونية ١٩٥٦ أكد : « بأنه لا يوجد تنسيق فى الاقتصاد المصرى بناء على التقرير الذى وصفه يوجين بلاك أثناء محادثاته هذه(١٠٤) ان الادعاء الأمريكى بأن مصر مضطـرة لأن ترهـــن محصول القطن مقابل صفقة الأسلحة التى يمكن شراؤها ، فــان هذا أمر مقبول » ٠

واعتقدت أمريكا لو أن مصر تساهم فى بناء السد العالى ، فانها سوف تعانى عجزا اقتصاديا بمجرد تنفيذ تعهدها ، وكانت أمريكا تساورها الشكوك أيضا فى انهيار أسعار القطن بعد استكمال بناء السد العالى ، اذ كان وزير الزراعة الأمريكى بنسون Benson يسعى الى تسويق فائض القطن الأمريكى فى الأسواق العالمية ، وهو

متأكدبأنه لايمكن أن ينافس به محصول القطن المصـــــرى طويل التيله(١٠٦) ٠

وحدث بالفعل انخفاض أسعار القطن فى الأسواق العالمية بسبب جنى محصول القطن المصرى خلال شهر أغسطس ، ومن ثم استطاعت مصر أن تنافس بقطنها على السعر الذى قدمته أمريكا ٠ وهذا الموضوع فجر أزمة جديدة مع أمريكا ، واشتدت مخـــاوف جماعة زراع القطن فى جنوب أمريكا(١٠٧) ٠

وأخيرا فى أوائل شهر يوليو ١٩٥٦ حدث أن انخفض انتاج أمريكا من القطن بالنسبة لانتاج عام ١٩٣٩(١٠٨) وهذه الأزمـــة الخطيرة التى نشبت بين مصر وأمريكا اثبتت جدارة مصر بأن فى امكانها تسويق قطنها وبالتالى تستطيع أن تضطلع بأعبائها كاملة فى بناء السد العالى بأسوان وبالتالى اثبتت الأحداث أن تقديرات رجال السياسة الأمريكية كانت خاطئـــة تماما وبالتالـــى فقدوا مصداقيتهم ٠

وكان هناك سبب آخر بعيد ، اذ فى امكان أمريكا ألا تلغى العرض بل تحرص على المساهمة فى بناء هذا المشروع ٠ ولكن دلاس عقد مؤتمرا صحفيا لافتا النظر الى أن مثل هذا المشروع يستغرق مابين ١٢ ــ ١٥ عاما ، ولاشك أن ثمة تطورا قد يحدث فى حياة الشعوب خلال هذه المدة الطويلة ، وألقى دلاس اللوم على الروس اذ كان من المفروض أن تشارك أمريكا فى تحمل هذه المسئولية(١٠٩)

وبرغم هذا فقد ركز دلاس على التقرير الذى قدمـــه هوفــر Hoover عن حقيقة المشروع الضخم خلال جلسة الاستماع فى الكونجرس فى جلسته يوم ٥ يناير ١٩٥٦(١١٠) ٠

وبالاضافة الى هذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تخشى أن تتورط فى المشروع اذ أكد وزير المالية الأمريكى جورج همفرى George Humphrey بأن هذا المشروع يرغم ضخامة التكاليف لايضيف أى فائدة حقيقية للاقتصاد المصرى مالم يدعمه انشاء مشروعات أخرى ، وهذه بالتالى تكلف الدولة مبالغ اضافية أخرى(١١١) ٠

وبالنسبة للمشروعات الاضافية هذه ، فان الولايات المتحدة الأمريكية من المحتمل أن تجد نفسها متورطة فى حرب تنافسية باردة وجها لوجه مع دول الكتلة الشرقية ٠

وقدم الرئيس ايزنهاور وجهة نظر أخرى ، اذ قرر بأن اقتراح ناصر المضاد لوجهة نظر بوجين بلاك مدير البنك الدولى ، عرض على الرئيس أيزنهاور المتضمن « بأن ناصر لم يكن مقتنعا بأهمية هذا المشروع »(١١٢) ٠

وهذا هو السبب المباشر فى تردد أمريكا بأن تثق فى المشروع منذ أن رفضت الدول الغربية أن تستجيب لمذكرة ناصر فى هذا الصدد ، مع أن ناصر كان قد قبل فى غضون شهر يوليو لوجهة نظر أمريكا وانجلترا حتى قبل أن تهم الدولتان بسحب عرضهما السابق ٠

ويستخلص من أحاديث دلاس الصحفية خلال شهرى يونية ويوليو ١٩٥٦ أنه من أهم الدوافع التى أثرت على دلاس لينسحب من المساهمة فى المشروع هو رفض مصر أن تحد من علاقاتها مع دول الكتلة الشرقية ، كما أن دلاس كان ينظر الى بعض الدول

---

(١١٢) That Nasser not seriously interested in the project

التى تعتنق مبدأ الحياد بأن هذا بداية كارثة لهم كانت أمريكا تخشى أن تتسع دائرة الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتى بسبب سياسة ناصر مع دول الكتلة الشرقية ، خاصة بعد اعترافه بالصين وهجومه الشديد على حلف بغداد ، وليس فى امكان أمريكا أن تتوسع فى مسألة المساعدات والقروض حتى لاتثير ثائرة أصدقائها فى المنطقة(١١٣) .

كما أشار أنتونى ايدن بقوله : « مع بداية العام كانت حكومة العراق غاضبة حيث نال المصريون مساعدات ومعونات أكثر من العراق المتحالفة معهم فى حين أن المصريين ليسوا جادين فى تنفيذ مشروعهم ، انما الحقيقة المكدة ارتباط مصر بدول الكتلة الشرقية وخاصة الاتحاد السوفيتى ، وبرغم هذا مازالت مصر تهاجم بعنف الدول الغربية والعربية على السواء(١١٤) . »

وأوضح دلاس وزير خارجية أمريكا هذا الموضوع بقوله :

« ان الدول التى تلعب دورين فى وقت واحد نوليها اهتمامنا اكثر من تلك الدول التى لها سياسة واضحة ومتعاونة معنا(١١٥) .

وفى هذا السياق من الحديث ، فان المصريين اعتبروا أن التلويح بتقديم المساعدات من جانب الاتحاد السوفيتى لبناء السد العالى مازال أمرا غامضا . ويؤكد دلاس بأن هذه السياسة المصرية ماهى الا سياسة ابتزاز(١١٦) .

ان انسحاب دلاس من مسألة تمويل المشروع يعتبر تحذيرا لدول أخرى تسير فى ركاب السياسة المصرية وتتعاطف معها فى وقت ترفض فيه الولايات المتحدة مبدأ الحياد فى ظل الحرب العالمية الباردة .

ان رد الفعل الذى حدث لمصر نتيجة انسحاب أمريكا من تمويل المشروع لم يكن بالقدر المتوقع لأن ناصر كان يتوقع ذلك(١١٧) ولكن ما أغضب ناصر هو الأسلوب الذى اختاره دلاس لاعلان انسحاب أمريكا ، لقد كان أمرا مزريا لناصر ولمصر كلها خاصة عندما أشار المسئولون الامريكيون الى عدم مقدرة الاقتصاد المصرى تحمل هذه النفقات ، وكان هذا اثما كبيرا فى نظر ناصر والمصريين ، وأن الاقتصاد المصرى يواجه صعوبات خطيرة(١١٨)

وفى يوليو ١٩٥٦ أعلن ناصر : استياءه الشديد بما يوحى الى طعن العلاقات المصرية - الأمريكية طعنة من الخلف بقوله : ان الضجيج الذى حدث فى واشنطون خلق رد فعل بالتضاليل والغوغائية دون أن يضع فى الاعتبار أصول العلاقات الدولية ، ومما قيل بأن الاقتصاد المصرى منهار تماما ، ويلقى بظلال من الشك على الاقتصاد المصرى ، واننى أنظر الى الأمريكان وأقول(١١٩) « موتوا بغيظكم »(*) .

وفى يوم ٢٦ يوليو بمناسبة الذكرى الرابعة لخروج الملك فاروق من مصر أعلن ناصر وقد أماط اللثام Slep in the Face عن موقف الغرب(١٢٠) بأسلوب درامى فى خطاب استغرق القاؤه ساعتين واربعين دقيقة أعلن عن تأميم شركة قناة السويس ، ومن عائداتها يمكن بناء السد العالى(١٢١) ، ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع بين مصر وأمريكا فى الشرق الأوسط .

(*) May you choke to death on your fury

NOTES

(1) One feddan = 1.038 acres.

(2) National Production Council, **Permanent Council for the Development of National Production,** (Cairo : 1955), P. 137, quoted in Wheelock, **Nasser's New Egypt,** P. 181.

(3) **Sadd El Aali Report** of February 1955, PP. 12 and 20 — 21, quoted in Wheelock, **Nasser's New Egypt,** PP. 181 — 82 : **Middle East News Agency,** 26 March 1955.

(4) UAR, Ministry of Power, **The High Dam,** High Dam Public Relations Department, n.d., P. 17.

(5) Wheelock, **Nasser's** New **Egypt,** P. 179; Love, **Suez : The Twice-Fought War,** P. 301.

(6) This board was composed of live Americans, one Frenchman and one German. UAR, State Information Service. **Egypt's High Dam,** (Cairo, n.d.) P. 8. By April 1953 it had prepared the guidelines for the entire project. Wheelock. **Nasser's New Egypt,** P. 180. See **Report by the Board of Consultants on the Sadd El Aali Project,** November 1954 (Cairo : Misr Press, 1955) for construction features. For World Bank President Eugene Balck's comments, see **Dulles Oral History Collectoin.**

(7) UAR, Ministry of Power, **The High Dam,** P. 20; the soundnees of the project Was verified by the Board of International Consultants. UAR, State Information Service, **Egypt's High Dam,** P. 8.

(8) Black, **Dulles Oral History Collection.**

(9) **Al Ahram,** 31 July and 25 August 1954.

(10) See Memorandum| by the Presdient, 23 April 1953, quoted by Hugh Thomas, Suez (New York : Harper Row, 1966). PP. 17 — 18.

(11) Black, **Dulles Oral History Callection.**

(12) Love, **Suez : The Twice-Fought War,** P. 301.

(13) This contention diverged from that of Under-Secretary Herbert Hoover, Jr., who held that the idea of financing the project originated in Britain, **Dulles Oral History Callection,** Howevre, George V. Allen, Under-Secretary for the Near East, South Asia and Africa, supported Black's allegation (ibid).

(14) **Le Journal d'Egypte,** 11, 14, 18, 21 October and 21 November 1955; Salah Salem to Seale. **The Struggle for Syria,** P. 336.

(15) Ibid. : Heikal, **The Cairo Documents,** P. 67.

(16) Eden, **Full Circle,** 3 : 468.

(17) **Al Ahram,** 7 October 1953. See also Ali Sabri's comments, ibid., 20 June 1953.

(18) Wheelock, **Nasser's** New **Egypt,** PP. 186 — 87.

(19) Trvelyan, **The Middle East in Revolutoin,** P. 50. See aslo Ambassador Ahmed Hussein's comment to Dulles, New York **Times,** 18 October 1955.

(20) **Egyptian Gazette,** 19 Noember 1955.

(21) U.S. Cong., **Financing the Aswan,** P. 4.

(22) U.S. Department State, **Bulletin,** 26 December 1955, PP. 1050 — 51.

(23) Intrenatoinal Bank of Reconstruction and Development, **Loans, United Arab Repubilc (Egypt),** September 1951-December 1959, Unpublsihed Board Reports. Love points out that Britain was offernig to release blocked Egyptian sterling, which Britain had owed Egypt since World War II. **Suez : The Twice-Fought War,** PP. 302 — 3.

(24) U.S. Cong., **Financnig of Aswman,** P. 19.

(25) See Hoover's statement that there was no existing au-authority to commit United Stats funds for later stages, **Financing of Aswan,** P. 7; Trevelyan, **The Middle East in Revolution,** PP. 50 — 51. According to Trevelyan, the Bank did receive secret letters from the United States and Britain promising that they would find the foreign exchange requirement for later stages.

(26) Quated in M. L. Cooke, **Nasser's Aswan Dam : Panacea or Politics ?** (Washington D.C. : Public Affairs Institute, 1956), P. 13.

(27) Trevelyon, **The Middle East in Revolution,** P. 50. The Egyptian press demonstrated awareness of this fact. See **Al Ahram,** 21 June 1956.

(28) Trevelyan, **The Middle East in Revolutoin,** PP. 50 — 51.

(29) According ot Trevelyan, Nasser considered this condition political, practically callnig for World Bank control of Egyptian finances. Ibid., P. 51.

(30) Black, **Dulles Oral History Collection;** Heikal. **The Cairo Documents,** P. 60. For its own assurance in this matter

Egypt reportedly also expressed the desire that its agreement with the Bank be kept sparate from the others. **Trevelyan, The Middle East in Revolution,** PP. 52 — 53. See also Wheelock, **Nasser's** New **Egypt**, P. 188.

(31) Black, **Dulles Oral History Collection**; Trevelyan, **The Middle East in Revolutoin,** PP. 52 — 53.

(32) Heikal, **The Cairo Documents,** P. 61.

(33) Quotld in Love, **Suez : The Twice-Fought War,** P. 313.

(34) International Bank of Reconsruction and Development, **Loans United Arab Republic, September 1951-December 1959,** Unpublished Board Reports

(35) Black, **Dulles Oral History Collection.**

(36) Wheelock, **Nasser's New Egypt,** P. 189, Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 7 April 1955. See also Wheelock, **Nasser's New Egypt,** PP. 183 — 86.

(37) See Hoover, in U.S. Cong., **Financnig of Aswan,** PP. 7, 16. Also see Dulles's statement of 11 January, U.S. Department of State, **Bulletin,** 23 January 1956. P. 120.

(38) U.S. Departe of State, **Bulletin, 16 January 1956, P. 82.**

See also Dulles's reference at a 11 January press conference, ibid., 23 January 1956, P. 119. He asserted that long-trm projects offered the United States the chance to do things that have «a more permanent value».

(39) U.S. Cong., **Financing of Aswman,** P. 2.

(40) Ibid., PP. 10 — 14, 21 — 22. American cotton was protected by quotas and governmental purchases of surplus stock. February 1956.

(42) Eban, **Dulles Oral History Collection.** See also **U.S.** Cong., **Financing of Aswan,** P. 10 ; Adams, **Firsthand Report,** P 246

(43) U.S. Cong., **Financig of Aswan,** PP. 5 and 16.

(44) Trevelyan, **The Middle East in Revolution,** P. 50.

(45) Trevelyan, **The Midde East in Revolution,** P. 56.

(46) Ibid., P. 57.

(47) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 5 November and 14 December 1955.

(48)H. G. Martin, «The Soviet Union and the Midde East, «**Middle Eastern Affairs,** February 1956, P. 53.

(49) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 11 December 1955.

(50) Ibid., 9 January 1956 and 14 December 1955. That the reason for the Templer Mission was to convince Jordan to join the Baghdad Pact is implied by Eden in **Full Circle,** 3 : 341.

(51) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 14... 16, 18, 19 and 20 December 1955 and 7 January 1956.

(52) **Al Ahram,** 23 December 1955.

(53) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 9 January 1955.

(54) King Hussein insists that Nasser had agreed to Jordanian adhlrence and then turned against it (**Uneasy Lies the Head,** PP. 91 — 94). If this was the case, Nasser probably counted on internal Jordanian opposition to prevent Hussein from bringing his country into the pact.

(55) Jordan's Prime Minister Samir El Rifal accused both Egypt and Saudi Arabia of using broadcasts to undermine the Jordanian internal situation. Mansoor, ed., **The Arab World** (3) 10 and 12 January 1956.

(56) Ibid., 25 December 1955.

(57) Benjamin Shwadran, **Jordan, A State of Tension** (New York : Council of Middle East Affairs Press, 1959), PP. 324 — 34.

(58) Saudi Arabia was also accused of giving money to the opposition forces. M. perlmann : «Egypt Versus the Baghdad Pact, «**Middle Eastern Affairs**, March 1956, P. 25. For the charge of massnig troop son its borders with Jordan, see Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 27 January 1956.

(59) Ibid., 26 December 1955 for reports of the initial offer. See also ibid., 23 January and 2 February 1956 for repeated offers.

(60) King Hussein inists that he dismissed Glubb Pasha for the following reasons : Britain dominated Jordan through him; there was a question of double loyalties; a personal conflict between Glubb and King Hussein existed; his presence supplid the «communists» with a blatant example of colonialist imperialism; and, with the earlier crisis, Knig Hussein had become aware of the strength of the opposition. **Uneasy Lies the Head**, PP. 107 — 14.

(61) See Eden's 7 March 1956 speech before the House of Commons quoted in **The Times**, 8 March 1956, and Eden, **Full Circle** 3, : 347 — 50. Trevelyan reports that Foreign Minister Selwyn Lloyd was also of this opinion, and further recalls the full-scale attacks on Glubb by Radio Cairo (**The Middel East in Revolution**, PP. 56, 63).

(62) Anthony Nutting, **No End of a Lesson** (New York : Clarkson N, Potter, (1956). Note that Radio Cairo was also attacking Britain over its positions in Kenya and Aden. Trevelyan, **The Middle East in Revolution**, P. 74.

(63) France also began to view Egypt as a major regional antagonist. Not only had Cairo become the center of Maghrebi nationalist ressitance forces, but Egypt was accused of supplying and training these forces. France's anti-Egyptian attitude certainly reinforced the argument of those opposed to American support for the High Dam project.

(64) Balck, **Dulles Oral History Collection.** See also **The Cairo Documents,** P. 63.

(65)Black, **Dulles Oral History Coolection.**

(66) Note that the Gaza Raid had been only the frist of five majort retaliatory raids on Egypt in 1955. See **Jewish Observer and Middle East Review,** 23 December 1955; resports in the **Egyptian Gazette,** 22 May 1955. 1 June 1955, 24 and 30 August 1955, 22 September 1955.

(67) Eban, **Dulles Oral History Collection;** Adams, **Firsthand Report,** PP. 247 — 48.

(68) Quoted by Pierre Rondot, **Orient,** No. 4, 1957, P. 94.

(69) Washington reported that 33 delegations from communist had vistied Egypt in 1955 and that already in the first three months of 1956, this figure had reached 30. Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 3 June 1956.

(70) **Le Journal d'Egypte,** 10 February 1956; the report about troops was made by the British Foreign Office and was confirmed by Egypt on 24 March; Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 23 and 24 March 1956.

(71) **Le Journal** d'Egypte, 2 April 1956.

(72) See Egyptian .Chinese Trade Agreement, Le Journal d'Egypte, 2 March and 16 and 17 April 1956, Ibid., 2 April 1956.

(73) Ibid., 17 May 1956.

(74) See British-Soviet Jonit Communiqué, New York **Times**, 27 April 1956. See also text of Soviet 17 April 1956 statement, **Middle Eastern Affairs**, May 1956, P. 193. See **Al Ahram**, 22 April 1956 and Nasser's 18 May speech, **Le Journal d'Egypte**, 19 May 1956.

(75) Ibid., 20 and 21 May 1956.

(76) U.S. Department of State, **Bulletin**, 4 June 1956. P. 920.

(77) See Senator Knowland's comments during the January 1956 hearings. U.S. Cong., **Financnig of Aswan**, P. 18.

(78) Heikal, **The Cairo Documents**, PP. 59 — 60.

(79) Trevelyan. **The Middle East in Revolution**, PP. 52 — 53.

(80) Eisenhower, **Wanging peace**, P. 31.

(81) Black, **Dulles Oral History Collectoin.**

(82) Heikal Calims that Nasser had been informed of the coming Untied States withdrawal of its offer by a high level Iraki delegate to the Baghdad Pact meeting of foreign ministers in April. Heikal, **The Cairo Documents**, P. 64.

(83) Black, **Dulles Oral History Collection.**

(84) U.S. Cong., **Hearings**, 1957. Note also the American decision in April to joint the Economic Committee of the Baghdad Pact after having refused in February (**New York Times**, 19 April 1956).

(85) Raymond Hare to the author.

(86) Henderson, **Dulles Oral History Collection.**

(87) Allen, **Dulles Oral History Collection**

(88) U.S. Cong., **Hearings**, 1957, PP. 23 — 34.

(89) Herbert Hoover, Jr., **Dulles Oral History Collection**; Raymond Hare to the author.

(90) New York Times, 18 July 1956; Love, Suez : **The Twice-Fought War,** P. 315.

(91) Allen, **Dulles Oral History Collection.**

(92) Ibid.

(93) Ibid.

(94) For complete text, see **Middle Eastern Affairs,** August/September 1956, PP. 198 — 99.

(95)New **York Times,** 21 July 1956; Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 23 July 1956.

(96) J.K. Beal, **John Foster Dulles** (New York : Harper & Brothers, 1957), P. 260.

(97) Ibid., P. 258.

(98) Following Khrushcev's February 1956 anti-Stalinist speech, certain «revisionist» tendencies began to appear in Eastern Europe. This more nationalistic movement toward liberalization was brutally arrested by ooviet interventoin to crush the October/November 1956 Hungarian uprising.

(99) **L'Orient,** 8 July 1956.

(100) Mansoor, ed., **The Arab World** (3) 9 May 1956.

(101)**New York Times,** 21 July 1956.

(102) Eisenhower, **Dulles Oral History Collection.**

(103) Heikal, **The Cairo Documents,** P. 63.

(104) Black, **Dulles Oral History Collection.**

(105) U.S. Department of State, **Bulletin,** 16 July 1956, P. 114.

(106) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 17 and 28 February 1956.

(107) Ibid., 28 February 1956.

(108) U.S. Department of State, **Bulletni,** 16 July 1956, P. 114 Cotton law signed by Eisenhower 6 July 1956, to take effect 1 August 1956.

(109) U.S. Department of State, Press Release 184 **184, 2** April 1957.

(110) U.S. Cong., **Financing of Aswan.**

(11) Humphrey, **Dulles Oral History Collection.**

(112) Eisenhower, **Waging Peace,** P. 32 He seems to have been confused on the date, which was February.

(113) Beal, **John Foster Dulles,** P. 257. Wheelock holds that Turkey, Pakistan, Iran, and Ethiopia were opposed to American aid to Egypt (**Nasser's New Egypt,** P. 195).

(114) Eden, **Full Circle,** 3 : 421.

(115) **New York Times,** 3 April 1957.

(116) U.S. Cong., **Hearings, 1957,** P. 465.

(117) In an interview with Kennett Love, Nasser held that he had informed Ahmed Hussein that «I am 100 percent sur that there will be no financing,» Love, **Suez : The Twive Fought War,** P. 321.

(118) Egyptian Minister of Interior Zachariya Monhieddin is quoted by Trevelyan as replying : «It is not so much the withdrawal of the money which we mind. We can find other ways of financing the High Dam. It is the way in which it was done» (**The Middle East in Revolution,** P. 55).

(119) **Le Journal d'Egypte** 25 July 1956.

(120) See Nasser's statement to Love : « ...... What hurt me was the part in the statement about our economy. I regarded that as slap in the face. Of course, they are at liberty to say Yes or No, but it must be said politely.» Love, **Suez : The Twice-Fought War,** P. 334.

(121) For text, see Foreign Broadcast Information Service, **Daily Report,** Foreign Radio Broadcasts. 27 July 1956. For an interesting account of the take-over procedures, see Love, **Suez : The Twice-Fought War,** P. 338 — 44.

الفصل السابع

حـرب السـويس ١٩٥٦

الحرب الساخنه والحرب الباردة

لاشك أن ناصر يعجل باخفاق سياسة الغرب فى المنطقة ، نظرا لما يتمتع به من جراة كزعيم عربى ، ومن ثم فان هناك تدابير قوية اتخذت ضده بهدف تدميره والقضاء عليه ، وعلى هذا فان دلاس وزير خارجية أمريكا كان يرى أن أهم مشكلة هى استغلال ناصر سياسة الغرب لصالحه وضد الغرب ، وكمثال لهذا حينما سعى لتوقيع اتفاقية مع الاتحاد السوفيتى وكان على الغرب أن يكتشف بواطن الخلل فى سياسته .

والشىء الذى لا يمكن ادراكه على وجه الخصوص ، هل ناصر أو المتحدثون باسمه كانوا متساهلين فى مسألة الاعتقاد بصحة هذه الخطوة التى أقدموا عليها ، وهى التلويح بالعلم الأحمر فى وجههم بهدف التخفيف من شروط الغرب الخاصة بالاعتمادات المالية اللازمة لمشروع السد العالى ، ومن المحتمل أن تكون هذه من باب الدعاية بأن الاتحاد السوفيتى قد حصل بمثل هذه الخدعة التى يمكن أن يستخدمها ناصر بأن يعتبر الاتحاد السوفيتى قد وصل معه الى نقطة اللاعودة . وفى هذه الحالة أى تراجع قد يحدث من قبل الغرب يعد مكسبا للاتحاد السوفيتى .

ان الحقيقة الأكيدة أن تحدث من قبل الاتحاد السوفيتى ازاء

هذا العرض ، بأن القادة المسئولين السوفيت يتمنون هذه الصفقة التى يدعيها المصريون خصوصا بعد توقيع السفير السوفيتى فى القاهرة دانيل سلود Daniel Solod اتفاقا فى ديسمبر ١٩٥٥ خاصا بتقديم المساعدة فى بناء السد العالى(١) فى وقت كان قد تم الاتفاق مع الغرب على تقديم القرض المطلوب وان كان هذا يعد من باب الدعاية والتظاهر ليس الا • وفى أوائل ابريل ١٩٥٦ قدم الاتحاد السوفيتى عرضه بينما أعلن ناصر بقوله : « بأننا مازلنا ندرس هذا العرض السوفيتى »(٢) •

وعقب ارتداد دلاس والذى أعلنه فى يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ كان ناصر ما زال يأمل فى مساعدة الغرب حسب ما أعلنته صحيفة البرافدا Pravada فى صدر صفحاتها ، وحسب ما أعلنه الوزير شبيلوف Shepilov فى ٢١ يوليو بقوله : « بأن الاتحاد السوفيتى لا يعتبر هذه المساعدة المالية المقدمة الى مصر ليست لبناء السد العالى فقط »(٣) • وفى يوم ٢٤ يوليو وضح السفير السوفيتى بالقاهرة هذا التصريح الذى أدلى به شبيلوف بقوله : « بأن الاتحاد السوفيتى على أتم استعداد لتقديم مساعدة مالية لتنفيذ هذا المشروع » • وأخيرا وفى نفس هذا اليوم ، استنكر التصريح الذى أدلى به هذا السفير السوفيتى فى القاهرة(٤) •

وحقيقة وقف الغرب فى حيرة شديدة ازاء موقف الاتحاد السوفيتى الغامض حول تقديم المساعدات المالية لبناء السد العالى اذ ما زال الأمر يكتنفه التعتيم والغموض ، ولكن الشىء الواضح والمؤكد هو ما أعلنه شبيلوف بجانب تصريحات المسئولين المصريين(٥) • وهناك نقطة أخرى توضح امكان الاعتماد على الاقتصاد المصرى فى بناء السد العالى •

وازاء هذه البلبلة والتوتر السياسى كانت مسألة قناة السويس مشكلة أخرى تنال اهتمام مصر على وجه الخصوص ، وكانت القناة تدار بواسطة شركة قناة السويس البحرية التى تمتلك انجلترا وحدها ٤٤٪ من أسهمها وفرنسا ٥٠٪ من الأسهم ، وفى عام ١٩٥٥ كان اجمالى دخل شركة قناة السويس حوالى ١٠٠ مليون دولار ويخص مصر فقط ٣٪(٦) من هذا المبلغ وهذا يؤكد مظهرا بغيضا من مظاهر الاستعمار ٠

وحتى قبل أن يقدم الغرب بسحب عرضه الخاص بالمشروع ، هناك حقيقة مؤكدة ، بأن شركة قناة السويس كان نهاية عقدها لادارة قناة السويس سينتهى فى عام ١٩٦٨ ولا يمكن مد أجله(٧)(*)

وفى نفس الوقت مادامت مصر لا تستطيع أن تعتمد على مساعدات الغرب من أجل التنمية الاقتصادية بصفة عامة ٠ فقد طلبت مصر المشاركة فى شركة قناة السويس ، وزيادة حصتها من أرباح الشركة أيضا ، كما طلبت مصر ضرورة مساهمة الشركة فى برامج التنمية للدولة ٠ وبعد جدل شديد وافقت الشركة على المساهمة بمبلغ ٢١ مليون دولار خلال السنوات القليلة القادمة بشرط أن تظل نسبة مصر من الأرباح كما هى مقررة ٣٪(٨) ٠

ولا يمكن أن تكون مثل هذه المقترحات المقدمة من الشركة هى السبب المباشر لاقدام مصر على تأميم الشركة ، وان كان هذا تقرر

(*) كان دلاس يهدف الى عدة غايات متشابكة ، فهو يريد من الناحية الأولى توجيه بعض النكسات الحادة الى الرئيس ناصر الذى كان يكره سياسته الحيادية أكثر من أى شىء آخر ، واذا كانت بريطانيا وفرنسا قد ضللتاه بقولهما « ان ناصر لن يفعل شيئا اذا ما سحبت أمريكا وبريطانيا العرض بتمويل السد العالى ... » المترجم

قبل هذا التاريخ ، اذ من المؤكد ان مثل هذا القرار قد تمت دراسته قبل ذلك بكثير(٩) .

وأعلن ناصر فى ١٢ أغسطس ١٩٥٦ بقوله : « من البديهى نحن لا نغير شركة قناة السويس ومستقبلها خلال العامين ونصف العام القادمين ، ولكن من المؤكد أن قرار التأميم لم نتخذه الا بعد أن أقدم الغرب بسحب عرضه السابق ، بقبوله تقديم المساعدة المطلوبة فى بناء السد العالى » .

* * *

ان أهم حلفاء أمريكا فى حلف الاطلنطى N.A.T.O. وهما بريطانيا وفرنسا تعتبران تأميم مصر لشركة قناة السويس أمرا لا يطاق ، وغير محتمل ، وفى هذا الوقت كان ¼ السفن البريطانية تمر من قناة السويس ، وهذا يمثل ⅓ السفن التى تعبر القناة ، وهنا تكون الأهمية البالغة لانجلترا اذ أن كل احتياجاتها من البترول القادم من الشرق الأوسط يمر من القناة(١١) . ولو كان ما يزال تمركز القوات البريطانية بقاعدة القناة ، ففى هذه الحالة تصبح مصر تحت رحمة بريطانيا وضغوطها(١٢) .

ان رد الفعل لقرار التأميم كان وقعه شديدا على الرأى العام والمسئولين البريطانيين ، خاصة بعد تلك المعارك مع مصر ، وانتصار ناصر فى مجال مناهضة الاستعمار ، وكان شهر يونية عام ١٩٥٦ هو آخر شهر يشهد انسحاب آخر جندى من منطقة قناة السويس وكان هذا له تأثير سىء على بريطانيا العظمى ، بل على الامبراطورية البريطانية بأثرها(١٣) . وكان هذا القرار بالنسبة لأنتونى ايدن وجموع العاملين بالقناة يؤكد بأن ناصر قد ذهب بعيدا فيما كانوا يتوقعون .

وبناء على هـذا فقد رأى المسئولون البريطانيون كاجـراء سريع ازاء أزمة السويس هذه بأنهم يرون اجبار ناصر بأن يترك Relinquish قناة السويس ، ويفك قبضته عن شركتها ، ولكن على المدى الطويل كانوا يرون أنه لابد من تحطيم ناصر واسقاطه أو على أقل تقدير تحجيم دوره فى المستقبل(١٤) .

أما عن موقف فرنسا ، فان حمـاية مصالحها الحيوية فى شركة قناة السويس كان جل اهتمامها بالدرجة الأولى ، كما رأى المسئولون الفرنسيون ، بأنه كان يجب عليهـم أن يلقنـوا ناصر درسا قاسيا لكى يكون عبرة وعظـة للجزائريين نتيجـة ثورتهـم وعصيانهم ، والذين كانوا يعتمدون على مساندة مصر ، وواضح أن فرنسا كانت أشد حنقا وغيظا نتيجة سياسة ناصر ، وحتى قبل ظهور هذه الأزمة فان فرنسا كانت تعد العدة للتخلص من ناصـــر وشروره(١٥) .

وكانت كل من انجلترا وفرنسا مصممتين على عدم تمكين ناصر من أن يفوز بهذه الغنيمة ، وان كان ايدن قد أوضح موقفه بكل تأكيد للمسئولين الأمريكيين بما يلى : « ان زملائى وأنا يجب علينا أن نكون جاهزين ــ كآخر محاولة ــ بأن نستـعمل القـوة لاجبار ناصر بأن يعود الى صوابه ، وبالنسبة لنا فنحـن على أهبة الاستعداد لمثل هذا العمل ، وقد أصدرت أوامرى فى صـــباح هذا اليوم الى القيادة العليا بأن يعدوا الخطة العسكرية اللازمة لذلك »(١٦) .

وصـــرح جى موليه Guy Mollet رئيس وزراء فرنسـا فى أول شهر أغسطس ١٩٥٦ بأن الحكـومة الفرنســية قررت

استخدام القوة لوضع حد نهائى لهذا الشخص(١٧) وتقوم فرنسا الآن بالتنسيق مع بريطانيا لوضع الخطط اللازمة لذلك(١٨) ٠

وهناك اعتبارات مهمة ـ على الرغم من كل هذا ـ هى منع استخدام القوة فى الوقت الراهن ٠٠ الأول : أن التدخل العسكرى يحتاج الى وقت للتجهيزات العسكرية(١٩) ، والثانى : هو مدى تاثير هذا العمل على الولايات المتحدة الأمريكية ومصالحها فى المنطقة ٠

اذا كان ايدن Eden يأمل بأنه فى حالة اقدام انجلترا وفرنسا على استخدام القوة ضد مصر ليشفيا غليلهما ، فما على الولايات المتحدة الأمريكية الا التصدى للاتحاد السوفيتى فى حالة تدخله(٢٠) ٠

ونظرا لاعتماد انجلترا وفرنسا على بترول الشرق الأوسط وكذلك حلفاؤهم فيجب على أمريكا تأمين هذا الموضوع عند الضرورة القصوى(٢١) ٠

وكان على الولايات المتحدة أن تلعب دورا بالغ الأهمية وبشكل ايجابى فى هذه الأزمة ، حتى تحد من علاقاتها مع مصر وتتضح الحقائق أمام متخذى القرار الأمريكى :

● **أولا** : « ان ما يهم الرئيس المنتخب ـ فى نوفمبر ١٩٥٦ ـ هو استقرار أحداث منطقة الشرق الأوسط والتى لها أكبر الأثر على مجريات الأحداث السياسية ، لذلك اتخذ خطوة جريئة بانهاء الحرب الكورية ، ومن هنا كان حريصا على أن يسود السلام منطقة الشرق الأوسط ، ويتصدى لأى سياسة طائشة من قبل دولتى انجلترا وفرنسا ٠

● **ثانيا** : ان موقف أمريكا خلال المرحلة الأولى من أزمة

السويس هو تصميم أمريكا على ارجاء استخدام القوة من قبل حلفائها حتى تنتهى مرحلة الانتخابات الأمريكية ·

وقد تناهى الى سمع الادارة الأمريكية بأن حلفاءها استجابوا لهذه الرغبة · حدث هذا فى اجتماع جرى على أعلى مستوى بين الحلفاء فى حلف الناتو NATO

● **ثالثا** : ومن بين هذه الحقائق أن المسئولين الأمريكيين كانوا يرغبون فى تحجيم الجدل الانجليزى ـ الفرنسى ـ المصرى ازاء مشكلة القناة ، وأن تكون هذه المشكلة الحادة بعيدة عن النزاع الاسرائيلى ـ العربى ، والخوف الشديد من أن تسعى كل من انجلترا وفرنسا باشراك اسرائيل فى عمل عسكرى حلا لمشكلتهم ، فان الأمر فى هذه الحالة يساعد على تفاقم المشكلة فى أمريكا قبل اجراء الانتخابات ·

● **رابعا** : ان حلفاء أمريكا اعتبروا أن المصالح الأمريكية كانت أقل تأثرا بالقرار المصرى الخاص بتأميم شركة القناة وما يهمها أن القناة مستمرة فى أدء مهمتها ، وأن مصلحة أمريكا فى شركة القناة أمر لا يكاد يذكر ، وهذه الحقيقة أشار اليها دلاس وزير خارجية أمريكا بنفسه »(٢٣) ·

والولايات المتحدة الأمريكية لا تعتبر هذا الأمر ذا قيمة تذكر حتى لو كانت موقعة على معاهدة القسطنطينية عام ١٨٨٨ الخاصة بتنظيم الملاحة العالمية فى قناة السويس ·

واذا كانت القناة تختصر المسافة من الخليج العربى الى أوربا ـ مقارنة بطريق رأس الرجاء الصالح ـ الى ½ المسافة ، فانها تكون قد قطعت ٢/٥ المسافة الى أمريكا فقط، ومن الملاحظ أنه فى عام ١٩٥٦ كان اعتماد أمريكا على بترول الخليج أمرا ليس له قيمة تذكر(٢٤) ·

لكل هذه الدوافع والأسباب فان الولايات المتحدة الأمريكية لم تندهش كثيرا لقرار تأميم قناة السويس ،بل لم يكن هناك رد فعل مثلما حدث لحلفائها ، وبالاشارة الى كلمات الرئيس ايزنهاور ووزير خارجيته دلاس فى ٢٨ اغسطس ١٩٥٦ « بأن الولايات المتحدة الأمريكية لا تهمها قناة السويس فى قليل أو كثير »(٢٥)(*) .

ومن أهم الاعتبارات بالنسبة للمسئولين الأمريكيين هو دراسة مدى التشابه بين قناة السويس وقناة بنما Panama (٢٦) . والحقيقة الأكيدة هى الاهتمام البالغ بفرض السيادة ، والتى اثارت الاهتمام العالمى ، أما بالنسبة للحالة الأخرى ، فان هناك تساؤلا ، عما اذا كان التواجد الأمريكى بقناة بنما يعتبر نوعا من الاستعمار ؟ ولهذا فان أى اقتراح بالنسبة لحل مشكلة قناة السويس فيتبادر الى الذهن فورا علاقتنا بقناة بنما ، وهل ستنجح مصر فى اختطاف Seizing شركة قناة السويس ؟ وهذا العمل لربما يدفع حكومة بنما أن تقوم بنفس العمل ، وهل مصر سوف تقبل تدويل شركة قناة السويس ؟

وهذا بالتالى سوف يوحى الى حكومة بنما أن تطالب بهذه الخطوة المماثلة وزيادة على ذلك اذا ما اعتبرت فكرة تدويل شركة القناة أمرا خطيرا بالنسبة لمصر أو بنما ، فان السماح للاتحاد السوفيتى بالمشاركة فى هذا الأمر ، مسألة لا يمكن قبولها .

وهناك دوافع اخرى ، وهى خوف المسئولين الأمريكيين ، وخشيتهم من تاثير سياستهم على الراى العام العالمى ، خاصة على

(*) The united state is not dependent to any appreciable degree at all upon the Suez Canal.

دول كتلة الشعوب الأفريقية الآسيوية ، فان الولايات المتحدة سوف تقر وتوافق على ما سوف يقدم عليه حلفاؤها فى الناتو NATO بتوجيه ضربة عسكرية قوية ضد مصر ، وهذا سوف يظهر القوى الغربية بمثابة عقبة أمام دولة صغرى مثل مصر . وكثيرون سوف يصدقون بأن الاتحاد السوفيتى سوف يسارع بالتصدى للغرب دفاعا عن مصر . ومن هنا سوف يتساءل السياسيون الأمريكيون ، ما هو العمل الممكن اتخاذه ولا يكون لصالح ناصر ويضفى عليه وضعا استراتيجيا ، وكبطل استطاع أن يتصدى لعدوان استعمارى ، وليس كما تتصور كل من انجلترا وفرنسا بأنهما تسعيان الى اضعافه والقضاء عليه شخصيا(٢٧) .

ولذلك فان المسئولين الأمريكيين لا يرون ضرورة الموافقة على خطة انجلترا وفرنسا ، بل انهم يميلون الى تسوية المشكلة بشكل سلمى(٢٨) واذا ما شعروا بأن الحكومة الأمريكية لا تميل الى استخدام القوة ، ففى هذه الحالة سوف يكون مصير خطة انجلترا وفرنسا هو الفشل الذريع ، وبالاضافة الى ذلك فان استخدام القوة ضد مصر ، فان مثل هذا العمل يبطل ادعاء امريكا بأن المنطقة بالخطر من قبل الاتحاد السوفيتى .

لقد كان دلاس وزير الخارجية الأمريكية يرفض بشدة استخدام القوة المسلحة ضد مصر على الرغم من القرار الذى اتخذه بسحب الموافقة على انشاء مشروع السد العالى ، رافضا بذلك الابتزاز المصرى(٢٩) .

كل هذه الدوافع السابق عرضها توضح بجلاء ، لماذا كانت الولايات المتحدة تمتنع تماما من اتخاذ موقف حاسم متشدد ضد استخدام القوة المسلحة ؟ ولكن هذا الموقف المتذبذب حط من مكانة

أمريكا اذا ما أقدمت انجلترا وفرنسا على استخدام القوة المسلحة ضد مصر كما كان هذا الموقف الأمريكى المتحفظ يزيد من غموض موقف الحكومة الأمريكية ، ويترك المجال فسيحا أمام هؤلاء الذين يتشدقون بحتمية استخدام القوة المسلحة بأن يمضوا فى تحقيق احلامهم حتى النهاية ٠

وبرغم توافر العديد من الدوافع والحقائق التى كانت أمـام المسئولين الأمريكيين كان فى امكانهم انتهاج سياسة وموقف أفضل من هذا لكى تبدو سياسة أمريكا أكثر وضوحا وتماسكا . وكما اعتادت أمريكا أن تتعامل مع دول الشرق الأوسط ، فان المسئولين الأمريكيين كانوا يلجأون الى اتخاذ سياسة أكثر عنفا وتشددا ازاء أى مشكلة تتعرض لها المنطقة ، ولكن فى هذا الوقت بالذات كان على أمريكا أن تلتزم بسياسة أكثر مرونة بحيث تساعدعلىتهدئةالموقف أو على أقل تقدير بعد أن تنتهى الانتخابات الأمريكية دون أن تتغاضى عن موقف مصر أو تتخلى عن حلفائها(٣٠) ولذلك اختارت أن تدعو الى عقد مؤتمر يجمع ما بين انجلترا وفرنسا ومصر على أمل عرض بعض وجهات النظر عليهم ٠

* * *

وخلال الأسابيع الأولى من الأزمة ، أدلت الحكومة الأمريكية ببعض التصريحات التى تؤكد معارضتها لسياسة ناصر بصفة عامة مؤيدة موقفها بتصريح أدلى به مسئول أمريكى يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٦ معلنا « يجب على أمريكا احتواء هـذه الأزمـة بالتعـاون مع حلفائها » ٠

وأعلن دلاس عن عقد مؤتمر لنـدن يوم ٢ أغسطس يحضره وزراء خارجية كل من انجلترا وفرنسا وأمريكا للتباحث والمحافظة

على مصالح بلادهم فى المنطقة • وهذا التصريح أزعج المسئولين المصريين والذى عدوه عمــلا عدوانيا بالتدخــل فى شئون مصـــر الداخلية وبالتالى يؤثر على حرية وأمن الملاحة بالقناة طبقا لما نصت عليه اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ والتى تؤكد تنظيم حرية الملاحة العالمية •

ووافقت أمريكا على أن تشارك فى مؤتمر عام « هيئة المنتفعين بالقناة »(*) لاتخاذ القرار المناسب فى هذا الشأن(٣١) •

وفى ذلك الوقت بدأت الولايات المتحــدة تغير موقفهـــا مع حلفائها والاعلان عن موقفها صراحة « ان شركة قناة السويس لم تكن شركة فرنسية ، ولا عالمية ، وبالتالى فان المسئولين الأمريكيين لم ينكروا حق مصــر الدولى والقانونى فى تأميــم شركة قنــــاة السويس » •

وهذا ما اعترف به مؤخرا الرئيس أيزنهاور اذ أعلن : « بأن مصر استردت حقها ، لأن شركة القناة ملكية خاصة بها »(٣٢) دون منازع بغض النظر عن مشكلة المؤسسين لها ، واستنكر أنتونى ايدن مثــل هــذا الرأى فى برقية بعث بها الى الرئيس أيزنهـــاور يوم ٢٧ يوليو « اننا لن نسمح لأنفسنا بأن نتورط فى مشكلة عالمية وتكون محل نقد من الآخرين »(٣٣) •

وكان دلاس وزير الخارجية الأمريكية يتساءل ، هل ســوف تلتزم مصر بتطبيق اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ بضمان حرية الملاحة ؟ وأعلن دلاس بأن ما يشغل بال الأمريكان الآن ما اذا كان تأميم شركة قناة السويس سوف يخل بهذه المعــاهدة ويؤثر على

(*) An International Conference of the Canal Users

امكانية تشغيلها ؟ وفى هذه الحالة فان المستفيدين ، والمستخدمين للقناة سوف يتدخلون بالقوة(٣٤) ٠

عقد الرئيس ايزنهاور مؤتمرا صحفيا فى مجلس الأمن القومى يوم ٩ أغسطس وجاء فى تصريحه : « اذا تمكن ناصـــر أن يثبت مقدرة مصر على ادارة القناة ، والتزام مصر بنصوص معـاهدة القسطنطينية عام ١٨٨٨ ففى هذه الحالة لا يمكن للولايات المتحدة أن تجد المبرر القانونى والشرعى لاستخدام القوة المسلحة من أجل ادارة القناة »(٣٥) ٠

وحرص دلاس وزير خارجية أمريكا أن ينسق موقف أمريكا مع حلفائها ـ انجلترا وفرنسا ـ على الرغم من الخلافات بينهم التى تبدو فى الخفاء ٠ ان الموقف العام يستدعى أن يأخذ فى الاعتبـــار تشغيل القناة بالدرجة الأولى تحت « ادارة لجنـــة دولية » بحيث تجد أى دولة التقدير الكامل فى استخدام القناة فى الملاحة ٠

عند هذا الحد من تطور الأحداث رأى الحلفـاء ـ انجلترا وفرنسا ـ الموافقة على وجهة نظر الولايات المتحدة فى الدعوة الى عقـد مؤتمر دولى لتأسيس « هيئـة المنتفعين بالقناة »(٣٦) كذلك وافقت أمريكا على وجهة نظر حلفائها بتجميد موقف مصر وكذلك شركة القناة(٣٧) ٠

وبناء على وجهة نظر الكونجرس الأمريكى فقد تعهد دلاس ان يلتزم بوجهة نظر حلفائه ، وهذه دبلوماسية تتفق تماما مع امريكا بهدف كسب الوقت لصالحها ليس الا ٠ وقد نسب الى دلاس تصريح ادلى به مساعد وزير الخارجية روبرت مارفى Robert Murphy جاء فيه : « رغم هذه الخيارات بهدف كسب الوقت ، الذى نأمل أن

نحققه ، فان الحكومات فى كل من انجلترا وفرنسا ومصر يجب أن يقدموا استقالاتهم ويشكلوا حكومات جديدة بهدف التوصل الى حل ازاء هذه القرارات الكثيرة والمتضاربة ، ويرغب دلاس ـ برغم هذا ـ أن يتوصل الى حل سلمى لهذه المشكلة »(٣٩) ٠

وفى الحقيقة فان انجلترا وفرنسا كانتا تهدفان أيضا الى كسب الوقت لاستكمال استعداداتهما العسكرية ، وكان مقدرا لذلك حوالى ستة أسابيع بالنسبة لبريطانيا ، ومن المحتمل وقت أطول من هذا بالنسبة لفرنسا ، التى ما تزال قواتها مبعثرة فى أراضى الجزائر(٤٠) ٠

وكان حرص دلاس شديدا على ايجاد حل للمشكلة بهدف أن يكسب مزيدا من الوقت حتى انتهاء الانتخابات الأمريكية ، وذلك قبل أن يهم الحلفاء بتنفيذ ما عزموا عليه ازاء مصر(٤١) ٠

وان كان من الطبيعى أن هذا الموقف الداعى الى استخدام السلاح قد نال استحسان معظم المستخدمين للقناة ، ولكن بالنسبة لأنتونى ايدن والمسئولين الأمريكيين أشاروا الى أن الرأى العام العالمى يتظاهر فقط بتاييدنا بالاستيلاء على قناة السويس ، ولذلك فان ايدن يسعى الى بذل كل المحاولات الممكنة لاستعادة قناة السويس مرة ثانية(٤٢) ٠

وكان كل من الرئيس أيزنهاور ووزير خارجيته بريان استخدام الضغط العسكرى على ناصر بحيث لا يؤدى الى مواجهة عسكرية مع صديقه الاتحاد السوفيتى خاصة بعد أن ثبت فشل مؤتمر لندن والذى لم تتوقعه أمريكا(٤٣) ٠

وقد فهم المسئولون الانجليز من هـذا التصريح الأمريكى بأن المسئولين الأمريكيين يؤيدون مسعاهم بالمضى فى خططهم العسكرية ضد مصر اذا ما ثبت فشل كل الجهود المبذولة لحل المشكلة سلما ·

وأعلن أنتونى ايدن بأنه يعتمد على موقف أمريكا الذى أكده وزير خارجيتها فى اجتماع بينهمـا فى لنـدن مما حـدا بدلاس أن يعلن بقوله : « بأنه لابد من ايجاد وسيلة لاجبار ناصر على ترجيع ما ابتلعه »(*) ·

وصرح أنتونى ايدن محـاولا تفسـير تصـريح دلاس وزير الخارجية الأمريكية والذى أدلى به من قبل : « ان هذه العبارات تناهت الى سمعى منذ شهور مضت ، وعلى الرغم من هذا التصريح فان الولايات المتحدة الأمريكية على كل المستويات تؤيد استخدام القوة المسلحة ضد مصر ·

وقد أكد أنتونى ايدن بقوله : « بأن دلاس قد لفت نظره بأن انجلترا تعتمد على الولايات المتحدة اذا ما أصبح استخدام العمل العسكرى أمرا لا مناص منه(٤٥) ·

(★) A way had to be found to make Nasser disgorge what he was attempting to swallow

ولمزيد من التفصيل راجع ارسكين تشايلدرز ص ١٩٧ ترجمة خيرى حماد ، وجاء فيه : « هناك الكثير من الأدلة والحقائق التى تؤكد أن أنتونى ايدن ، وجى موليه منذ بداية أزمة السويس وزملاءهما كانوا يعتزمون منذ البداية أن يحققوا عن طريق القوة العسكرية هدفهم الاطاحة بناصر ، وأن هذا هو الهدف الحقيقى قبل السعى لحل مشكلة قناة السويس ·

(المترجم)

(٤٥) ...... that Britan Could Count on the U.S. if force became nessary as a last restort.

ومن الملاحظ أن أنتونى ايدن حرص على استخدام نفس الكلمات التى تحدث بها دلاس فى هذا الموقف لكى يؤكد موقفه تماما ، ولهذا فهو يعـارض تماما تضارب تصريحات المسـئولين الأمريكيين الآن حول استخدام العمل العسكرى ، ولكن يبدو أن دلاس أراد أن يمسك العصا من الوسط بأن الولايات المتحدة من المحتمل أن تقبل استخدام العمل العسكرى ولكن بشروط معينة لكى يجبر أنتونى ايدن لكى يوافق على فكرة عقد المؤتمر العالمى بهدف كسب مزيـد من الوقت حتى الانتهاء من الانتخابات الأمريكية ٠

وكان أنتونى ايدن يسعى الى فهم حقيقة الموقف الأمريكى من خلال التصريحات المتناقضة التى أدلى بها رجال السياسة الأمريكية ، اذ انتهجت أمريكا فى هذا الوقت سياسة معلنة كانت على النقيض من سياستها غير المعلنة .

اتسـمت تصريحـات المسـئولين الأمريكيين بالغموض خلال المرحلة الأولى من الأزمة ، فقد نجح دلاس فى تحديد معنى استخدام القوة المسلحة بهدف كسب مزيد من الوقت الذى هو فى أشـد الحاجة اليه ، وبهذا توافر العديد من الفرص خلال الاهتمام بالأزمة تماما كما صرح هو بنفسه بقوله : « مزيدا من كسب الوقت ٠٠ مزيدا من كسب الرأى العام ليكون أمامهم مجال للاختيار »(٤٦) ٠

كما وجه دلاس وزير الخارجية الأمريكية تحذيرا شديد اللهجة الى ناصر ، يحذره من مغبـة ادارة القنـاة بغير كفـاءة مناسبة أو بأسلوب عشوائى أو بطريقة استبدادية ٠

وقصارى القول فان الغموض الذى اتسـمت به السياسـة الأمريكية خلال المرحلـة الأولى من الأزمة ، خدمت الغرض الذى تسعى اليه حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وتروم الى تحقيقه ،

اذ أمكن السيطرة على كل الأطراف المعنية بالمشكلة وفق منهج السياسة الأمريكية ·

ولكن المصريين الذين يرقبون هذه السياسة الأمريكية أدركوا أن مثل هذا الأسلوب المتناقض يؤدى فى النهاية الى فقدان السيطرة على المشكلة برمتها(٤٧) ·

وانعقد مؤتمر لندن الأول فى ١٦ أغسطس ١٩٥٦ مصحوبا بالاعلان ، بأن أعضاء مؤتمر المنتفعين بالقناة يودون التوصل لاتفاق فيما بينهم « الى أسلوب ادارة القناة بواسطة هؤلاء المنتفعين بها » مع الضغط على الدولة ـ مصر ـ التى تفرض نفوذها على القناة ·

وبالنسبة للولايات المتحدة ، فانها كانت ترى أن الهدف من هذا المؤتمر هو تحديد قرار التأميم ، وان كان هذا يحد من استقلالية مصر بالشركة · وبالاضافة الى هذا فان تبادل مثل هذه التصريحات يتيح للمسئولين الأمريكيين الفرصة لكسب مزيد من الوقت ، كما أن هذا الاقتراح الذى ستتقدمه مجموعة الدول المنتفعة بالقناة سيزيد من قوة الضغط على ناصر وسياسته ازاء هذه الأزمة ·

وعلى الرغم من هذا ، فان القرار الذى أعلنته الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وانجلترا والقاضى بتشكيل لجنة اختارها المؤتمر طبقا لنصوص معاهدة القسطنطينية عام ١٨٨٨ ، وان هذه المعاهدة كانت بمثابة معاهدة دولية لا تقبل المناقشة · وحضر هذا المؤتمر ٢٤ دولة من الدول الموقعة على المعاهدة ، ومن بينهم دول مستخدمة للقناة فقط ·

وأعلن ناصر رفضه لدعوة مصر للاشتراك فى هذا المؤتمر للاعتبارات التالية : « ان الحكومة المصرية قد فوجئت بأن بريطانيا

صممت على الدعوة لعقد مؤتمر بهدف مناقشة مشكلة قناة السويس التى تعد جزءا لا يتجزأ من مصر وذلك دون أن تستشير الحكومة المصرية التى لها كل الحق فى قناة السويس وأن الحكومة البريطانية قررت بمفردها توجيه الدعوة الى ٤٥ دولة منتفعـــة بالقنـــاة فى عام ١٩٥٥ ، ولهذا فان الحكومة المصرية تقر وتعترف بأن هـــذا المؤتمر ، والظروف التى أحاطت به لا توضع فى الاعتبار ، اذ كان من المفروض أن مصر هى التى تتخذ القرار فى مثل هذا الشأن » ٠

واقترح ناصـــر بأن مصر تنضـــم الى كل الدول الموقعة على معاهدة القسطنطينية عام ١٨٨٨ ، ولابد أن تشمل الولايات المتحدة كدولة داعية الى عقد المؤتمر ، وتوجيه الدعوة باســـمهم الى كل الدول المستخدمة للقناة ، ويكون الهدف من عقد المؤتمر هو التوقيع على معاهـــدة جديدة تتضـــمن التأكيد على حرية الملاحـــة فى القناة »(٥٠) ٠

والمعاهدة التى اقترحها ناصر سوف تتضمن على أقل تقدير الخطوط الرئيسية التى تتيح حرية الملاحة ، كما أشار دلاس بنفسه باصرار « على أنه يجب على مصر أن تضع هذا فى الاعتبار » ٠

أما فيما يتعلق بمسألة السيادة فان ناصر اقترح بما يتفق مع وجهة النظر الأمريكية حول هذا الموضوع « وان كانت أمريكا تضع فى الاعتبار حق مصر فى تأميم شركة قناة السويس بهدف خدمة الاقتصاد القومى » ٠

وبرغم هذا التطابق فى وجهات النظـــر فـــان الولايات المتحدة الأمريكية انحـــازت الى كل من انجلترا وفرنسا فى رفضهما لكل من وجهتى النظر هذه أو وضعهما فى الاعتبار على أقل تقدير استخدام مصر لحقها الطبيعى وهـــذا أمر يعزز الاستنتاج بأن هـــذه الدول

لا تعمل الا بهدف المحافظة على مصالحها ، ومن هنا يكون حل هذه المشكلة على ضوء هذه الحقيقة ٠

وباعتبار أن وزير خارجية أمريكا سيكون له وضع ممتاز فى مؤتمر لندن ، ومن هنا يكون لاقتراحاته الدعامة الأولى فى صياغة القرار الذى يقضى بوضع حل للمشكلة بناء على المناقشات التى جرت يوم ٢٣ أغسطس ١٩٥٦ بواسطة ١٨ دولة ، ولكن للأسف فان هذه الدول دعت الى تدويل ادارة شركة القناة بحيث يمنحون مصر حق السيادة على القناة فى نفس الوقت ٠

وتشكلت لجنة من خمسة أعضاء (استراليا والحبشة وايران والسويد والولايات المتحدة الأمريكية) بحيث تنتقل هذه اللجنة فورا الى القاهرة لعرض هذا الاقتراح على ناصر لمناقشة هذا الحل معه(٥١) ٠

وأخيرا لكى تظهر هذه الاقتراحات الى حيز الوجود ، فقد كان دلاس يحرص فى نفس الوقت على أن يظل الحلفاء تحت السيطرة أمريكا ، أكثر من اهتمامه بالاقتراحات التى حملتها اللجنة الخماسية الخاصة بتدويل شركة قناة السويس ، ونتيجة لتناقض وجهات النظر بين دلاس وايزنهاور أثناء انعقاد المؤتمر فان الرئيس ايزنهاور أشار بأن ناصر لا يمكن له قبول مثل هذه المقترحات التى أقرها مؤتمر لندن ٠ ان الرئيس أيزنهاور كان يخشى من أن ناصر لا يدرك تماما مضمون تصريحه الذى أدلى به يوم ١٢ أغسطس والذى يؤكد « بأن هذا النظام المقترح ما هو الا بمثابة هيئة المنتفعين المستعمرين »(٥٢)(*) ٠

(*) « ...... that the system under consideration amounted to a form of «Collective Colonialism».

وفى برقية لدلاس يوم ١٩ أغسطس متضمنة اقتـراح الرئيس أيزنهاور الذى كان متأثرا باقتراح الهنـد المتضـمن التركيز على مصالح هيئة المنتفعين بالقناة ، أكثر من الاهتمام بادارة القناة فان هذا حل يكون أكثر قبولا ، وأن وجهة النظر الهندية هذه كانت بناء على دعم كل من الاتحاد السوفيتى وأندونيسيا وسيلان(٥٣) ٠

ورد دلاس فى اليوم التالى مؤكدا أهميـة موافقـة انجلترا وفرنسا وان كان يخفى هدفه الحقيقى لمثل هذا الاقتراح بقوله « اننى لا أدرى ما يجب علينا أن نفعله ـ كحل أخير ـ من أجل أن نفوز بتعاون مصر وكسب ودها »(٥٤) ٠

وفجأة وبدون مقدمات بدأت مرحلة من المفاوضات بين انجلترا وفرنسا ، وبدأ دلاس يحاول أن يضعف من شأن هذا المؤتمر قبل أن ينعقد ، فصرح يوم ٦ أغسطس : بأن مصير هذا المؤتمر الفشل والذى يتركز حول مسألة تدويل ادارة القناة بينمـا كانت أمريكا تهتـم بالدرجة الأولى بالنتائج الاقتصادية التى سوف تتأثر بها مصر ، ونؤثر بالتالى على مسألة تسليح الجيش(٥٥) ٠

وبهذه الطريقة أوضح دلاس مدى القلق الذى سوف يسببه لحلفائه حتى تظل مسألة اسـتخدام القـوة المسلحة كآخر ما فى جعبتهم من محاولات فى حالة رفض ناصر قرارات مؤتمر لندن ٠٠ هذا الوضع سيكون الصخرة التى تتحطم عليها كل المحاولات بهدف التوصل الى حل ٠

وبذا يكون من الواضح أمام دلاس عندما يقرر أن ينسحب من الموقف اذ كان يرى بأن هذه القرارات لا يمكن أن تفرض فرضا على مصر الرافضة منذ البداية ، ومن هنا ستكون هذه القرارات بمثابة انذار موجه الى مصر(٥٦) ٠

ولذلك فان معارضة دلاس كانت تعطى انطباعا بأن قوى الغرب قد اتحدت معا ضد مصر ، ورغم هذا فانه يرفض استخدام القوة العسكرية ضد مصر ويرفض كذلك مشاركة لجنة الدول الخمس المرسلة الى القاهرة من قبل مؤتمر لندن(٥٧) ، وان كان اشتراك لوى هندرسون Loy Henderson فى هذه اللجنة نيابة عن دلاس ، وكان يرأس هذه اللجنة رئيس وزراء استراليا روبرت منزيس Robert Menzies

* * *

وفى يوم سفر اللجنة الخماسية الى القاهرة أول سبتمبر ١٩٥٦ عمد الرئيس ايزنهاور ووزير خارجيته الى عقد مؤتمر صحفى بهدف احباط أى محاولة قد تحدث من قبل انجلترا وفرنسا ، ويهدفان بأن مقترحات المؤتمر هذه ليست المحاولة الأخيرة المقدمة الى مصر ٠

وعلى ضوء هذا التصور أعلن الرئيس ايزنهاور فى ٣٠ أغسطس مايلى : ـ « بالنسبة لنا نحن مصممون على بذل أقصى الجهود الممكنة بهدف التوصل الى تسوية سلمية مناسبة ٠٠٠ واننى متفائل بأن مثل هذا الاقتراح سوف تقبله كل الأطراف ، وبالرغم من كل الصعوبات التى تواجهنا ، فقد تعهدنا بتسوية هذه الأزمة سلما ولاشىء غير ذلك »(٥٨) ٠

وكان دلاس أدلى بتصريح فى مؤتمر صحفى قبل ذلك بأيام قليلة بانه يضع أزمة قناة السويس فى المقام الثانى من اهتمامه بقوله : « والآن فان مسألة تشغيل قناة السويس لاتنال اهتمام الولايات المتحدة بالدرجة الأولى ، لأننا لا نعول كثيرا على استخدام قناة السويس فى الوقت الراهن »(٥٩) ٠

وعقدت بعثة منزيس فى القاهرة عدة اجتماعات خطيرة مع ناصر خلال المدة من ٣ ـ ٩ سبتمبر ١٩٥٦ وبالنسبة لوجهة نظر منزيس « بأن هذه البعثة لاتستطيع اقناع مصر بما تحمل من اقتراحات أو التعهد بادارة الملاحة فى القناة كحل لهذه المشكلة فمثل هذه المقترحات من الصعب على مصر أن تقبلها » ٠

وبالنسبة لنقطة الضعف التى تؤخذ على سلوك وتصرفات منزيس ـ كما جاء ذلك فى وصف محمد حسنين هيكل ـ فان المباحثات انهارت عندما بدر من منزيس نوع من التهديد بقوله :

«سيدى الرئيس ان رفضك لتدويل ادارة القناة يعد بداية المتاعب والاضطرابات »(٦٠) ٠

عندئذ رفض ناصر الاستمرار فى المباحثات أكثر من هذا وبالتالى انهارت هذه المباحثات تماما فى سبتمبر ، وعلى هذا غادرت اللجنة القاهرة فورا(٦١) ٠

وقال لوى هندرسون Loy Henderson بان واشنطون لاتود من اللجنة أن تستخدم أسلوب الضغط أو التهديد ، وقد سبق لى أن لفت نظر منزيس بالا يستخدم العنف فى تصريحاته ويلجأ الى المرونة فى المباحثات حتى لايكون سببا فى انهيار تلك المباحثات(٦٢)

وعلل منزيس Menzis فشل مهمته فى القاهرة نتيجة المؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس أيزنهاور فى يوم ٣٠ أغسطس(٦٣) حيث أن ناصر كان حذرا من تصريحات المسئولين الأمريكيين الذين يستبعدون استخدام القوة وطبقا لرواية محمد حسنين هيكل : بأن ناصر وجد كل تشجيع من تصريحات الرئيس ايزنهاور التى من هذا النوع ، ان هذا الرجل يحيرنى ٠٠ وهو الى

أى جانب منحاز ؟ ووافق هيكل منزيس فى تعليق مهمة البعثة ، وأنه توقع فشلها بسبب هذه التصريحات الأمريكية ·

ونظرا لفشل بعثة منزيس التى أصبح معروفا لدى الجميع فان المسئولين الأمريكيين منعوا حلفاءهم من استغلال فشل البعثة كجرس انذار معتبرين أن مصر رفضت المقترحات المقدمة من مؤتمر لندن فى سبتمبر ، ولاحظ دلاس باهتمام شديد بأن هيئة المنتفعين بالقناة سوف يستمرون فى اصرارهم مستندين على ميثاق الأمم المتحدة(٦٥) ·

وفى اليوم التالى أعلنت شركة قناة السويس المنحلة أنها «سوف تسحب المرشدين الانجليز والفرنسيين اعتبارا من يوم ١٥ سبتمبر »(٦٦) عندئذ كانت انجلترا وفرنسا تستعدان لاستخدام القوة فى حالة فشل مصر فى ادارة القناة ·

ورد الرئيس ايزنهاور مؤكدا بأن الامريكان يستنكرون استخدام القوة مهما كانت الدوافع لذلك بقوله : « بأن هذه الدولة ـ أمريكا ـ لن تشارك فى مثل هذا العمل مالم يتم استدعاء الكونجرس لمناقشة مسألة الحرب هذه · نحن أنشأنا الأمم المتحدة من أجل التصدى للعدوان ولن أكون طرفا فى مثل هذا العدوان اذا ما أمكن تفاديه أو اذا ما نشب قبل أن أهم بمنعه(٦٧) ·

وأكد فى مؤتمره الصحفى هذا بأن الولايات المتحدة سوف تراقب الأعمال العسكرية العدوانية التى قد تحدث من قبل حلفائها ، وكانت أمريكا هى الدولة الوحيدة من دول حلف الأطلنطى التى بعثت بوزير خارجيتها فى ١٩٥٦/٩/٥ لحضور اجتماع فى باريس لمناقشة أزمة السويس ، وكانت أمريكا حريصة أن تراقب عن كثب الأعمال

العدوانية التى قد تحدث من قبل حلفائها - انجلترا وفرنسا - ضد مصر(٦٨) .

توقع انتونى ايدن فشل بعثة منزيس فى القاهرة قبل أن تغادرها واعلن لوى هندرسون - مندوب أمريكا - بأن انتونى ايدن اخبره « بأنه يفضل أن يرى الامبراطورية البريطانية تعلن الحرب افضل من ان تظل هكذا تنتظر حتفها ونهايتها »(٦٩)(*) .

* * *

اخبر انتونى ايدن المسئولين الأمريكيين عن رغبـــة انجلترا وفرنسا بعرض مشكلة قناة السويس على هيئة الأمم المتحدة وكان هدف ايدن - من هذا الاقتراح - كشف الغموض الذى احاط بالسياسة الأمريكية فى ذلك الوقت . وان كان من المعروف مسبقا أنقرار الفيتو السوفيتى سيكون عقبة امام أى مشروع فرنسى أو انجليزى يعرض على مجلس الأمن .

وبذلك لايمكن للمجلس ان يتخذ قرارا حاسما فى هذه المشكلة وان كانت انجلترا وفرنسا مصممتين على تنفيذ ما عقدتا العزم عليه تحت مظلة الامم المتحدة ، وبعد استنفاذ كل الجهود .

واستغل دلاس هذه الفرصة لكسب مزيد من الوقت ، وسارع بتقديم اقتراح بأن تتعهد الدول المنتفعة بالقناة بادارة القناة اثنـــاء عبور سفنهم مع بقاء السيادة المصرية على القنـــاة ، وبذلك يمكن تشغيل القناة وادارتها دون تعطيل .

وحدث انقسام فى الراى بين انجلترا وفرنسا حول الاستعانة

(*)« ...... I would prefer ...... to see the British Empire go down fighing, that to sit quietly by and watch us disintegrate».

بالأمم المتحدة لرفض الاقتراح الأمريكى الجـــديد(٧٢) ولكن ازاء الضغط الأمريكى يوم ١٠/٩/١٩٥٦ خضعت انجلترا لوجهة نظـر امريكا نظرا لحاجة انجلترا الماسة للاعتمادات المالية الأمريكيـة فى ذلك الوقت(٧٣) ٠

وبمجرد أن قبل الحلفاء ـ انجلترا وفرنسا ـ المشروع الأمريكى المعدل فان الادارة الأمريكية بدأت تبدد أى فكرة عن استخدام القوة لاجبار مصر للخضوع لهذا الاقتراح ـ وفى ١٣ سبتمبر عقد دلاس مؤتمرا صحفيا وصف فيه الاقتراح الجديد بأنه بمثـــابة « تامين لعواقب الأمور » ، وكرد على موقف مصر الرافض لفكرة هيئـــة المنتفعين ٠ كما أن هذه الهيئة رفضت استعمال القناة فى ظل السيادة المصرية ،

واكد دلاس بقوله : « نحن لانقصد بأن نعبر القناة بالقوة مالم نتاكد من كل دولة ماذا هى فاعلة لكى تدافع عن حقها ، وان أمكن أن تتسامح فى حقها الذى تعتقد انه بمثابة معاهدة لامناص منها(٧٤) ومرة أخرى اكد دلاس انه يهدف بتقديم اقتراحه الثانى ، لكسب مزيد من الوقت وحتى الانتهاء من الانتخابات الأمريكية(٧٥) ٠

وكان دلاس لديه احساس بأن ناصر سوف يرفض بشدة التعاون مع هيئة المنتفعين ، مالم يجبر ـ ناصر ـ على قبـــول ذلك ٠ ومن الصعب على المسئولين الأمريكيين أن يقوموا بهذه المهمـــة فـــان المشروع الجديد كان يهدف تفادى أى تأثير سىء ، وهذه الاشـــارة لقيت ترحيبا من قبل مساعد سكرتير الامم المتحدة روبرت مارفـــى Rober Murphy الذى اكد : ـ اذا لم يعترف جون فوستر دلاس بامكانية ادارة القناة بواسطة هيئة المنتفعين فانى لست مسئولا عنها(٧٦) ٠

واعلن ناصر يوم ١٥ سبتمبر رفض مصر القاطع للتعاون مع

هيئة المنتفعين بقوله : « اننا لن نسمح بما يدعيه الغرب بهيئة المنتفعين بالقناة بالمرور عبرها ، ونحن المصريين قادرون على ادارة القناة بكفاءة عالية ، وعلى هؤلاء المنتفعين عدم المرور بالقناة ، والا سوف نعتبر ذلك عملا عدوانيا ، واننا سوف نقاومه بكل ضراوة ٠

واذا ماقدر للمرشدين الانجليز والفرنسيين الانسحاب فان مصر تتعهد بأنها سوف تدير القناة بكفاءة عالية ، واضعة فى اعتبارها نصوص معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨ »(٧٧) ومن ثم فقد اصبح من المؤكد أن المشكلة الرئيسية أمام انجلترا وفرنسا هى ناصر وليس قناة السويس ٠

وكانت المرحلة الثانية هى انعقاد مؤتمر لندن الثانى لبحث أزمة السويس فى يوم ١٩ سبتمبر لمناقشة الاقتراح الخاص بهيئة المنتفعين بالقناة استنادا الى موافقة ١٨ دولة من الدول المنتفعة بالقناة ، والآن تباعدت وجهات النظر بين الأمريكيين المنوطين بهذه المشكلة وبين حلفائهم بشأن حرية الملاحة فى القناة ٠

وكانت ثمة محاولة أخيرة كان الأمريكيون يعارضونها بشدة وهى اجبار سفنهم بدفع الرسوم المقررة لهيئة المنتفعين بدلا من دفعها لمصر ، خاصة وأن دلاس كان يرغب فى تجنب تصدى مصر بمنع السفن التى لاتدفع لها الرسوم المقررة ، ومن المحتمل ان مثل هذا الحادث يتيح الفرصة لدولتى انجلترا وفرنسا لتحطيم ناصر Smash Nasser

واخيرا فان الادارة الأمريكية وافقت على أن تدفع رسوم العبور عن السفن الأمريكية لمصر ، ولكن الادارة الأمريكية اعلنت بأن تطبق هذا القانون على السفن الأمريكية التى ترفع العلم

الأجنبى(٧٩) ، مع التأكيد بأن السفن الأمريكية العابرة للقناة لم تتوقف عن دفع الرسوم المقررة لمصر دون أدنى تأخير(٨٠) ٠

ووافق المسئولون الأمريكيون على استمرار المرشدين الأمريكيين العاملين بالقناة فى أداء عملهم مع السلطات المصرية(٨١) ٠

وفى هذه الأثناء ظهر خلاف آخر ، اذ كانت أمريكا ترى اجبار هيئة المنتفعين بالقناة بالخضوع للسلطات المصرية ، بينما الحلفاء ـ الانجليز والفرنسيين ـ يرون العكس ٠ وكانت هناك بعض الاعتبارات السياسية التى تحيط بكلا الاقتراحين ، وهذا ما أكده دلاس فى مؤتمره الصحفى يوم ٢ أكتوبر ١٩٥٦ بقوله ! « ان الولايات المتحدة كانت تتوقع بالا يطابق اقتراحها وجهة نظر القوى الاستعمارية الذين يشكلون هيئة المنتفعين بالقناة ، لانهم كانوا يتوقعون الحصول على استقلالهم بادارة القناة وبدون أية قيود ٠

كما أكد دلاس كذلك ٠ ان الخلاف فى الاقتراح الذى قدمته دول هيئة المنتفعين ، بانهم كانوا ينظرون الى الاحداث بعقلية استعمارية ، ومن هنا كان لزاما على الولايات المتحدة أن تنتهج سياسة مرنة بعيدة عن موقفهم المتشدد »(٨٢) ٠

وتعليقا على تشكيل هيئة المنتفعين بالقناة ، فقد أعلن دلاس بقوله : « بأنه يوجد حديث خفى عن خطة ما ٠٠٠ ولكنى أدرك يقينا بأنها عديمة الجدوى »(٨٣) ٠ واعتبر دلاس بأن أزمة القناة على جانب كبير من الأهمية ، مشيرا بذلك الى اهمية رأى دول العالم الثالث وهذا بالتالى يضعف من دوافع استخدام القوة المسلحة فى علاقاتهم بالدول التى تستخدم القناة ، ولهذا فيجب على حلفاء أمريكا الإلتزام بسياسة ضبط النفس والميل الى الحكمة والعقل(٨٤) ٠

ان الموقف الأمريكى متطابق تماما مع موقف مصر ، باعتبار أن الحكومتين ترفضان فكرة ادارة قناة السويس بواسطة هيئة المنتفعين وكان انتونى ايدن قلقا للغاية ومحبطا نفسيا من ضياع الوقت سدى ، ويدرك بأن الأمريكان نسفوا خطتهم ، ومن ثم فلم يكن أمامهم أى خيار باستخدام القوة ، وأن يترك الأمر لناصر بكل حـــرية ليفوز بغنيمته ٠

وعقب انتهاء المؤتمر ، قررت انجلترا وفرنسا التصدى لمعارضة أمريكا ، وقـــرر المضى فى عرض المشــكلة على الأمم المتحـــدة ، لأن اقتراحهما يعنى تدويل أزمة قناة السويس ، قبل اصطدامهما بالفيتو السوفيتى فى ١٣ اكتوبر ١٩٥٦(٨٦) ٠

وكانت الادارة الأمريكية مدركة تماما خطورة الموقف وما يسفر عنه نتيجة للجهود المبذولة وحرصـــها على تحقيق الســـلام بين الحكومات : المصرية والانجليزية والفرنسية من خلال مناقشة الأزمة فى أروقة ســــكرتارية الأمم المتحدة(٨٧) برئاسة همرشــــلد Hammarskjold وعلى الرغم من عام الادارة الأمـــريكية بالاستعدادات العسكرية الانجليزية والفرنســية والاسرائيلية ، فان دلاس وزير الخارجية أعلن بانه متفائل تماما بعدم حدوث أى عمل عسكرى قبل اجراء الانتخابات الأمريكية فى نوفمبر (٨٨) ٠

ان موقف الادارة الأمريكية من أزمة قناة السويس يهدف الى تحقيق واقرار السلام Waging peace وتتلخص جهود دلاس فى ست مراحل هى : ـ

١ ـ زيارته الأولى الى لندن ٠

٢ ـ حضوره مؤتمر لندن الأول

٣ ـ بعثة منزيس الى القاهرة

٤ ـ مؤتمر لندن الثانى ·

٥ ـ عرض القضية على مجلس الأمن

٦ ـ المحادثات الخاصة وغير المباشرة مع مصر وانجلترا وفرنسا ·

وهو يرى بعد المحاولات الست السابقة ان يقوم بمحاولة اخرى لتكون في قائمة المحاولات غير المباشرة ، فبدلا من الاستماع بشكل مباشر لحلفائه فقد قرر الامساك عن هذا الأسلوب · ففى منتصف اكتوبر اوعز الى مساعده مارفى Murphy بالامساك نهائيا عن سماع اى شيء من الانجليز والفرنسيين لمدة اسبوعين لأنه يعلم تماما بكل ماسيقومون به(٨٩) ·

ولكن الملاحظ ان الأحداث كانت تجرى بسرعة خلال هذه الفترة ، مما جعل الموقف يفلت منه ويتجاوز سياسته(٩٠) ·

* * *

وخلال هذه الفترة كانت مصر حريصة على مكاسبها القانونية والشرعية فى قناة السويس برغم اعتراض بريطانيا وفرنسا · وتاكد ادى المسئولين الامريكيين بأن ناصر فى احتياج الى موقف امريكا الى جانبه لتهدئة مشاعر حلفائها ، والحد من التوتر الدولى ، وذلك برغم اعتماد مصر على الاتحاد السوفيتى ، ومجموعة الشعوب الأسيوية ـ الأفريقية فى دعم موقفها ومساندتها فى قرار تاميم شركة قناة السويس(٩١) ·

وفى نفس الوقت ان استعدادات انجلترا وفرنسا العسكرية امر لايمكن ان تتجاهله الادارة الأمريكية ، برغم محاولتها وجهودها

المكثفة بهدف التوصل الى وضع حل سلمى لأزمة قناة السويس بدلا من استخدام القوة المسلحة فى وقت تعلم فيه الادارة الامريكية بانها ماتزال تؤكد حرصها على استمرار فتح قناة السويس وحرية الملاحة العالمية بها ، كما كانت مصر تحاول أن تثبت مقدرتهـا على ادارة القناة بكفاءة عالية ٠

وفى ٣١ يوليو ١٩٥٦ أعلن ناصر مؤكدا « أن تأميم شركة قناة السـويس لن يخل بالتزامنا بمعـاهدة القسـطنطينية الموقعة فى ١٨٨٨ » وبالاضافة الى ذلك أعلنت الحكومة المصرية فى ١٦ أغسطس بأن موارد القناة سوف تستغل فى تطويرها وصيانتها »(٩٢) ٠

وحدثت عدة أعمال استفزازية حاولت مصر تجنبها ، كمثال لذلك فان الرعايا الأجانب فى مصر كانوا فى حماية الحكومة المصرية من غضب الشعب وتظاهره ضدهم ، كما ان المرشـدين البحريين اضطرتهم الحكومة المصرية بضرورة الاستمرار فى عملهـم حتى اشعار آخر منها ٠ كما أن السفن الأجنبية التى كانت تعبر القنـاة رفضت دفع الرسوم للسلطات المصرية بالقناة ، وبرغم هذا سمحت لهم بالمرور فى القناة(٩٣) ٠

وبالرغم من كل الجهود التى ماتزال تبذلها الحكومة الأمريكية ـ فى محاولة منها ـ لحل أزمة السويس حلا سلميا ، فـان الموقف مايزال غامضا أمام الحكومة المصـرية ، وفى ذلك الوقت أعلنـت الحكومة الأمريكية عدم رغبتها فى اتخـاذ خطـوة عسكرية ضـد مصر(٩٤) وفى نفس الوقت لاتستطيع أمريكا أن تبذل وعودا لحلفائها اكثر من هذا ، واخيرا اتضح جزء من سياسة أمريكا الغامضة تجاه مصر مما قلل من توتر الحكومة المصرية ٠

وبرغم هذا استمر موقف مصر المتشدد ضد السياسة الأمريكية خلال هذه الفترة ، مع أن السياسة الأمريكيـة خـلال هذه الفترة السابقة كان أمرا طارئا ٠

وكمثال لذلك فعشية رحيل بعثة منزيس من القاهرة صـرح ناصر للسفير ، الأمريكي في القاهرة معترفا له بأن الرئيس ايزنهاور يتحمل جزءا من عملية التهدئة التي صرح بها في مؤتمره الصحفي يوم ٣١ أغسطس ١٩٥٦ وكاد الموقف يتكرر مرة ثانيـة يـوم ١٣ سبتمبر حينما تلقى دلاس تحذيرا من سفير مصر في واشـنطون بأن موقف هيئة المنتفعين المتشدد يعني تهديدا بالحرب ، وقد أنكر دلاس ذلك ، وفي نفس اليوم فان الحكومة الامريكية كانت تـرى السماح لهيئة المنتفعين بأن تمر سفنهم في القناة بالقوة(٩٥) ٠

ولقد تنبهت مصر الى حقيقة موقف الحكومـة الامـريكية ومسئوليتها ، وانها تهدف الى اتاحة الفرصة أمام حلفائها للقيـام بغزوهم لمصر وايجاد الذريعة لذلك ، وكانت مصر لديهـا اعتقاد راسخ بأن الامم المتحدة ليست شريكة في هذا التحالف العدوانـي العسكرى المزمع القيام به على مصر ٠

وبعد ١٥ سبتمبر علمت مصر بأن استطلاع الطيران الامريكي فوق منطقة القناة دون أن يعترض المرشدين الانجليز والفرنسـيين على مثل هذا العمل العسكرى الأمريكي ، واضافة الى ذلك فـان الخلاف الظاهرى بين أمريكا وحلفائها هو المحافظة على تصـعيد الموقف بحيث يظل الموقف غامضا لدى المسئولين المصريين ٠ واستمر الموقف هكذا دون أن يتلقى المسئولون المصريون أى توضـيح من الادارة الأمريكية ٠

وهنا أيقنت مصر بضرورة الاعتماد على صداقتها للاتحاد السوفيتي وكتلة عدم الانحياز من الشعوب الأسيوية الأفريقية ، وعلى الرغم من كل هذا فان مصر على استعداد تام لمقاومة العدوان الانجليزى - الفرنسى المزمع القيام به على مصر(*) ٠

وفى اوائل أكتوبر ١٩٥٦ استكملت انجلترا وفرنسا استعداداتهما العسكرية تقريبا ، وبرغم هذا ظلت الاتصالات بين الولايات المتحدة ومصر مستمرة وأرسل أنتونى ناتنج Anthony Nutting تقريرا الى وزير خارجية مصر باستمرار المحادثات - بناء على نصيحة دلاس - مهما كان الثمن ، وبالاشارة الى رواية محمد حسنين هيكل : « بأن الولايات المتحدة الأمريكية حذرت المسئولين المصريين من تدهور صحة انتونى ايدن ، وحالات الصرع التى تنتابه ، وأشار دلاس بأنه يشعر بأن انتونى ايدن يعتزم القيام بعدوان عسكرى فى حالة فشل المفاوضات وعدم التوصل الى حل المشكلة ، ومن الافضل أن يتمسك ناصر بالحكمة وضبط النفس »(٩٦) ٠

وفى يوم ٥ أكتوبر اقترح محمود فوزى وزير خارجية مصر اجراء مفاوضات مباشرة مع انجلترا وفرنسا تحت مظلة الامم المتحدة(٩٧) وتحت الحاح الظروف قبلت مصر امكانية الاشراف

(★) ارسكين تشايلدرز : الطريق الى السويس - مترجم ص ١٩٦ ، جاء فيه : كان انتونى ايدن رجلا مريضا نفسيا يحمل اعباء امبراطورية مترامية الأطراف تواجه مشاكل عديدة فى قارات بعيدة ٠ كما كان ايدن عصبى المزاج شديد التفجر بالغ الحساسية الى درجة كبيرة ، وكان موقفه الشخصى من عبد الناصر كفرد متسلطا عليه ، لقد كانت أزمة قناة السويس حدا فاصلا فى العلاقات المصرية - البريطانية التى بدأت منذ الاحتلال الانجليزى فى عام ١٨٨٢ ٠

(المترجم)

الدولى على ادارة القناة بحيث يدرك المستنفيدون بالقناة بالثقة فى جدية المفاوضات المزمع اجراؤها(٩٨) ·

وقدمت مصر اقتراحات بحيث تكون محل محادثات بين محمود فوزى وزير خارجية مصر ، وبينو Pineau وزير خارجية فرنسا وسلوين لويد S. Lioyd وزير خارجية انجلترا فى أوائل شهر اكتوبر ، وبناء على هذا الاقتراح قبلت مصر ست نقاط أساسية لتشغيل القناة ·

١ ـ حرية الملاحة وفتح القناة دون تعصب أو محاباة ·

٢ ـ احترام ملكية مصر لقناة السويس ·

٣ ـ اتاحة الفرصة لتشغيل القناة بواسطة مرشدين من أى جنسية ·

٤ ـ الرسوم والضرائب المقرر دفعها تقدرها مصر وهيئة المنتفعين ·

٥ ـ يوضع فى الاعتبار تشغيل القناة بعد سحب المرشدين الذين يعملون بها الآن ·

٦ ـ أى نزاع قد ينشأ بين الأطراف يعرض للتحكيم الدولى(٩٩) ·

وبالرغم من كل هذا فان مصر ماتزال مصرة على عدم تمكين اسرائيل من حرية المرور بالقناة على اعتبار أنها لم تعترف بها كدولة ، ومنذ أن أقدمت مصر بتأميم شركة قناة السويس لم تتمكن سفن اسرائيل من عبور القناة ·

وقدمت انجلترا وفرنسا اقتراحا عرض على مجلس الأمن متضمنا « بأن مصر لم يكن لديها الكفاءة بادارة القناة بالشكل

المطلوب بناء على المقترحات التى قدمتها من ست نقاط » · كما أشارتا ـ انجلترا وفرنسا ـ بأن هذه المقترحات المصرية لاتزيد فى الأهمية من تلك المقترحات السابق تقديمها بواسطة بعثة منزيس Menzies والتى رفضها ناصر فى الحال ، وزيادة على ذلك فقد أصرت انجلترا وفرنسا على أن تعلن مصر موافقتها بالتعاون التام مع هيئة المنتفعين بالقناة بما فى ذلك دفع الرسوم المقررة(١٠٠) ·

وقدمت انجلترا وفرنسا اقتراحا الى مجلس الأمن يتضمن بأن تتولى الجمعية العامة للامم المتحدة من جديد مناقشة أزمة السويس بعد أن وصلت المفاوضات الى طريق مسدود · وفى ٨ اكتوبر صرح الاتحاد السوفيتى ، بأن مشروع القرار المقدم من انجلترا وفرنســا لمجلس الأمن يتضمن نفس الاقتراح المصرى(١٠١) ·

وقرر دلاس بنفسه بالتضامن مع الرئيس أيزنهاور بأن الملحق الذى قدم بواسطة الحلفاء يتضمن تعديلا بحيث يجعل الحل امـــرا مقبولا لمصر وبرغم هذا فقد جرت مباحثات تحت مظلة سكرتارية الأمم المتحدة برياسة داج همرشلد Hammarskjold على أن تبدأ مناقشة المشكلة يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦(١٠٢) ·

وفى ١٩ اكتوبر اقترح ناصر بانه مستعد لمناقشة أنتونى ايدن وجى موليه Mollet شخصيا ، وبالرغـــم من كل هذا فــان الحلفاء الانجليز والفرنسيين مازالوا مصرين على ضرورة التخلص نهائيا من ناصر ، ومن ثم فلا طائل من محاولات مصـــر لحــل الأزمة ·

❋ ❋ ❋

قامت اسرائيل على حين غرة بغزو سيناء فى مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، وفى نفس اليوم قامت انجلترا وفرنسا بدون استشارة حليفتهما أمريكا بتقديم انذار شديد اللجهة الى مصر واسـرائيل « يقضى بوقف اطلاق النار والانسحاب لمسافة عشرة أميال شـرقا وغربا عن شاطىء القناة خلال ٢٤ ساعة »(١٠٣) ٠

وفى ٣١ أكتوبر ـ من أجل حماية القناة ـ قـامت انجلترا وفرنسا بشن عدوان عسكرى ضد مصر وذلك بالتواطؤ مع اسرائيل فقد وجدوا الذريعة التى يمكن بها التعامل مباشرة مع ناصر(١٠٤) ٠

وعلى الرغم من الجهود السياسية والدبلوماسية التى بذلهـا المسئولون الأمريكيون خلال هذه الأزمة ، فقد صدمت أمريكا نتيجة لهذا(١٠٥) وأن الاخبار التى وردت الى أمريكا عن تعبئة اسرائيـل لقواتها وقيامها بهذا العدوان الغادر(١٠٦) برغم وصول تقرير من باريس يفيد بـأن توقيـت هذا العدوان قد تقرر عقـب الانتخـابات الأمريكية مباشرة(١٠٧) ٠

لقد قام حلفاء أمريكا بشن هذا العدوان العسكرى على مصر على حين غرة وبدون استشارة حليفتهم أمريكا ، واتخذوا قـرار عدوانهم بالتواطؤ مع اسرائيل قبل اجراء الانتخـابات الأمريكيـة بأسبوع واحد فقط(١٠٨) ٠

ولقد وصف آلن دلاس AllenAllen Dulles رئيس المخابرات الأمريكية وشقيق وزير الخارجية ، بخيبة أمل المسئولين الأمريكيين بقوله : ـ

« لقد أصبنا بصدمة شـديدة نتيجـة للعدوان الانجليزى ـ الفرنسى ، واننى أدرك أن شقيقى دلاس كان شديد الدهشة ومتوترا

لأبعد حد . وهذا التحالف الثلاثى قد تم اعداده سرا فى باريس ، ودون أن نعرف ماذا تم فى هذا المؤتمر بين دول العدوان الثلاثى(١٠٩) .

وكان الرئيس ايزنهاور صريحا تماما ، وذلك على الرغم من مراقبة ادارة المخابرات مصرحا بقوله : « نحن لانستطيع أن نتصور حقيقة ماحدث لقد فقدنا الاتصال بحلفائنا بعد ١٤ أكتوبر ، ومن ثم وقفت الولايات المتحدة عاجزة تماما ، وبالرغم من التحذيرات العديدة التى بعثنا بها الى اسرائيل وحلفائها ، ومن ثم فلم تستطع ـ دول العدوان ـ أن تسترد موقفها المبدئى ، وكشف هؤلاء الحلفاء عن حقيقة نواياهم » .

واذا كانت انجلترا وفرنسا واسرائيل قد قرروا القيام بعدوانهم قبل اجراء الانتخابات الأمريكية التى تحددت يوم ٦ نوفمبر ١٩٥٦ حتى لاتتمكن الولايات المتحدة من اتخاذ موقف قوى ضدهم ، هذا التصور من جانب الحلفاء كان يعبر عن وجهة نظر قصيرة ، بل على النقيض من ذلك فان المسئولين الامريكيين ـ مع تصميمهم على التدخل فى منطقة الشرق الأوسط ـ فلقد حددوا موقفهم بكل وضوح ضد حلفائها(١١١) . وتحركت الادارة الامريكية بسرعة فائقة لتثبت بأن سياستها الآن تجرى ضد الأسلوب الاستعمارى الذى كان سائدا منذ القرن الثامن عشر .

وأذاع الرئيس أيزنهاور بيانا شهيرا فى ٣١ أكتوبر مستنكرا فيه مثل هذا العمل العدوانى على مصر بقوله : « ان الولايات المتحدة لم تستشر بأى طريقة وعلى أى وجه من الوجوه فى القيام بمثل هذا العمل ، ولم نعلم مسبقا بأى شىء عن مثل هذا العمل ... وان كان هذا من حق أى دولة أن تقرر ماتشاء من أعمال أو قرارات فهذا

أمر يخصها وحدها ··· وأن دستورنا ينص بأننا لابد أن نقف موقف المعارضة من مثل هذا العدوان ، فاننا نؤكد أن مثل هذه الأعمال تعد عملا اجراميا لأننا نعارض استخدام القوة المسلحة كأسلوب غير سوى وغير صحيح لحل المشاكل فى العالم »(١١٢) ٠

وأعلن الرئيس ايزنهاور : « أنه يريد أن يؤكد بأنه لم يكن من دعاة الاستعمار ٠٠ وفى مثل هذا الصراع فان بريطانيا وفرنسا ليسوا حلفاءنا الآن »(١١٣) ٠

ومنذ هذه اللحظة تقرر عرض المشكلة على هيئة الأمم المتحدة فى جلسة طارئة ، وحاولت الولايات المتحدة تهدئة الموقف الدولى المتأزم بتقدير رأى مجموعة الشعوب الأسيوية ـ الافريقية ، وعلى هذا فقد وقفت أمريكا تساند هذه الشعوب فى مناقشات هيئة الأمم المتحدة الخاصة بحرب السويس ٠

وبعد أن اضطر دلاس وزير الخارجية الأمريكية الى دخول المستشفى للعلاج فى ٣ نوفمبر ، فقد تولى مسئولية الموقف هنرى كابوت لوج Henry Cabot Lodge مندوب أمريكا فى الأمم المتحدة ، وكان معروفا أن كتلة الشعوب الأسيوية ـ الافريقية لها تأثير قوى عليه أكثر من تأثيرهم على دلاس فى المراحل السابقة ٠

وكان هدف أمريكا هو سرعة السيطرة على الموقف العسكرى ، وأن تجبر الدول المعتدية على حتمية قبول وقف اطلاق النار والانسحاب فورا فى أقرب وقت ممكن ، وحتمية الاستناد الى اعلان البيان الثلاثى الصادر فى ١٩٥٠ ، وبناء على هذا فان الولايات المتحدة أخذت زمام المبادرة فى مجلس الأمن وقدمت اقتراحا فى ٣٠

أكتوبر ، وعلى الفور طلبت أمريكا من اسرائيل الانسحاب بقواتها فورا الى ما وراء خطوط الهدنة ، وأن الدول الأعضاء يمتنعون فورا عن تقديم أى مساعدات عسكرية أو اقتصادية أو مالية الى أسرائيل مادامت هى لم تلتزم بتنفيذ هذا الأمر(١١٤) .

ان الولايات المتحدة التى اعترضت بشدة ضد حلفائها الانجليز والفرنسيين قامت بتوجيه انذار شديد اللهجة لهما، اذأن الموقف واضح تماما الآن حيث تقف أمريكا بجانب مصر . ولكن انجلترا وفرنسا صوتا ضد الاقتراح الأمريكى تماما كما سبق لهما الاعتراض على الاقتراح المقدم من قبل الاتحاد السوفيتى(١١٥) وعلى هذا فقد وقف مجلس الأمن عاجزا تماما نتيجة لهذا .

وليس فى هذا نهاية الموقف ، فقد وقفت الولايات المتحدة بجانب الاتحاد السوفيتى تؤيده بالموافقة على الاقتراح المقدم من يوغسلافيا بعرض المشكلة على الجمعية العامة للامم المتحدة حيث لايتمكن الأعضاء الانجليز والفرنسيون الذين لهم حق الفيتو بالاعتراض ، وفى أول نوفمبر راجع دلاس شخصيا مشروع الاقتراح الذى يشكل الاساس لمناقشات الامم المتحدة .

وكملاحظة عابرة بأن ثمة اتفاقا قد تم بين الولايات المتحدة وبين حلفائها المخلصين ، مما جعل دلاس يتخذ موقفا صارما متشددا معلنا : « ان ثمة اتفاقا قد تم بيننا خاصا بهذه المشكلة ، ولذا فاننا نشعر بأننا مكروهون لأن وجهة نظرنا محددة ومعلومة لديكم ... ومن ثم فان كلماتى - دلاس - ماهى الا استعراض لمشكلة القناة وتأكيد على تصريحات المصريين الاستفزازية تجاه الحكومات الأخرى ، وأن هذه التصريحات

أغضبت هذه الحكومات مما دفعها الى استخدام القوة المسـلحة بالشكل الذى حدث »(١١٦) ٠

وقدمت أمريكا مشروع اقتراح يتضمن الآتى : « وقف اطلاق النار فورا ثم السماح بالانسحاب فورا لكل القوات المسلحة الموجودة داخل الحدود الرسمية لمصر » ويشير هذا الاقتراح بحتمية التأكيد بوقف الأعمال العدوانية ، وتتخذ الخطوات بعد ذلك لاعادة فتح قناة السويس وضمان حرية الملاحة بها(١١٧) ويطلب من السكرتير العام للأمم المتحدة أن يلاحظ تنفيذ هذه التعليمات والقرارات فورا ، وأن يبعث بتقرير عاجل الى سكرتارية الأمم المتحدة والى مجلس الأمن وعلى هذين الشخصين تقع المسئولية الكاملة فى تنفيذ ذلك طبقـا لميثاق الأمم المتحدة ٠

وقد تم التصويت على المشروع الأمريكى يوم ٢ نوفمبر ، ونال أغلبية الأصوات ٦٤ صوتا ضد ٦ أصوات(١١٨) وعلى الرغم من كل هذا فقد كان ثمة محاولة أمريكية يوم ٣ نوفمبر بعرضه على الجمعية العامة للأمم المتحدة ، التى كانت تناقش مشروع قرارين ، الأمر الذى استغرق مناقشاتهما وقتا ليس بالقصير ، هما مشـكلة قناة السويس ومن قبل مشكلة فلسطين(١١٩) ٠

ولتسهيل مهمة انسحاب القوات الانجليزية ـ الفرنسية بأقل الخسائر فان الولايات المتحدة فضلت الأخذ بالاقتراح الكندى القاضى باستدعاء سكرتير عام الأمم المتحدة لوضع خطة لاحلال قوات الامم المتحدة(*) UNEF بدلا من القوات المعتدية(١٢٠) ، وتمت الموافقة

(*) United Nations Emergency Forces = UNEF

على هذا القرار يوم ٤ نوفمبر وتـم تشكيل قوات الأمم المتحدة لأول مرة يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦(١٢١) ٠

وتركز اهتمام الولايات المتحدة فى الجمعية العامـــة للامـــم المتحدة واسهامها بجهد كبير فى دهاليز المنظمة الدولية لانهاء مشكلة حرب السويس ، وكمثال لهذا فان الولايات المتحدة كانت لاترغـب فى التقاعس فى أن تخسر انجلترا مصادر النفط ، حيث أن العلاقات أصبحت مقطوعة مع دول الشرق الأوسط ٠ هذه مشكلة أصبحـت حقيقية واقعة ، بعد وقف الملاحة بقناة السويس ، بالاضافة الى تدمير خط التابلين Pipline المار عبر الاراضى السورية الى شواطىء البحر المتوسط(١٢٢) ٠

وكانت انجلترا تأخذ من الولايات المتحدة ـ كما هو معلوم ـ كل احتياجاتها من بترول الشرق الأوسط ، حيث أن ٣٠ شركة بترولية أمريكية تعمل فى استخراج النفط فى هذه المنطقة ، واســتجاب المسئولون الأمريكيون الى طلب حلفائهم ولكن بمقدار سد العجز فى احتياجاتهم من البترول بشرط قبول وقف اطلاق النار ، والبدء فورا بسحب قواتهم المسلحة لاثبات حسن نياتهم(١٢٣) ٠

وتطورت الأزمة الاقتصادية فى انجلترا بسرعة هائلة ، وأبدت الولايات المتحدة استعدادها لتخفيف هذه الأزمة ، ففى خلال الاسبوع الأول تعرض الجنيه الاسترلينى الى انخفاض حاد فى بورصة الأوراق المالية ، مما استدعى انجلترا الى طلب قرض من البنك الدولى ٠

ومرة أخرى وجدت انجلترا نفسها مضطرة الى طلب المساعدة من الولايات المتحدة ، والتى وافقت على تقديم قرض لانجلترا بشرط قبول وقف اطلاق النار ، وأن تسحب قواتها المســلحة فـــورا من مصر(١٢٤) ٠

ومازالت هناك مشكلة تعرضت لها انجلترا ، ومعتمدة على الولايات المتحدة في حلها ٠ ففى ٥ نوفمبر اقترح الاتحاد السوفيتى بأن يتفق مع أمريكا فى التصدى للعدوان ، وبعث الاتحاد السوفيتى بهذا الاقتراح الى كل من انجلترا وفرنسا واسرائيل ، وقد شجب الاتحاد السوفيتى هذا العدوان الواقع من هذه الدول علىمصر(١٢٥) وأن استمرار القوى الكبرى فى عدوانها مع قبول مصر واسرائيل قرار وقف اطلاق النار ، فان الخطر السوفيتى على مصر لم يكن الامحض افتراء (١٢٦) وعلى الرغم من هذا كان السوفيت يتساءلون عما اذا كانت الولايات المتحدة سوف تفرض نفوذها على حلفائها فى حلف الاطلنطى NATO من عدمه ؟

وحاولت الولايات المتحدة التملص من هذا التساؤل بالرغم من تأكيداتها بمساعدة حلفائها ، مما يشجع انجلترا وفرنسا على استمرار عدوانهما وعما اذا كانت هذه المساعدات سوف تقدم اذا ما استمر هذا العدون ؟ ونظرا للظروف الصعبة التى تعرض لها التحالف - الانجليزى - الفرنسى - فى هذه المشكلة ، الأمر الذى جعلهما يرغبان فى قبول وقف اطلاق النار فورا(١٢٧) ٠

وفى ذلك الوقت لايمكن انكار القوى الأخرى التى لايمكن انكارها وكذلك تأثير الرأى العام العالمى ، ومعارضة دول الكومنولث بالاضافة الى تهديد الاتحاد السوفيتى ، وعلى هذا أصبح الموقف واضحا الآن بأن الضغوط التى تعرضت لها الامم المتحدة كانت من أهم الدوافع التى أجبرت انجلترا وفرنسا على حتمية وقف اطلاق النار في ٧ نوفمبر(١٢٨) ٠

وترتب على قبول انجلترا وفرنسا قرار وقف اطلاق النار أن المسئولين الأمريكيين أكدوا موقفهم الثابت تجاه هذه الدول وكذلك

اسرائيل بضرورة انسحاب قواتهم المسلحة من كل الأراضى المصرية ورفض المسئولين الأمريكيين طلب كل من انتونى ايدن Eden وجى موليه Mollet رغبتهما لزيارة أمريكا خلال هذه الفترة(١٢٩)

ومضت الحكومة الأمريكية فى رفضها تقديم أى مساعدة الى بريطانيا لتخفيف أزمتها الاقتصادية ، وكذلك البترولية ، واستنكر كل من لويد Lioyd وبيتو Pineau الانضمام الى الادارة الأمريكية(١٣٠) وخلال شهر نوفمبر رفضت الحكومة الأمريكية رئاسة عقد مؤتمر طارىء لبحث مشكلة الشرق الأوسط وذلك بسبب تأزم الموقف الدولى ، كما كانت أمريكا ترى ضرورة الضغط على بريطانيا بعدم حضورها مثل هذا المؤتمر ، فى وقت كانت أمريكا حريصة على عدم تورطها فى هذه الأزمة ، وحرصا على مصالحها البترولية فى منطقة الشرق الأوسط وحتى لاتتعرض لخطر جسيم(١٣١) ٠

وفى ١٠ نوفمبر أعلن الاتحاد السوفيتى انه مالم توافق انجلترا وفرنسا واسرائيل بالامتثال لقرار الأمم المتحدة فانه سوف يسمح للمتطوعين السوفيت بالالتحاق بالقوات المسلحة المصرية(١٣٢) ٠

ولذلك سارعت أمريكا بتقديم المساعدة لتشكيل القوات الدولية لحفظ السلام لتحل بدلا من القوات الانجليزية والفرنسية المعتدية ، وحتى لاتترك المجال مفتوحا أمام الاتحاد السوفيتى بالتمركز فى المنطقة ، وبعث ناصر بتقرير الى الادارة الأمريكية يتضمن رفضه لعرض الاتحاد السوفيتى(١٣٣) الخاص بارسال متطوعين الى مصر ، كما أعلن الاتحاد السوفيتى أنه لا يستطيع أن يتجاهل الموقف الراهن ، وأنه يرى حتمية انسحاب القوات المعتدية

فورا دون مماطلة(١٣٤) ولذلك استمرت الولايات المتحدة فى مزاولة ضغطها على حلفائها ٠

وفى ٢٠ نوفمبر توجهت الدفعة الأولى من قوات الأمم المتحدة البالغ عددها ٧٠٠ جندى الى مصر ، وهناك ٣٠٠٠ آخرون سوف يلحقون بهم ، وان كانت ماتزال انجلترا وفرنسا واسرائيل يميلون الى المماطلة فى الانسحاب ٠ ونتيجة لتشدد موقف بريطانيا وفرنسا فى الانسحاب ، فان الولايات المتحدة ساندت مرة أخرى مجموعة الشعوب الأسيوية - الافريقية ، وكذلك مجموعة الدول الشيوعية فى جلسة عامة للأمم المتحدة ، وايدت الاقتراح الذى تقدمت به الهند يوم ٢٤ نوفمبر والذى يقضى بحتمية انسحاب قوات الدول المعتدية فورا(١٣٥) ٠

ونظرا للكارثة الاقتصادية الرهيبة التى تعرضت لها انجلترا مما جعلها فى أشد الحاجة الى معونة الولايات المتحدة وانها أمر ضرورى مما أجبر انجلترا الى قبول الخضوع لقرارات الأمم المتحدة ، وفى ٣ ديسمبر ١٩٥٦ وافقت انجلترا وفرنسا على الانسحاب الكلى من الاراضى المصرية مقابل وعد من أمريكا بتقديم المساعدة لهما(١٣٦) ٠

* * *

ان قيام اسرائيل باختراق شبه جزيرة سيناء تبعه هجوم عسكرى من قبل انجلترا وفرنسا الأمر الذى أوحى الى النظام المصرى بأن هذا العدوان العسكرى من أجل استمرار القوات الاسرائيلية بسيناء ٠ وهذا العدوان الاسرائيلى مباندته انجلترا وفرنسا كقوتين عظميين وكسلطة عليا مهمة فى المحافل الدولية ٠

وعلى الرغم من علاقات الصداقة التى تربط مصر بالاتحاد السوفيتى الذى كان متورطا – فى ذلك الوقت – فى مشاكل شرق أوربا التى تبعد عن مصر كثيرا ، وأن هذا له علاقة قوية بوجود الأسطول السادس الأمريكى فى عرض البحر المتوسط مما ألقى بظلال من الشك لدى المسئولين الأمريكيين حول امكانية استخدام الاتحاد السوفيتى سلاح القوة لمناصرة مصر ومساندتها · وهكذا لم تكن رؤيا ناصر فى بادىء الأمر صادقة ودقيقة ، اذ كان يستبعد تماما قيام دولتى انجلترا وفرنسا بشن عدوان عسكرى ضد مصر فى ذلك الوقت حرصا على مصالحهما فى المنطقة ·

وقد جرى حديث بين ناصر والسفير الأمريكى فى القاهرة راموند هير Raymond Hare واشار ناصر فى هذا الحديث بانه كان شديد الحذر من سيطرة الاتحاد السوفيتى على مصر مستغلا هذه الأزمة · كما أكد السفير الأمريكى بأن الولايات المتحدة لاتخشى من تدخل الاتحاد السوفيتى عسكريا فى شئون مصر ، وذلك لانها تدرك يقينا بأن مصر عانت كثيرا وطويلا من الاحتلال الاجنبى ، وعلى هذا فمصر ليست على استعداد أن تكرر نفس الموقف(١٣٧) ·

واذا كانت الولايات المتحدة قاومت بنفسها العدوان العسكرى على مصر فهى – علاوة على ذلك – تستنكر ماحدث ، وبناء على ذلك فلقد اتخذ المسئولون المصريون عدة خطوات لتضمن مناصرة أمريكا لها ·

كما اعترف السفير الأمريكى فى القاهرة بأن مصر طلبت رسميا مساعدة أمريكا وعندما استفسرت عن امكانات وحدود المساعدة

المطلوبة ؟ اجابني ناصر بانه يحتاج الى مساعدة عسكرية بالطبع(١٣٨) ٠

ولم تتقاعس امريكا فى الاستجابة لطلب مصر ، وبذلت كل جهودها بالوقوف الى جانب مصر اثناء هذه الأزمة ولكن فى اطار ميثاق الأمم المتحدة(١٣٩) ، وكما سبق ان راينا بذلت امريكا جهدا شاقا متصلا بهدف وقف الحرب ، واجبار هؤلاء المعتدين على حتمية الانسحاب الى ماوراء حدود مصر الدولية ، وقدم ناصر ـ اخيرا ـ الشكر الى كل من الاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة الأمريكية نظرا لما قدماه له من تاييد ودعم ٠ كما صرح ـ مؤكدا ـ بان موقف امريكا الأخير كان موقفا حاسما(١٤٠) ٠

وهكذا ادركت الولايات المتحدة حسن نية مصر ، التى صرحت بانها تامل بان تستمر العلاقات مع الولايات المتحدة فى تحسن مضطرد ومن هنا فقد بدأ عهد جديد فى تاريخ العلاقات المصرية ـ الأمريكية ، وتاكد ذلك خلال هذه الأزمة التى تعرضت لها مصر(١٤١) ، واستمرت هذه العلاقات مدة طويلة مما يدل على عدم مبالغة امريكا فى هذا الموقف الشجاع ٠

وتاكد موقف امريكا ـ خلال هذه الأزمة ـ بشكل رائع وموفق نظرا للنتائج الماثلة التى ترتبت عليه ، وبالاضافة الى موقفها المتشدد مع حلفائها واسرائيل ٠ واكد ذلك دلاس فى مؤتمره الصحفى يوم ٦ ديسمبر ١٩٥٦ بقوله :

« اذا لم نقف هذه الوقفة الجادة ، والتمسك بميثاق الأمم المتحدة ، فمن المؤكد ان هذه الدول كانت ستواجه الانهيار التام ، بالاضافة الى موقف الاتحاد السوفيتى العادل معنا ، وكذلك مناصرة بعض دول الحياد مثل نهرو ، كل هذه العوامل ساعدتنا بأن نضع حدا لهذا العدوان الغاشم ٠٠٠ »(١٤٢) ٠

ان الاقتراح الأمريكي القوى الواضح كان يعكس بحق عمق العلاقات مع مصر ، ويؤكد عدم حدوث تغيير جذري في السياسة الأمريكية تجاه النظام المصرى ، وعلى الرغم من هذا فان الولايات المتحدة استمرت في موقفها بتجميد المساعدات المقدمة الى مصر ، كما رفضت أمريكا أن تمد مصر بما يلزم لها من قمح وأدوية خلال هذه الأزمة(١٤٣) ، ولكن كثيرا من هذه المواد قدمها الاتحاد السوفيتي لمصر(١٤٤) .

ان الخلاف الجوهرى بين أمريكا ومصر هو انتماء الأخيرة الى كتلة عدم الانحياز مما كان يمثل شوكة في جنب الولايات المتحدة بل كانت العائق القوى لتطور العلاقات بين البلدين ، وان كانت مصر في حاجة ماسة الى دعم وعون الولايات المتحدة الأمريكية لطرد القوات الاسرائيلية من أرض مصر ، وكانت الولايات المتحدة تأمل أن تتخذ مصر خطوة جريئة على ضوء معطيات الواقع الآن تجاه المسئولين الأمريكيين وسياستهم الجديدة في منطقة الشرق الأوسط . بالاضافة الى متابعة اسرائيل لاستكمال انسحابها من شبه جزيرة سيناء ، ولكن الملاحظ أن اسرائيل رفضت الانسحاب الا بشرط تمسكها بقطاع غزة ، وشرم الشيخ(١٤٥) .

وازاء تعنت اسرائيل في الانسحاب اشترطت مصر كذلك عدم اعادة فتح القناة للملاحة العالمية مالم يتم الانسحاب الكلي من الأراضي المصرية ، وفي ذلك الوقت كان حلفاء أمريكا في أشد الاحتياج الى اعادة فتح ناة السويس لتدفق البترول عبرها الى الغرب . وكانت أمريكا تأمل أن تبادر مصر باتخاذ خطوة ايجابية ، وتدرك بعمق سياسة الولايات المتحدة ازاء مستقبل الشرق الأوسط(١٤٦) .

ولكل هذه الأسباب زاولت الولايات المتحدة ضغطا شديدا على اسرائيل داخل أروقة الامم المتحدة وخارجها ، ولذلك فان المساعدات الاقتصادية والمالية لإسرائيل كانت محل نظر اذا لم تمتثل اسرائيل لقرار الانسحاب وفى نفس الوقت أكد دلاس لاسرائيل ، بأن الأمم المتحدة سوف تضمن حرية الملاحة لها فى خليج العقبة ، وأن قوات الطوارىء الدولية سوف تشرف على قطاع غزة ، وشرم الشيخ(١٤٧) .

وفى ٢٠ فبراير ١٩٥٧ أعلن الرئيس أيزنهاور فى مؤتمر صحفى بأنه سبق أن كتب فى ٣ فبراير الى بن جوريون Ben Gurion رئيس وزراء اسرائيل، محذرا له بضرورة استكمال القوات العسكرية الاسرائيلية انسحابها التام ، وأكد ايزنهاور بأنه يعتقد أن الأمم المتحدة ليس أمامها اختيار ، انما لابد أن تزاول ضغطها على اسرائيل لتجبرها على الانسحاب الكامل(١٤٨) وكانت أمريكا مستمرة فى دعم الامم المتحدة فى دعم موقفها هذا(١٤٩) .

وفى نهاية الأمر خضعت اسرائيل لكل هذه الضغوط ، وكانت آخر مرحلة من انسحاب القوات الاسرائيلية يوم ٧ مارس ١٩٥٧ ومن ثم استأنفت أمريكا تقديم مساعداتها الاقتصادية لاسرائيل فى شهر ابريل التالى(١٥٠) .

وتلا انسحاب القوات الاسرائيلية أن وافقت مصر على تطهير قناة السويس ، هذا المجرى المائى العالمى ، وتم الاعلان عن اعادة افتتاحه للملاحة العالمية وللسفن العملاقة يوم ١٠ ابريل(١٥١) .

وجرت محاولات أخرى من جانب انجلترا وفرنسا وأمريكا للحصول على موافقة مصر لتأكيد سيادتهم على قناة السويس بعد

لاعادة تشغيلها ، ولكن الحكومة المصرية أكدت مرة أخرى ما جـــاء بتصريحها السابق يوم ١٣ أبريل ، باستمرار سيادتها على القناة ، واحترامها الكامل لحرية الملاحة الدولية طبقا لاتفاقية القسطنطينية ١٨٨٨(١٥٣) • « وهكذا خرج ناصر منتصرا ، محققا كل ماكان يتمناه »(*) •

ان النتائج التى تمخضت عن أزمة قناة السويس على المستويين الاقليمى والعالمى كانت نتائج كثيرة ومهمة جدا ، منها الاطاحة بهذه النظم الاستعمارية التى تتسم بالدكتاتورية والاستبداد التى كانــت سائدة منذ القرن التاسع عشر ، وأصبحت هذه الدول المعتدية فى أشد الاحتياج الى المساعدات الاقتصادية الأمريكية ، وكان الاتحاد السوفيتى ، والرأى العام العالمى قد استطاع أن يحـــول الهزيمـة العسكرية الى نصر ساحق على هؤلاء المعتدين • ومن ثم فقد أصبح وضع ناصر على المستوى الداخلى والخارجى معــززا على عكس ماكان يريد هؤلاء المعتدون ــ اذ كانوا يسعون الى تحطيـم ناصـــر بصفة شخصية • وأصبح فى امكان العالم العربى وقف ضخ بترولة الى الغرب ، بالاضافة الى امكانية قفل قناة السويس فى وجه القارة الأوربية مما عزز مكانة العالم العربى •

وعلى النقيض من ذلك ، فان وضع ومكانة بريطانيا وفرنسـا وصلا الى حد لايمكن اصلاحه كنتيجة حتمية لمغامرتهم بغزو قنـاة السويس بالتواطؤ مع اسرائيل ، وفقدت بريطانيا معاهدتها التى وقعتها مع مصر عام ١٩٥٤ ، كما تحطمت علاقاتها مع دول حلف بغداد تماما(١٥٤) ، واذا كان الهدف من انشاء حلـــف بغداد هو

(*) Thus Nasser's Egypt had succeeded in making its will prevail.

التصدى للخطر الشيوعى ، مما أصبح الأمر محل تساؤل القـادة والزعماء العرب من الذى كان يشكل خطرا علينا ؟ والعكس تماما فالقادة السوفيت هم الذين تصدوا للمعتدين ، وساندوا مصر والعالم العربى كما سارع الاتحاد السوفيتى بمشاركة أمريكـــا لوقف هذا العدوان خلال هذه الأزمة كما أكدت الاحداث أن المنافس الوحيـد لمصر فى منطقة الشرق الأوسط هو الولايات المتحدة الأمريكية ٠

وكان هدف أمريكا ـ أثناء فترة العدوان على مصر ـ هـو انقاذ مايمكن انقاذه من مكانة الغرب الأوربى المنهارة ، ومالحق به من وصمة عار وسمعة سيئة للغاية ٠ ومن هذه النقطة فان المسئولين الأمريكيين كانوا حريصين أشد الحرص على اقامة توازن مع مكانة ومنزلة الاتحاد السوفيتى الممتازة فى منطقة الشرق الأوسط بصفة عامةومصر على وجه الخصوص ٠

ان العلاقات الأمريكية خلال هذه الفترة أثبتت أنها علاقات قوية وممتازة تجاه مصر خاصة والقومية العربية عامة واســتمر قادة أمريكا يلقون باللائمة على اسرائيل التى دبرت عدوانها على مصر قبل الانتخابات الأمريكية بأسبوع واحد ، ومن ثم فقد كان لهذا الموقف الأمريكى كل تقدير من قبل العرب جميعـــا ٠ وكســب ايزنهاور الانتخابات الأمريكية بأغلبية ساحقة حتى فى ولاية نيويورك التى يتركز فيها اليهود بأغلبية كبيرة(١٥٥) ٠

ان أزمة السويس أكـدت أن تغييرات كثيرة أدخلـت على المفاهيم العالمية بالنسبة للقوى الكبرى ٠ وفى الحقيقة ان انجلترا وفرنسا لم يكونا من دول القوى الكبرى ـ فى القريب العاجل ـ فى نظر الكثيرين لأنهما تجرأتا على القيام بمغامرة حمقاء بغزو مصر دون موافقة أمريكا ، ودون الاعتماد على عون ومساعدة الولايـات المتحدة لهم ، ومن ثم فقد أصبحتا فى حالة يرثى لها من الهوان ٠

وزيادة على ذلك فان الآثار التى ترتبت على أزمة السويس بالنسبة للقوة العسكرية الغربية أصيبت بنكسة شديدة بين هـؤلاء الحلفاء ، ولكن بعد شهر ديسمبر ١٩٥٦ فان مؤتمر وزراء خارجية حلف الاطلنطى وكذلك فى مؤتمر برمودا Bermuda المنعقد فى مارس ١٩٥٧ كان واضحا أن الحلفاء يعانون من التمزق والفرقة والانهيار ·

ان مشكلة السويس اصبحت كذلك نقطة فاصلة فى الحرب الباردة بين الشرق والغرب فى الجوانب السياسية والاستراتيجية وكان الخوف من تاثير هذه الأزمة على كل ميادين الصراع والتنافس بين القوتين الأعظم ، ومن الملاحظ بأن هذه النتائج تعطى للقوتين الأعظم مؤشرا ـ فى نفس الوقت ـ بأن ثمة تغييرات جذرية لابـــد من التسليم بها بالنسبة للسياسة العالمية والعلاقات الدولية ·

ويكفى هذا الدرس القاسى الذى تلقاه هؤلاء بأنه اذا ماوصلت مشكلة محلية الى درجة الغليان فلا داعى للقوى الكبرى أن تقف موقف التحدى ·

وأخيرا ان أزمة السويس ترتب عليهـا أن الحروب المحدودة يكون لها من النتائج الخطيرة على القوى العظمى نفسها ، وحينما يكون الموقف على شفا الانفجار ، فهناك أكثر من بديل لمنع نشـوب الحروب ، مثل اللجوء الى انتهاج الدبلوماسية الهادئة من قبـل القوى الكبرى بدلا من المواجهة الساخنة ، وفى نفس الوقت فـان أزمة السويس وما ترتب عليها من نتائج اثرت على كل دول العالم حتى الصغيرة منها . وهذا درس يجب أن يعيه ويتعلمه الآخرون فى مستقبل السنوات القادمة .

N O T E S

(1)L **Journal d'Egypte,** 19 December 1955.

(2)**New York Times,** 2 April 1956.

(3) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 21 July 1956.

(4) **Le Journal d'Egypte,** 25 July 1956; Mansoor, ed., **The Arab World** (3). 24 July 1956.

(5) Egypt's leaders later contended that it was they who had declined to persue the Soviet offer so as not to increase Egyptian indebtedness to the Sovit Union. See Ali Sabri's comments in this veni to Kennett Love, **Suez : The Twice-Fought War,** P. 323. Also see Nasser's dernial of having approached the Soviet Union concerning aid at that time. **New York Times,** 8 October 1956.

(6) Nasser's statement of 26 July 1956. Foreign Broadcast Information Service; **Daily Report,** 27 July 1956. **Foreign Radio Broadcasts.**

(7) See statement by Nasser, **Egyptian Gazette,** 18 November 1954.

(8) Trevian. **The Middle East in Revolution,** PP. 82 -- 84.

See also Terence Robertson. **Crisis** (New York : Ameneum. 1965). PP. 59 — 60.

(9) These studies were reportedly carried out by Zechariya Mohieddin. Trevelyan. **The Middle East in Revolutoin,** P. 84. In support of the hypothesis that nationalization mad been considered before the evenses of July 1956, see Egyptian Home Service Cairo, 12 August 1956; **Egyptian Gaztte,** 18 November 1954. See also Robertson, **Crisis,** PP. 60 — —62.

(10) Egyptian Home Service, Cairo, 12 August 1956. Both Eden and Macmillan, British Chancellor of the Exchequer, believed «Dulles's clumsy handling of the final sages played into Nassr's hand's Macmillian, **Riding The Storm,** P. 100. Dulles, in his own defense, echoed Nasser in insisting that the latter had been «studying» the possibility of nationailzing the Company for over two years, Dulles Press Conference. U.S. Department of State. Press Release 450. 28 August 1956.

(11) Thomas, **Suez** : P. 31.

(12) Eden. **Full Circle,** 3 : 427 — 28. 465 — 66.

(13) Nutting, **No End of a Lesson,** P. 47.

(14)Eden's 5 August 1956 letter to Eisenhower quoted in Love, Suez : **The Twice-Fought War.** P. 394. Eden described the task as follows : «to reduce the stature of the megalomaniacal dictator at an early strage» (**Full Circle,** 3 : 431).

(15) **Le Monde,** 26 June 1960, Ambassador Dillon's report to Eiseninower (Eisenhower, **Waging peace,** P. 36).

(16) Telegram from Eden to Eisenhower, quoted in Eden, **Full Circle..** 3 : 428. Robert D. Murphy, Under Secretary of State for Political Affairs, had been sent by Eisenihower to survey the London situation and to prevent impulsive action. Eisen-

hower, **Waging Peace.** PP. 32 nd 644 After extensive discussion with high-ranking British and French officials. Murphy « was left in no doubt that the British Government believed that Suez was a test which Would be met only by the use of force,» Robert Murphy, **Diplomat among Warriors** (London : Collins, 1964). PP. 462 — 64.

(17) **Orient,** No. 1. 1957, P. 68. See also Dillion's message to Eisenhower (Eisenhower, **Waging Peace,** P. 36).

(18) Rabertson. **Crisis,** PP. 75 — 77.

(19) See for example, Eden, **Full Circle,** 3 : 430; André Beaufre. **The Suez Expedition, 1956** (New York : Praeger, 1969).

(20) Murphy, **Diplomat among Warriors,** P. 465.

(21) See the report by Andrew Foster, American Attaché in London, to Eisenhower on 27 July : «The question confronting (the British) Cabinet tonight was of course (the) extent to which (the) U.S. would go in supporting and participating in (a) firm position vis-à-vis Nasser in terms of economic sanctions and, beyond that if necessary, mliitary actoin, » Eisenhower papers, Gettyburg, quoted in Love, Suez : **The Twice-Fought War,** P. 355. See also Eisen's 27 July 1956 telegram to Eisenhower urging a firm stand to prevent «our influence and yours throughout the Middle East ...... (from being finally destroyed.» Eden, **Full Circle,** 3 : 427.

(22) Unpublished disclosure by high-ranking American diplomat. The same source holds that the American leadership planned to take a new initiative to prevent its allies from resorting to forece after the elections.

(23) See Dulles's 29 July 1956 statement, U.S. Department of State,/ Press Release 415.

(24) Only 4 percent of total U.S. domestic oil consumption came from the Middle East in 1956 (J.H. Lichtblau, «Is the Tank Running Low,» **The Repoert** 1 March 1957, P. 17).

(25) Eisenhower, **Dulles Oral History Collection; Secretary** Dulles's 28 August 1956 Press Statement U.S. Departments of State, Press Release 450.

(26) These were made explicit in a joint statement by Nasser and Soviet Ambassador Kiselev. **Le Journal d'Egypte**, 20 August 1956.

(27) Eisnhower to Eden, Telegram dated 8 September 1956 (Eisenhower, **Wagnig Peace**, PP. 669 — 71.

(28) See Eisenhower comment : «We sat down and we were determined to pursue a course that would not lead to war. We were certain a negotiation could settle this problem.» Quoted in R.P. Stebbing **The United States ni World Affairs, 1956** (New York : Harper and Brothers, 1957). P. 260.

(29) Unpublished declaration by middle ranking State Department source.

(30) According to Under-Secéetary Robert D. Murphy in **Dulles Oral History Collection.**

(31) U.S. Department of State, **Bulletin**, 6 August 1956, P. 221 and 13 August 1956, PP. 262 — 63.

(32) Eisenhower, **Dulles Oral History Collections.** Since the right of a state to nationalize is well accepted in international law if adequate compensation is made to the shareholders, the Egyptian nationalization decree of 26 July 1956 may arguably have met the standards of niternational legal requirements. However, compensation for the shareholders remained to be negotiated. See **Document on Intrnational Affairs, 1956**, P. 113. Concerning the question of Egypt's termination of the Company's

ocncession, if one accepts the premise the that the Company was an Egyptian limited entity, thier issue would fall within the purview of Egypt's domestic jurisdiction. For interesting analyses of the legal issues involved, see T.F. Huang, «Some International and Legal Asspects of the Suez Canal Question, » **American Journal of International Law**, 51 (1057) : 277; J.A. Obieta, **The International Status of the Suez Canal** (The Hague, 1960.).

(33) Eden, **Full Circle**, 3 : 427 — 28.

(34) U.S. Department of State, Press Release 415, 29 July 1976; Eisenhower, **Waging Peace**, P. 39.

(35) Ibid.

(36) Dulles address, 3 Agusut 1956, U.S. Department of State, **Bulletin**, 13 August 1956, P. 260.

(37) New **York Times**, 1 August 1956. This measure had been taken by Britain on 28 July and France on 29 July. See Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 28 and 29 July 1956.

(38) Adams, **Firsthand Report**, P. 251.

(39) Murphy, **Dulles Oral History Collection**.

(40) Eden, **Full Circle**, 3 : 430; André Beaufre, **The Suez Expedition**, 1956; Thomas, **Suez**, P. 48. Rebertson, **Crisis**, P. 75.

(41) Eisenhower, 31 July 1956 telegram to Eden (**Waging Peace**, PP. 664 — 65).

(42) Dulles accord ingto Eden, **Full Circle**, 3 : 437. Eisenhower, **Dulles Oral History Collection**.

(43) Eisenhower, telegram to Eden, 31 July 1956 (**Waging Peace**, PP. 664 — 65); U.S. Department of Satte, 3 August 1956, Press Release 425. The principle that members of the United Nations were committed to seeking peaceful solutions was also mentioned.

(44) Eden, **Full Cicrle**, 3 : 437.

(45) Ibid., PP. 437 and 434.

(46) Quoted in Love, **Suez : The Twice-Fought War**, P. 387. However, it also gave Britain and France time to compelte military preparations.

(47) **Le Journal d'Egypte**, 6 August 1956.

(48) See Dulles's statement of 3 August 1956, U.S. Department of State, **Bulletin**, 13 August 1956, PP. 261 — 263.

(49) U.S. Department of State, **The Suez Canal Problem, July 26 - Septmber 22, 1956; Documents** (Washington, D.C. : Government Prniting Office, 1956), PP. 51 — 52.

(50) Ibid.

(51) U.S. Department of State, **The Suez Canal Problem**, P. 44. For finial tet with amendments by Ethiopia., Iran, Pakistan, and Turkey incorporated, see U.S. Department of State, **Bulletin**, 3 Eeptember 1956, PP. 373 — 74. Also see The Indian Mniority Plan, **Documents on International Affairs, 1956**, P. 174.

(52) U.S. Department of State, **The Suez Canal Problem**, PP. 51 — 52.

(53) **Documents on International Affairs, 1956**, P. 174; Eisenhower, **Waging Peace**, P. 46.

(54) Quoted in Love, **Suez : The Twice-Fought War**, P. 405.

(55) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 7 August 1956.

(56)U.S. Department of State, **Bulletin**, 5 September 1956, P. 371 — 73.

(57) Macmillan, **Riding the Storm**, P. 108.

(58) **Washington Post and Times Herald**, 31 August 1956. Note that the American commitments to a peaceful solution was

again stressed by Eisenhower on 4 September, **Mansoor, ed., The Arab World** (3), 5 September 1956.

(59) Press Conference, 28 August 1956, U.S. Department of State, Press Release 450.

(60) Heikal, **The Cairo Documents**, P. 102.

(61) Nasser's reply to Menzies, 8 September 1956, **Documents on International Affairs, 1956**, P. 194.

(62) Henderson, **Dulles Oral History Collection**; Henderson to the author.

(63) Sir Robert Menzies, **Afternoon Light** (London : Cassel, 1966). P. 450.

(64) Heikal, **The Cairo Documents, P.** 103.

(65) Statement of 10 September 1956, U.S. Department of State, **Bulletin**, 24 September 1956, P. 464.

(66) **Documents on International Affairs**, 1956, P. 201; note that the deadline had been put off from 15 August to this date, Ibid., P. 158.

(67) **Documents on International Affairs, 1956**, PP. 202 — 4.

(68) Macmillan **Riding the Storm**, P. 113; Robertson, **Crisis** PP. 98 — 100.

(69) Loy Henderson quotes Anthony Eden (**Dulles Oral History Collection**).

(70) Dulles was informed of the intention on 28 August (Eden, **Full Circile**, 3 : 456 — 61; Eisenhower, **Waging Peace**, P. 52, Eden on Dulles's position, **Full Circle**, 3 : 460.

(71) Macmillan, **Riding the Storm**, P. 119 ; **Eisenhower, Waging Peace**, pp. 672 — 75.

(72) Eden, **Full Circle**, 3 : 476 — 79; Macmillan, **Riding the Storm**, P. 121.

(73) Eden, **Full Circle**, 3 : 479 — 81.

(74) U.S. Department of State, Press Conference Release 486, 13 September 1956.

(75) E.J. Hughes, **Ordeal of Power** (New York : Atheneum, 1963), P. 178. Dulles, apparently attempting no stretch the matter out, told Macmillan that it should take six months organize such a system (Macmillan, **Riding the Storm** P. 126).

(76) Murpmy, **Diplomats aming Warriors**, P. 470.

(77) **Egyptian Gazette**, 16 September 1956. See Egyptian case on the question presented by the Representative of Egypt to the President of the Security Council, 17 September 1956, **Documents on International Affairs**, 1956, PP. 230 — 32.

(78) See Eden's remarks on this issue (**Full Circle**, 3 : 498-90

(79) **New York Times**, 27 September 1956. Amercian ships were frequently registered under Panamaniam and Liberian registry.

(80) See comments by Dulles, U.S. Department of State Press Release 273, 23 April 1957.

(81) Eden, **Full Circle**, 3 : 455; Macmillan, **Riding the Storm**, P. 111.

(82) Dulles News Conference, 2 October 1956. U.S. Department of State, **Bulletin**, 15 October 1956, PP. 574 — 80.

(83) Ibdi.

(84) Eden, **Full Circle**, 3 : 499. See also 13 September News comfereace U.S. Department of State, **Bulletin**, 24 September 1956, PP. 476 — 83. Moreover, in later statements, Dulles emphasized that the aim was to seek an agreement whereby Egypt would allow SCUA to «supervise» the operation of the Canal. For Dulles, SCUA was to «help» the Egyptian authoritics, «not to be an obstacle»; «nor is it our purpose to coerce Egypt». Ex-

temporaneous remarks by Dulles at the Second Plenary Session of the Suez Canal Conference, 19 September 1956, in U.S. Department of State, **Bulletin**, 1 October 1956, PP. 503 — 6; U.S. Department of State, Press Release 497 20 September 1956.

(85) Eden, **Full Circle**, 3 : 484.

(86) United Nations Documents, S/3671, 13 October 1956.

(87) United States Missoin to the United Nations, Press Release 2472, 13 October 1956.

(88) For examples of Dulles's optimism, see his statement of 10 October 1956, U.S. Department of State, **Bulletin**, 29 October 1956, PP. 655 — 62 and that of October 1956, ibid., 5 November 1956, PP. 698 — 99. Even after the elections. Dulles felt America cound find means to deter Britain and France from pursuing a policy contrary to its wishes. At least one unpublissed statement by a high-manking State Department official suggests that a plan to prevent the allies from using force after the elections was already in existence.

(89) Murphy, **Dulles Oral History Collection.** One reliable source dates the informatoin blackout from 14 October. See also Love. **Suez : The Twice-Fought War**, P. 471 : Eisenhower, **Waging Peace**, P. 56.

(90) **Le Journal d'Egypte**, 6 August 1956.

(91) For examples, see Mansoor, ed., **The Arab World** (3) 29 July 1956 and **Prauda**, 9 August 1956, as regards the Soviet Union. For others, see Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 28 July 1, 5, 8, 10, 12, 14, 15 August 1956. The Egyptian press announced that 32 nations had recognized Egypt's right to nationalize the Canal Company, **Le Journal d'Egypt**, 3 August 1956.

(92) **Le Journal d'Egypte**, 1 and 7 August 1956.

(93) Trevelyan, **The Middle East in Revolution**, PP. 107, 99 — 100.

(94) Eden, **Full Circle**, 3 : 455; Macmillan, **Riding the Storm**, P. 111.

(95) **Le Journal d'Egypte**, 31 August and 14 September 1956.

(96) Nutting **Nasser**, P. 156 ; Heikal, **The Cairo Documents**, PP. 98 — 99.

(97) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 5 Ocotber 1956.

(98) Stephens, **Nasser : A Political Biography, P. 220.**

(99) United Nations Documents, S/36752. 13 October 1956.

(100) Love, **Suez : The Twice-Fought War, P. 446.**

(101) U.N. Security Council, **Official Records, 11th year** 736; 8 October 1956, P. 17.

(102) Love, **Suez : The Twice-Fought War**, PP. 446 — 47.

(103) Dayan, **Diary of the Sinai Campaign 1956**, PP. 12-21. gives the background of the Israeli decision. Anglo French ultimatum to Egypt and Israel, 30 October 1956, **Documents on International Affairs, 1956**, P. 261.

(104) The charge of collusion has now been amply confirmed by those driectly involved in the eventus. See Anthony Nutting, No End of a Lesson; André Beaufre. The Suez Expedition 1956. «The Suez Crisis : A Footnote to History» **Foreign Affairs**, April 1967. P. 547; Adams, **Firsthand Report**, P. 256.

(105(W.W. Aldrich

(106) Murphy, **Dulles Oral History Collectoin.**

(107) Unpublished disclosure by high-ranking American dipolmat.

(108) According to Loy Henderson, **Dulles Oral History Collection.**

(109) Quoted by Sherman Adams, **Firsthand Report**, P. 256. Adams also remarks Eisenhower's disappointment in Eden for his not havnig confided in the United States about the attack.

(110) Eisenhower, **Dulles Oral History Collection.**

(111) See Hagerty's statements of 29 October on the Israeli attack and 30 October on the Anglo-French ultimatum. U.S. Department of State, **Bulletin**, 12 November 1956, P. 749.

(112) U.S. Department of State, **Bulletin**, 12 November 1956.

(113) Unpublished disclosure by an informed, official source; see also Rebertson, **Crisis**, P. 196.

(114) United Natoins Documents, S/3710. Dayan reports that Eisenhower telegraphed Ben Gurion, suggesting that if Israel withdrew its forces from the Sinai he would immediately declare his deep appreciation (**Diary of the Sinai Campaign, 1956**, P. 95).

(115) United Nations Documents, S/3713/Rev. 1.

(116) U.S. Department of State, **Bulletin**, 12 November 1956, PP. 751 — 57.

(117) United Nation's Documents, A/3256. The Canal had been blocked by scuttled ships. Love, **Suez : The Twice-Fought War**, PP. 527 — 28.

(118) Mansoor, **The Arab World** (3), 2 November 1956.

(119) United Nations Documents, A/3272 and A/3273.

(120) United Nations Documents, A/3276, 3 November 1956. Note that Britain and France claimed they had intervened for the purpose of separating the belligerents and safeguarding the canal.

(121) United Nations Documents, A/Res/391, A/Res/394.

(122) British reserves were estimated to last six weeks. Eden, **Full Circle**, 3 : 429.

(123) Macmillan, **Riding the Storm**, P. 165; U.S. Department of State, **Bulletin**, 3 September 1956. P. 374; Adams, **Firsthand Report**, PP. 252, 262; Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 31 October 1956.

(124) Macmillan, **Riding the Storm**, P. 164.

(125) See 5 November 1956 United Nations Documents, S/ 3736, and letter from Soviet Premier Bulganian to Eisenhower, **Documents on International Affairs, 1956**, PP. 292 — 94. The United States quickly babelled this possibility as «unthinkable» in its response of 5 November 1956 before the Secruity Council. U.S. Department of State, **Bulletin**, 19 November 1956, P. 791. Also see White House Statement of 5 November 1965, ibid., PP. 795 — 96. **Documents on Internatoinal Affairs, 1956**, PP. 288 — 92.

(126) The UNEF had also been established by the time the Soviet Union decided to make its willnginess to extend all out aid to Egypt, a matter of record. Khruschchev commented that the American refusal to callaborate in a joint action with Russia had been anticipated. Nikita Khrushchev. **Khrushchev Remembres**, ed., Edward Crankshaw (London : André Deumsch Ltd., 1971). P. 455. See ibid., P. 436, for the Soviet threats. Rebert Murphy, among othres, believed that no action by the President was dictated by fear of Soviet participatoin. **Dulles Oral History Collecion.**

(127) Lowe, **Suez : The Twice-Fought War**, PP. 612 — 13.

(128) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 6 and 7 November 1956. The importance of the American role may be deduced from Macmillan's comments (**Riding the Storm**, PP. 163 — 66). Once the British decision had been made, France had little choice but to accept it since French forces and supplies were well integrated with those of Britain.

(129) Adams, **Firsthand Report,** P. 260.

(130) Ibid., PP. 264 — 69; Roberston, **Crisis,** P. 303; **Nutting Nasser** P. 480.

(131) U.S. House Committee on Interstate and Foreign Commerce, **Petroleum Survey,** Preliminray Report, 85th Cong., 1st. sess. (Washington, D. C. : Government Prniting Office, 1957), PP 14 — 22 : Adams, **Firsthand Report,** PP. 264 — 69.

(132) **Tass,** 11 November 1956.

(133) Adam's, **Firsthand Report,** P. 261.

(134) Michel Bar-Zohar, **Suez : Ultra Secret** (Paris : Fayard, 1964), P. 208 : J.R. Tournaux. **Secrets d'Elat** (Paris : Plon. 1960), PP. 162 — 63.

(135) Robertson, **Crisis,** P. 299; United Nations Documents, A/Res/410., 24 November 1956.

(136) **New York Times,** 4 December 1956. Once the coming acceptance became known on 30 November, the United States immediately dispatched needed petroleum to Britain. Adams. **Firsthand Report,** P. 270. Israeli withdrawal was to present a much more difficult problem.

(137) Raymond Hare to the author. See also Eisenhower Papers, Gettysburg, quoted by Love. **Suez : The Twice-Fought War,** P. 644; Nasser's statement of 19 November 1954 (**Le Journal d'Egypte,** 20 November 1956).

(138) Raymond Hare to the author. Nasser in his 1966 interview with Kimnett Love held that «help» had not been defined at the time (**Suez : The Twice-Fought War,** P. 557).

(139) Raymond Hare to the author.

(140) Ibdi. See also Nasser's 9 November speech, **Le Journal**

d'Egypte, 10 November 1956; Love **Suez : The Twice-Fought War,** P. 558.

(141) New **York Times,** 28 November 1956 and 11 December 1956! Nutting **Nasser,** P. 182, including comments of Fawzi and **Nasser**.

(142) Dulles, Off-the-Record Background Press Comierence, 6 December 1956, **Dulles Private Papers.**

(143)New **York Times,** 1 and 15 January, 17 March, and 1 and 3 May 1957, Nutting, **Nasser,** P. 184.

(144) Ibid.

(145) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 8 and 24 November and 2 December 1956.

(146) Eisenhower to Kennett Love, **Suez : The Twice-Fought War,** P. 633; Eisnhower, **Waging Peace,** P. 185.

(147) See 3 February cable to Ben Gurion, ibid., P. 144 ; **New York Times,** 6 February 1957.

(148) U.S. Department of State, **Bulletin,** 11 March 1957, PP. 387 — 91.

(149) See Ambassador Lodgre's statements, ibid., 18 February 1957, PP. 269 — 71. For text of the American **aide mémoire** on assurances to Israel, issued on 11 February 1956. See ibid., 11 March 1957, P. 392; see also letter from Eisenhower to Ben Gurion (with assurances). Bar-Zohar, **Suez : Ultra secret,** P. 218. Love, **Suez : The Twice-Fought War**; Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 20 April 1957.

(150) New **York Times,** 28 and 29 February 1957, 7 and 8 March 1957; Mansoor, ed., **The Arab World** (3). 20 April 1957.

(151) **New York Times,** 10 April 1957.

(152) Ibid., 10 April and 19 and 28 February 1957. See statements by Dulles on 2 April 1957 (U.S. Department of State. Press Release 184) and 23 April 1957 (ibid., Press Release 237). The problem had been left in the hands of United Nations Secretary General Hammarskjold.

(153) **Le Journal d'Egypte,** 14 April 1957.

(154) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 1 January 1957.

(155) Eisenhower. **Waging Peace,** P. 186.

الفصل الثامن

مشروع ايزنهــاور

للدفاع عن الشرق الأوسط ١٩٥٧

كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى الدولة الكبرى من بين الدول الاوربية التى تأثرت كثيرا بنتائج أزمة السويس ، نظرا لمكانتها الدولية ، وبالتالى تأثرت مصالحها فى منطقة الشرق الأوسط ، وكانت أمريكا حريصة بالا تسمح للاتحاد السوفيتى بأن يكون له موضع قدم فى المناطق التى كانت تحتلها انجلترا وفرنسا من قبل فى هذه المنطقة من العالم ، ومن ثم بدأ المسؤلون الأمريكيون يحاولون استعادة مكانة الغرب فى المنطقة ٠

ان الفراغ الرهيب الذى حدث فى منطقة الشرق الأوسط يجب أن تسارع الولايات المتحدة الامريكية بملئه قبل أن يهم الاتحاد السوفيتى بذلك ، هذا هو مضمون مشروع ايزنهاور لمواجهة هذا الموقف(١) ٠

ومن هنا فان أمريكا سبق لها ان اتخذت خطوة ايجابية فى هذا الشأن فى شهر نوفمبر ١٩٥٦ ، موجهة تحذيرات الى الاتحاد السوفيتى موضحة له مغبة ارسال متطوعين سوفيت لمساعدة مصر وتبع ذلك اعلان من قبل الامريكان مؤكدين على مايترتب على ذلك من نتائج هائلة على الدول التى تشكل حلف بغداد والدول الصديقة الأخرى(٢) ٠

وفى يوم ٥ يناير ١٩٥٧ أوضح الرئيس ايزنهاور حقيقة الموقف أمام مجلسى السناتو والكونجرس الأمريكى ، بأن الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ على عاتقها مهمة الدفاع عن أمن منطقة الشرق الأوسط ، وهذا ماعرف بمشروع ايزنهاور ، مؤكدا أن أمريكا تتعهد بالا تتدخل فى شئون المنطقة ، وأنها تضمن حرية واستقلال كل دولة فى المنطقة وذلك بقوله :

« نجد اليوم من الضرورى أن تعمل الولايات المتحدة لمساعدة دول الشرق الأوسط التى ترغب فى تقبل هذه المساعدات الأمريكية ٠٠ اذ أن الاتحاد السوفيتى سوف يستغل شعور عداء العرب للغرب لتنمية مصالحه فى المنطقة والتى ستكون على حساب ضياع مصالح الغرب وأمريكا على وجه الخصوص فى هذه المنطقة ٠ وقال ايزنهاور : انه ليس خافيا ان أى عمل من شأنه أن ينال من حرية الشعوب الحرة ، ووحدة أراضيها ، يمس أمن الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها » ٠

وقال ايضا : « ازاء الانهيار الذى حدث فى الوقت الراهن فى منطقة الشرق الأوسط ، فضلا عن تفاقم الخطر من قبل الشيوعية العالمية ، مما يضطرنى أن أؤكد أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تبحث عن أسلوب يوافق عليه الكونجرس الأمريكى والسلطة التنفيذية وزيادة على ذلك يجب علينا أن نتفق فى الرأى بحيث تكون الأمور واضحة لاتحتمل أى لبس أو غموض ، ثم قدم مشروعه متضمنا الآتى :

١ ــ ان الرئيس من واقع مسئوليته ، يتخذ تشريعا على ضوء رؤيته لما تحتاج اليه القوات المسلحة الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية لكى تؤمن وتحمى سلامة استقلال أى دولة أو مجموعة من الدول فى

منطقة الشرق الأوسط بصفة خاصة ، والتى تطلب مساعدات لدفع أى عدوان عسكرى قد يقع عليهـــا من قبل أى دولـــة تخضـــع للشيوعية ·

٢ ـ والرئيس سيكون مسئولا بأن يتعهد بتقديـــم برنامج المساعدات العسكرية ·

٣ ـ سوف تساهم الولايات المتحدة فى مشروعات التنمية الاقتصادية للدول التى ترغب فى ذلك ·

وبالنسبة للبندين الأخيرين من هذا الاقتراح ، فان الرئيس يطلب اعتماد مبلغ ٢٠٠ مليون دولار من الهيئة التشريعية ، والتى يستطيع أن يسحب منها باعتباره رئيس الدولة ، بدون موافقة سابقة وبدون أن يتقيد بأى لوائح طبقا للوضع الراهن ·

وقد وافق الكونجرس الأمريكى ، وكذلك مجلس السناتـــو ، بالاضافة الى موظفى البيت الابيض فى ٣٠ يناير ١٩٥٧ على اقتراح الرئيس ايزنهاور ومن ثم فقد أصبح قانونا معمولا به فى ٩ مارس(٥)

ولها فان الادارة الأمريكية ترى ألا يكون هناك أية قيود من قبل السلطة التشريعية على السلطة التنفيذية خاصة فى المســـائل العاجلة التى تتعلق بالأمور الاقتصادية ، والمساعدات العســـكرية بالنسبة للعالم العربى ، ويكون هذا الاعتماد المالى مخصصا بكل حرية دون الرجوع الى مناقشة ذلك فى الكونجرس الأمريكى ، ويكون من سلطة الهيئة التشريعية ان تسمح للرئيس أن يوظف هذا الاعتمـــاد للمســـاعدات العســـكرية بما يتطلبه الموقف بحيث لا يكـــون قابـــلا للنقاش ·

وبالنظر الى النتائج التى ترتبت على الحرب الكورية ، فان المسئولين الأمريكيين اختاروا أن يعطوا الحرية الكاملة للرئيس بشأن تنفيذ هذا القرار ، ومن هنا لابد من التأكيد على تنفيذ القرار الأمريكى منذ حدوث العدوان والا فاننا لن نستطيع أن نفرض نفوذنا على أى منطقة فى العالم(٦) ٠

وزيادة على ذلك فان المسئولين الأمريكيين يؤكدون أنهم يرغبون فى فصل أنفسهم عن السياسة الفرنسية الانجليزية ، وأنهم يؤكدون الآن أن هناك بعض الاعتبارات بالنسبة للشعور القومى ٠ وبالنظر الى القومية العربية وخشيتها من الارتباط بالقوى الكبرى فلا يوجد هناك ثمة داع الى توجيه هذا القرار بانشاء أحلاف فى المنطقة(٧).

وبالاضافة الى هذا فقد أكد الرئيس ايزنهاور أهمية استقلال دول المنطقة العربية ، وبعث الى نهرو رئيس وزراء الهند بخطاب مضمونه :

« ليس لدينا أى مانع من طلب أى دولة أو مجموعة من الدول أن تكون فى احتياج الى تسليح جيشها ، وعندما تكلمنا عن تقديم المساعدة العسكرية بأى وسيلة ، نحن نقصد بذلك أن نقدم المساعدة لكل دولة ترغب فى تقوية جيشها بحيث يكون فى وضع يمكنها من حماية أمنها ضد أى شغب داخلى أو خارجى ، ويمكنها كذلك مقاومة ودفع أى عدوان قد يقع عليها ، هذا هو تصورى من خلال الاعلان بهدف التصدى لأى نوع من العدوان »(٨) ٠

ان هذا القرار يتيح للسلطة التنفيذية القوة التى تحتاج اليها لدعم القدرة العسكرية لهذه الدول الراغبة فى الانضمام الى حلف بغداد ٠ هذه النقطة أكدها جون فوستر دلاس وزير خارجية أمريكا فى كلمته التى ألقاها فى مؤتمره الصحفى يوم ٢٤ مارس وجاء به :

« ان قرار الرئيس ايزنهاور الخاص بمنطقة الشرق الأوسط ليؤكد للولايات المتحدة الأمريكية التعاون العسكرى ـ ليس كدول مفككة بعضها عن بعض ، ولكن فى شكل تحالف الدول العربية ـ والمقصود بكلمة مجموعة Groups الدول تتكرر مرتين فى هذا القرار ، مرة وردت فى مجموعة دول حلف بغداد ، هذا مما يمكننا من التعاون بكفاءة وبشكل ايجابى ، وأكثر فائدة فى الخطط العسكرية فى المنطقة خاصة بين دول الحزام الشمالى(٩) ووردت مرة أخرى خاصة بمجموعة الدول العربية ٠

ومن هذا المنطلق تم اصدار القرار وكان على المسئولين الامريكيين اتخاذ الخطوة التالية ليكيفية تطبيق هذا القرار ، وبهذا تم فتح صفحة جديدة فى العلاقات المصرية الحيادية وفى ظل مناهضتها للسياسة الأمريكية ٠

* * *

لم يمض وقت طويل عقب الاعلان عن قرار الرئيس ايزنهاور حتى أعلنت الدول الأربع الاعضاء فى حلف بغداد شعورهم بالارتياح التام ، ومن هنا فما على المسئولين الأمريكيين الا توجيه اهتمامهم فى المنطقة ناحية الجنوب فى العالم العربى ٠

وحدثت ردود فعل متباينة ـ بعد ذلك ـ فمصر أكدت أنها لاتستطيع أن تطلب المساعدات الأمريكية قبل اتمام انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الأراضى المصرية وذلك قبل أن تبدى ملاحظاتها وتحفظاتها تجاه قرار ايزنهاور ، اذ كانت مصر تعتمد كلية على حلفائها العرب بمساندتها فى موقفها ، اذ أنها على وشك أن تخوض معركة جديدة سوف تخرج منها منتصرة أيضا ٠

وثانية خطوة بدأت بمنطقة الشرق الأوســـط بدأت باستقبال المسئولين الأمريكيين تباعا ، مدركين تماما مدى ما كان يعانيه من حدوث فراغ به من القوى الكبرى التى كانت تمثل كابوسا كريها ، حيث أن الولايات المتحدة رفضت أن تعترف بزعامة مصر للعالم العربى وقولها بأن القومية العربية هى التى يمكن لها أن تملأ الفراغ الذى حدث فى المنطقة · ان رفض أمريكا الاعتراف بقوة القومية العربية يرجع الى عدة دوافع ·

وطبقا لتقرير روبرت مارفى Robert Murphy الذى أكد ان ناصر يعد مسئولا مسئولية مباشرة عن تدخل السوفيت ليبســطوا نفوذهم فى المنطقة · والشعور الذى كان يسيطر على واشنطون هو أن الاتحاد السوفيتى كان يستغل ناصر لتحقيق هذا الهدف(١١) ·

وبالاضافة الى معاداة العرب لاسرائيل وكرهها العميق للقومية العربية ، فان ذلك يرجع بالدرجة الأولى الى مسئولى الســـياسة الأمريكية وكيفية التعامل معهم ، لأن هؤلاء الأمريكيون قد قبلـــوا الدوافع الأساسية للقومية العربية على اعتبار أن القومية العربيـــة تقف حائلا وسدا منيعا أمام النفوذ السوفيتى ، دون انتهاكهم لمنطقة الشرق الأوسط(*) ·

(★) جدير بالذكر أن سياسة الاتحاد السوفيتى عقب وفاة ســتالين تغيرت جذريا اذ كانت تلك السياسة قائمة على أساس : كن شيوعيا اولا أتعاون معك فى شتى المجالات · وبعد وفاة ستالين سنة ١٩٥٣ اصبحت هذه السياسة قائمة على أساس معكوس ، بمعنى تقديم المساعدات فى شتى المجالات مما يؤدى فى نهاية الأمر الى رسوخ الفكر الشيوعى ·

(المترجم)

ان الأمريكان كانوا على وجه الخصوص مستائين جدا من مصر التى أصبحت لها مكانة عالية فى المنطقة العربية لأن العرب استمدوا قوتهم من شخصية ناصر الذى نال شعبية مطلقة باندفاع هائل نظرا لانتصاره السياسى فى أزمة السويس · ان المناصرين لمصر فى النظام السورى والاردنى كان لهم تاثير قوى ، ولقد حاولت مصر أن تؤكد انتصارها بزعامة العالم العربى ، مؤكدة أنها قادرة لملء الفراغ الذى أحدثه خروج انجلترا وفرنسا من المنطقة · ومن هنا كان اصرار الولايات المتحدة أنها قادرة على منع الاتحاد السوفيتى من توسيع دائرة نفوذه ، ولهذا كان قرار ايزنهاور مصورا مدى حرص الامريكان لأن يأخذوا مكان انجلترا وفرنسا بحجة منع السوفيت من الاندفاع الى المنطقة ·

ان المسئولين المصريين كانوا واقعين تحت تأثير قوة الرأى العام العربى ، وبرغم هذا فلم يكن فى امكانهم معارضة القرار فى بادىء الأمر وكانت السياسة المصرية فى امكانها أن تجبر الولايات المتحدة على أن تغير منهجها السياسى ، خاصة فيما يتعلق بتعاظم قوة القومية العربية فى المنطقة · ولقد حدث اتحاد جزئى بين كل من مصر وسوريا والسعودية ، وأعلن عن ذلك يوم ١٩ يناير ١٩٥٧ حيث تم رفع « نظرية الفراغ Vacume theory وأصبحت القومية العربية هى الأرض الصلبة والدعامة القوية التى تقوم عليها السياسة العربية(١٢) وقبل أن يتم انسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء فان المسئولين الأمريكيين لم يلجأوا الى أسلوب الخداع والتضليل ، لأن أسلوبهم السياسى الذى انتهجوه أثناء أزمة السويس ١٩٥٦ وبعدها كانوا يعتبرون أن مصر سوف تكون رأس جسر لهم للعبور الى المنطقة ·

ان ديناميكية السياسة المصرية أمكنها التصدى بحزم للسياسة

الأمريكية الجديدة ، ولو أن بعض القادة العرب كانوا يخشون كثيرا من هذه السياسة المصرية · ولهذا فان القادة العرب الذين قبلوا القرار الأمريكى ، لم يكونوا يخشون من خطر الشيوعية ، ولم يتخذوا منها موقفا مضادا انما كانوا يتخذون كل الاحتياجات لمقاومة التأثير الناصرى فى المنطقة ·

ان المملكة السعودية برغم هذا كانت على حذر شديد ازاء السياسة المصرية ، برغم انحياز الملك سعود الى جانب السياسة المصرية ، نظرا لتأثيرها القوى على الجماهير العربية ، وأن نقطة الخلاف بينهما ، ان سياسة التحرر المصرية تستطيع أن تخضع لها أى نظام سياسى فى المنطقة ·

ومن ثم فقد كانت السياسة السعودية تتسم بالحذر الشديد من السياسة المصرية ، وهذا سوف يتضح فيما بعد · ومن هنا اتصلت السعودية بالمشاكل العربية لكبح جماح ناصر فى الرأى العام العربى ·

* * *

ان المسئولين الأمريكيين رأوا القيام بخطوة جريئة تهدف الى احداث صدع فى العالم العربى · ولهذا قام الرئيس ايزنهاور بتوجيه الدعوة الى الملك سعود لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية ، ورأى ايزنهاور أن يأخذ الملك سعود على عاتقة المسئولية بحيث يكون متوازنا مع ناصر(١٣) وقد استقبلت أمريكا الملك سعود فى شهر فبراير ١٩٥٧ اذ كانت رغبة ايزنهاور أن يأخذ على عاتقه خطوة أكثر ايجابية بهدف دعم ومساندة الغرب · ورأى الملك سعود أن يؤكد هذه الفكرة اثناء تواجده فى أمريكا ، وغادر الملك سعود أمريكا بعد أن اتفق مع المسئولين الأمريكيين بأن يمدوه بالأسلحة اللازمة له مقابل تجديد عقد قاعدة الظهران لمدة خمس سنوات قادمة ·

ثم قام الملك سعود ـ بعد ذلك ـ بزيارة سلطان المغرب محمد الخامس ثم رئيس وزراء تونس الحبيب بورقيبة ، ثم زار بعد ذلـك الادريسى ملك ليبيا فى طريق عودته الى بلاده(١٤) ، وبعد أن وصل الملك سعود الى الرياض أكد بأنه أخذ على عاتقه أن ينتهج سياسة قيادية جديدة فى المنطقة(١٠) ثم حدث نوع من الضعف فى العلاقات بين الملك سعود وناصر ، وهذا أمر كان واضحا فى مؤتمر القمـة الذى عقد فى القاهرة بين الزعيمين فى ٢٥ فبراير ١٩٥٧(١٦) ٠

ورأت أمريكا ـ كخطوة تاليـة ـ أن تبعث بالسـفير جيمس ريتشارد James Richarad على رأس بعثة لزيارة ١٥ دولة عربية(*) فى منطقة الشـرق الأوسط بما فى ذلك مصر وسـوريا والأردن(١٧) وكان الهدف من زيارة هذه البعثة للمنطقة ايجـاد اسلوب جديد من التعاون مع الدول التى بها مصالح أمريكية لتأكيد أمنها وتنمية اقتصادياتها ، ولتتأكد هذه البعثة من الدول التى ترغب فى التعاون فى هذا المجال ، ومن أجل ايجاد علاقات للمساعدة من خلال قروض قصيرة الأجل(١٨) ٠

وقد استقبلت الدول العربية ـ التى قام بزيارتها ـ المبعوث الأمريكى ريتشارد استقبالا حافلا ، وأعلن عن الهدف أنه تقديـم المساعدات الاقتصادية الأمريكية وكذلك الدعم العسكرى لتلك الدول لاتى ترغب فى تقديم مثل هذه المساعدات لها والحقيقة الأخرى هو الخوف من السـياسة المصرية المتفجرة التى فى الامكان أن تخلق مشاكل عديدة فى المنطقة ، وزيادة على ذلك فان نشاط حزب البعث القومى فى سوريا كان يهدف الى نشر آرائه فى لبنان والأردن حيث

(*) وهذه الدول هى : لبنان ـ ليبيا ـ تركيا ـ باكستان ـ أفغانستان ـ ايران ـ العراق ـ السعودية ـ اليمن ـ الحبشة ـ السودان ـ اليونان ـ اسرائيل ـ تونس ـ المغرب ٠ » المترجم

أن قوات هذه الدول فى الامكان أن تتعاون مع الولايـات المتحـدة الامريكية ٠

وخلال الشهور الثلاثة التالية ، فان خطة أمريكا السياسيـة كانت تهدف بالدرجة الأولى الى تحجيم الصراع مع مصر بحيـث لايؤثر ذلك على القرار الأمريكى ، وهذا الأمر كان واضحا تمامـا من خلال الموقف الايجابى لبعض الحكومات العربية فى المنطقة ، وهذا ماتضح من استقبال بعض الدول العربية لبعثة ريتشارد Richard وموافقتهم على طلب المساعدات الأمريكية ، والتى وصلت بالفعـل الى ٨ دول عربية من تلك التى زارتها البعثة بما فى ذلك لبنـــان وليبيا والسعودية والعراق(١٩) ٠

وهناك سبب آخر لابعاد مصر وسوريا والأردن من بين هذه الدول التى زارتها البعثة حيث تشهد هذه الدول توترا سياسيا(٢٠) ولقد أفصحت سوريا عن معارضتها لقرار الرئيس ايزنهاور منـــذ البداية على الرغم من وجود تأكيدات من قبل السفير ريتشارد بأن زيارته لمصر ستكون مقبولة ويتم الترحيب به ٠ ولم يكن هناك ثمة مطالب من قبل مصر(٢١) ٠

وقد فسرت مصر رفضها للسياسة الأمريكية الجديدة على ضوء العلاقات السعودية الأمريكية التى ازدادت تقاربا وقوة بهدف عزل مصر فى المنطقة العربية ، وفى الواقـــع فان الحكومتين المصـرية والسورية التى لهما علاقات مع السوفيت ، رأتا أن يضـما الأردن اليهما ، وكانت هذه الدول الثلاث ترفض بشدة محاولات أمريكـــا لفرض سياستها خلال الشهور الأولى من عام ١٩٥٧ ٠

* * *

وهناك دولتان تعارضان بشدة قرار الرئيس أيزنهاور وهذه الأزمة قد تصاعدت بين الناصريين والمعارضين للتيار الناصرى فقد

حدث هذا فى الاردن وسوريا · ان الولايات المتحدة الأمريكية كانت تراقب عن كثب هذا الصراع المحلى الذى قام بـه أعداء التيـار الناصرى ، مما يدل على أن تيارا مناهضا للشيوعية بدأ فى الظهور ويأمل أن ينال الدعم الأمريكى ·

ان الأحداث المؤسفة التى شهدتها الأردن خلال شهر أبريل ١٩٥٧ تفجرت نتيجة تغيير فى الموقف السياسى الذى تطور فى هذه الدولة منذ نهاية أكتوبر ١٩٥٦ ، وبالاشارة الى ازدياد المخـاوف نتيجة للغزو المتوقع من جانب اسرائيل ، والضغط المتعمد الواقع على مصر من قبل انجلترا وفرنسا ، فان التيار الناصرى المعارض لسياسة الأردن قد أثبت وجوده فى الانتخابات العامة التى جرت فى الأردن فى شهر اكتربر ١٩٥٦ ، كذلك تمكن الحزب الشيوعى من الحصول على ٣ مقاعد من ٤٠ مقعدا فى البرلمان الأردنى(٢٢) وعين الملك حسين النابلسى رئيسا لوزراء الأردن وهو معروف بميوله لمصر وسياستها ·

ان الحكومة الاردنية الجديدة أيدت مبادىء الحياد الايجابى ومن ثم بدأت تقيم علاقات مع الاتحاد السوفيتى(٢٣) وفى ينايـر وقع الأردن اتفاقا مع كل من مصر وسوريا والعربية السـعودية ، تتعهد فيه الدول الثلاث بأن تقدم للاردن قيمة المساعدات التى كانت تحصل عليها من انجلترا وأن المعاهدة الأردنية ـ الانجليزية قـد الغيت فى شهر مارس ١٩٥٧(٢٤) ·

واذا مانظرنا الى أحداث الماضى فانما يتضح أن الشيوعيين لم يكونوا أعداء للملك حسين كما كان يدعى ، انماأعداؤه الحقيقيون هم القوميون العرب الذين يعتبرون ناصر زعيما وقائدا لهم ·

وفى ١٠ أبريل ١٩٥٧ استغل الملك حسين تقارب سياسـة حكومة النابلسى مع الاتحاد السوفيتى باقالة هذه الوزارة واستعان

كذلك الملك حسين بقوات البدو الموالية له لاتخاذ قرار ضد الناصريين فى الأردن .

ومرة أخرى شنت مصر حملة اعلامية ضد الملك حسين ، بينما استعدت القوات السورية البالغ عددها ٣٠٠٠ جندى لاحتلال الجزء الشمالى للأردن(٢٥) .

واتسمت سياسة الملك حسين بالتذبذب فى ذلك الوقت ، وهذا مسلك ليس بجديد منه ، وسارع بتعيين البدو الموالين له بدلا من العناصر الناصرية ، كما شكل حكومة محافظة برياسة حسين فخرى الخالد (والذى حل محله فيما بعد ابراهيم الهاشم) ، وأعلنت الأحكام العرفية بالأردن فى ٢٥ أبريل ١٩٥٧ .

ومن أجل تنفيذ هذه الاجراءات فان الملك حسين تأكد من موقف كل من الاحزاب العراقية وكذلك المملكة العربية السعودية ، وأن العداوة التى كانت بين السعوديين والهاشميين قد وضعت جانبا وتم التغاضى عن تلك الخلافات التى كانت بينهما . وقام الملك سعود بنقل قواته من الحدود الاردنية ، كما قام العراق بحشد قواته على الحدود الاردنية(٢٦) وتأكد أن الشيوعيين هم السبب فى الشغب والاضطرابات التى حدثت بالأردن . ثم أعلن الملك حسين التزامه وموافقته على قرار ايزنهاور .

وسارعت الولايات المتحدة بتقديم المساعدات المطلوبة للاردن وصدر اعلان من البيت الأبيض الأمريكى باسم المتحدث الرسمى جيمس هجيرتى James Hagerty يوم ٢٤ أبريل « بأن ماقام به الملك حسين يعد شهادة استقلال وسيادة من الشيوعية العالمية » .

وتحرك الأسطول السادس الأمريكى الى شرق البحر المتوسط « لحماية الأردن من أى عدوان قد يقع عليها »(٢٧) وقدمت الحكومة الأمريكية للأردن منحة قيمتها ١٠ ملايين دولار كمنحة لاترد تدعيما لموقف الملك ٠ وأعقب ذلك تقديم منحه أخرى قيمتها ١٠ ملايين دولار فى شهر يونية ، وبهذا ضمن الملك بأنه يستطيع أن يحكم قبضته على شون المملكة ٠ وبهذا انسحب الاسطول السادس من المنطقة يوم ٣ مايو ١٩٥٧ ٠

ان قرار ايزنهاور لم يتضمن صراحة منع السوفيت أو الشيوعية من استغلال الدول فى منطقة الشرق الأوسط ، بدليل نجاح السياسة الأمريكية فى دعم الملك حسين الذى تحول فى سياسته فجأة من الشرق الى الغرب(٢٨) ٠

فى الحقيقة ان الاتحاد السوفيتى اكتسب شعبية واسعة ، وكان دعما للقوى الشيوعية التى بدأت تظهر الى الوجود فى المنطقة بشكل لافت للنظر ، ولكن لايوجد دليل على أن هذه المجموعة كانت سببا فى هذا الاضطراب ولكن الناصريين هم الذين استطاعوا أن يؤثروا فى سياسة الأردن لدرجة التقارب الشديد من السياسة المصرية أكثر مما كان سابقا ، ومن ثم فقد نجحوا فى مقاومة الموالين للملك ٠

ولاشك أن الأحداث التى شهدتها الأردن كان الملك حسين هو السبب المباشر فى حدوثها ، وعلى هذا فقد مساندة الشعب له فى مسألة تغيير الوزارات المتتالية ، والتحول فى سياسته من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ، بحجة حماية عرشه ، كما أن الفلسطينيين الذين يشكلون ⅔ شعب الأردن كانوا ضد سياسته هذه ٠

ان الملك حسين أدرك أن الاضطرابات التى أحدثها الشيوعيون فى البرلمان الأردنى كانت تهدف الى عدم الموافقة على قرار ايزنهاور

وفى نفس الوقت كان الملك حسين حريصا على تجنب ما كان يهدف اليه القرار ، تماما كما كان يريد أن يتجنب القوميين العرب ٠ وقامت أمريكا بمضاعفة المساعدات له ، وفى نفس الوقت كان الملك حسين حريصا على أن يحافظ على علاقاته مع المملكة العربية السعودية والعراق ، وبذا تمكن من الضغط على العناصر المؤيدة للتيار الناصرى فى الأردن ٠

معنى ذلك أن الأردن أصبح ينتهج نفس السياسة العراقية والسعودية واللبنانية وهذه الدول أصبحت تشكل جناحا مناهضا للسياسة المصرية المؤثرة فى المنطقة ، كما كانت مصر وسوريا معزولتين بسبب مناهضتهما للسياسة السعودية والاردن(٢٨) ٠

وجملة القول ، بالرغم من أن أمريكا ظهرت بأنها أحرزت نجاحا بمناصرتها للعناصر المؤيدة للسياسة الغربية ٠ فان بعض العناصر استغلت حماس السياسة الامريكية لصالحها ، مستغلة فى ذلك اشتداد الحرب الباردة لكى تأمن تدفق المساعدات الامريكية لأهداف شخصية ٠

ان المسئولين الامريكيين كانوا غير قادرين للتفرقة بين القوميين العرب والشيوعيين ،على اعتبار أنهما يقفان ضد السياسة الغربية فى المنطقة مع ملاحظة أن الشيوعية ترفض الاعتراف بالقومية ٠

* * *

واذا كان قرار ايزنهاور لم يحقق الهدف المرجو منه فى مثل هذه الأحداث التى تعرض لها الأردن ، فان سوريا ــ فى هذه الحالة ــ كانت على حق حين اعترضت عليه ولم تقبله ، وفى الحقيقة ان القرار الأمريكى كان السبب المباشر فى تصعيد المشاكل السياسية السورية التى تفجرت فى شهر سبتمبر ١٩٥٧ ٠

وفى السنوات الأولى من حصول سوريا على استقلالها من فرنسا عام ١٩٤٦ أصبحت سوريا فى قبضة مجموعة من العسكريين الذين ينتمون لتيارات سياسية مختلفة · وبعد أن أطيح بأديب الشيشكلى والتخلص من حكمه العسكرى فى عام ١٩٥٤ ، فان هذا الوضع السياسى المتردى استمر لحين من الوقت بين الأحزاب السياسية المتصارعة ، ان الحزب الاشتراكى القومى The National Socialist Party كان قوى الارتباط بالعراق والغرب · أما حزب البعث المناصر للقومية العربية فيؤيد سياسة الحياد الايجابى التى يتمسك بها ناصر · أما الحزب الشيوعى فقد كان مؤيدا ومناصرا للاتحاد السوفيتى ·

ولكن هناك ثمة تأثيرات خارجية على السياسة السورية · هذه التأثيرات كانت تهتم بمستقبل سوريا السياسى وكذلك بمشاكل الجماهير التى تمس حياتهم ، وبما أن ناصر يتمتع بشعبية واسعة النطاق فان التأثير من قبل حزب البعث السورى كان أقوى الأحزاب فى تمسكه بمناهضة سياسة الغرب وما يترتب عليها ·

وفى شهر أبريل ١٩٥٥ تم كشف مؤامرة غربية كانت تهدف الى تشجيع المناصرين للحزب الأشتراكى القومى العراقى بتولى السلطة ولكن تم القضاء على هذه المؤامرة ، كما كانت هناك مؤامرة أخرى لتكوين جبهة مناصرة للعراق فى سوريا ولم يتم الكشف عن هذه المؤامرة الا فى نهاية شهر نوفمبر ١٩٥٦ ، وبذا تم القضاء على مؤامرات الغرب ، ويجب علينا أن ندرك يقينا أن الولايات المتحدة ـ فى ذلك الوقت ـ أصبحت متورطة على طول الخط مع بريطانيا والعراق فى حلف بغداد ·

وبينما كانت بريطانيا تحاول أن تكبح جماح ، ناصر ، وتأثير

السياسة المصرية ، فان الولايات المتحدة لديها من التقارير مايؤكد تزايد التأثير القوى للاتحاد السوفيتى فى سوريا ٠

وأخيرا أكد ايزنهاور اهتمامه بمقـــارنة مايحدث فى سوريا بشبه تماما مايحدث فى مصر بقوله :

« ان سوريا معرضة للتغلغل الشيوعى أكثر من مصر ، ففى مصر حيث يوجد الشخص القوى الزعيم الكولونيل ناصر ، وهو قادر على التعامل مع الشيوعية ، وفى نفس الوقت يقبل مساعدتهم له ، وهو آمن لانه متأكد أن الاتحاد السوفيتى لايستطيع التعامل الا من خلاله شخصيا ٠ ولكن فى سوريا الوضع مختلف تماما حيـث أن رئيس الدولة شخصية ضعيفة فى ظل حكومة أضـعف ، وأن السوفيت يستطيعون اختراق الحكومة والنفاذ الى القوات المسلحة ووزارة الخارجية ، وكذلك الأحزاب السياسية التى تموج بها سوريا فى ذلك الوقت ٠

وبالنسبة للمسئولين الامريكيين ـ طبقا لرؤية الرئيس ايزنهاور ـ كان السؤال هو : ان أمكن للحكومة السورية أن تقع تحت سيطرة الحزب الاشتراكى القومى أو الناصريين ، ففى هذه الحالة لاسبيل أمامنا الا شىء واحد وهو مواجهتم عسكريا »(٢٩) ٠

لقد وافقت الولايات المتحدة الأمريكية على تأسـيس جبهـة أمريكية انجليزية فى بيروت بهدف احداث تغييرات سياســية فى الأحوال السورية ، وأكدت التقارير تفاقم نفوذ القادة السوفيت ، واستخدامهم الدول العربية الماجورة المناهضة للسياسة الغربية لدفع القادة الأمريكيين للقيام بعمل ضد دول هذه المنطقة ، ولهذا السبب فان العراق فى ذلك الوقت اتخذ لنفسه موقفا وسطا بين المناهضين

للسياسة الغربية فى سوريا وبين الجبهة الأمريكية الانجليزية فى بيروت(٣٠) ٠

وفى ختام هذه المؤامرة أقدمت سوريا على اتخاذ خطوة حاسمة ضد المناصرين للغرب والقضاء عليهم نهائيا ٠ وبالرغم من هذا فان العراق ولبنان وتركيا سارعوا بالاتحاد مع الأردن لاتخاذ موقف ضد سوريا بسبب خشيتهم من النفوذ الشيوعى المستشرى فيها وهذا مادفع أمريكا أن تضع قرار أيزنهاور موضع التنفيذ ازاء الأحداث المضطربة التى تشهدها بلاد الشرق الأوسط بصفة عامة ٠

ومهما كان من صدق مثل هذه الادعاءات فيما يتعلق بانتشار الشيوعية وتأثيرها فى سوريا فمن الواضح أن العراق ولبنان وأخيرا الأردن كانت هذه الدول تعانى من قوة التيار الناصرى فى سوريا التى تسعى الى تصدير الناصرية الى هذه الاقاليم ٠ ولاشك أن سياسة هذه الدول كانت تنال تأييد شعوبها وعلى وجه الخصوص فى الأردن والعراق حيث تعرضت هذه الدول لحرب اعلامية من القاهرة ودمشق ٠

وكانت هذه الدول المؤيدة للغرب تخشى من قيام الناصريين السوريين بتدبير مؤامرة للاطاحة بهم جميعا ٠ كانت حكومات هذه الدول تعتمد اعتمادا كليا على أمريكا بأن تمد لهم يد المساعدة لدعم مواقفهم الداخلية(٣١) ٠

وكانت العراق تخشى من تدمير خط التابلين المار عبر الأراضى السورية الى البحر المتوسط ، وان كانت تعتمد على أنصارها فى سوريا فى فرض نفوذهم عليها قبل تفجر الموقف فى المنطقة ٠

* * *

ساد لبنان الخوف نتيجة تفاقم نفوذ القوميين العرب بها ، اذ كانوا يهدفون الى اقامة توازن فى النفوذ مع المسلمين والمسيحيين والشيوعيين • اذ كانت لبنان تخشى امتداد أزمة سوريا اليها فى ذلك الوقت •

ولاشك أن لبنان تتحمل مسئولية هذا التوتر بسبب موقفها المؤيد لحلف بغداد وقبولها قرار ايزنهاور • كما أن لبنان كانت تخشى من الشيوعيين ، مما جعلها تلوذ بتمسكها بالسياسة الأمريكية لأن اللبنانيين اتخذوا موقفا مناهضا للناصريين وكذلك للقوميين العرب(٣٢) •

واخيرا فان السياسة الامريكية اهتمت بالازمة المتفجرة فى الدول المجاورة لسوريا ، نتيجة ضغوط وتهديدات الشيوعيين وعندما فشل المسئولون الأمريكيون في التمييز بين القوميين العرب وبين الشيوعيين ، افترضوا ـ خطأ ـ أن ثمة تحالفا فيما بينهما ، وهذا بالتالى هون من مواجهة الأزمة التي ظهرت فى الأفق خلال شهر سبتمبر ١٩٥٧(٣٣) •

ونتيجة لتفجر الموقف فى سوريا كان لابد لها من أن تندفع بشدة ناحية الاتحاد السوفيتى والارتماء في أحضانه • وقد تم توقيع اتفاقيات اقتصادية وعسكرية وفنية على جانب كبير من الأهمية خلال تلك الزيارة التى قام بها وزير الدفاع السورى خالد العظم ، الى كل من الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا خلال المدة من ٢٤ يوليو الى ١٤ اغسطس ١٩٥٧ •

وحدث تغيير جذرى يوم ٥ أغسطس في سوريا ، إذ تولى الجنرال عفيفى البزرى رئاسة الجيش ـ وهو شخص محافظ معتدل ـ بدلا من نظام الدين • وتبع هذا اجراء حركة تطهير واسعة النطاق

فى صفوف الجيش ، كما هرب أكثر من ٣٠ شخصا من كبار الضباط الى بيروت كما القى القبض على عشرة من كبار الضباط بتهمة الولاء والانتماء للولايات المتحدة الأمريكية(٣٤) ٠

وفى منتصف شهر أغسطس ١٩٥٧ وجهت سوريا تهمة التآمر ضدها الى ثلاثة سفراء أمريكيين فى العالم العربى(٣٥) وتبع هذا حملة اعلامية شديدة ضد الولايات المتحدة وسياستها الاستعمارية فى المنطقة العربية اذ كانت أمريكا تهدف من وراء ذلك الى الضغط على سوريا لقبول قرار الرئيس ايزنهاور(٣٦) ٠

وواجه المسئولون الامريكيون الاحداث المضطربة فى سوريا وحاولوا التدخل في شئونها الداخلية (تماما كما حدث من قبل فى الأردن) بهدف التخلص من نظام الحكم القائم ٠

وحضر مساعد وزير الخارجية الأمريكية لوي هندرسون Loy Henderson الى منطقة الشرق الأوسط والذى قابل كلا من : مندريس Menderes رئيس وزراء تركيا ، وفيصل ملك العراق وحسين ملك الأردن ، ثم ذهب الى بيروت لمناقشة أسباب توتر الأوضاع الداخلية فى لبنان ، حيث أن السوريين كان لهم تأثير قوى فيها ٠ وبعد أن تم لقاء سريع على أعلى المستويات فى كل من الأردن والعراق وتركيا ، عاد لوى هندرسون الى بلاده ٠

وقدم هندرسون تقريرا فى ٤ سبتمبر عن الأوضاع الداخلية الخطيرة فى سوريا(٣٧) وعلى هذا فان الولايات المتحدة الأمريكية جهزت قاعدة الطيران ، وأرسلت الأسطول السادس الأمريكى الى منطقة شرق البحر المتوسط ، وحركت على وجه السرعة سلاح الطيران المقاتل الى تركيا كما أصدرت أوامرها الى سلاح الطيران بالاستعداد فى كل من الأردن ولبنان والعراق وتركيا(٣٨) ٠

وأعلن وزير خارجية أمريكا جون فوستر دلاس فى ٧ سبتمبر مستنكرا الأحداث التى تجرى فى سوريا ليلفت الأنظار الى خطوره الأعمال التى تثير القلاقل من قبل الحكومة السورية فى الدول المجاورة لها · وأكد على التزام أمريكا بتنفيذ تعهداتها تطبيقا لقرار أيزنهاور · وفى نفس اليوم تعهد الرئيس ايزنهاور أن يتخذ كل الوسائل الممكنة للدفاع عن أنصار الغرب من الحكومات العربية من أى محاولة للمساس بهم أو محاولة الاحاطة بنفوذهم من قبل أنصار السوفيت وهى الحكومة السورية الحالية(٣٩) · هذه التصريحات الأمريكية موجهة الى سوريا لتضع فى اعتبارها مضمون قرار أيزنهاور ·

وأصبح الموقف الآن واضحا تماما بأن الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على تركيا – وهى دولة غير عربية – لتتولى مسألة الضغط على سوريا(٤٠) وكانت الحكومة التركية – سريعة الاستجابة نتيجة لتأثير القومية العربية عليها .

وطلب لوى هندرسون أن تعلن تركيا رسميا أن الاتحاد السوفيتى سبق أن وعد أن يقدم الى سوريا كل عون حتى يمكنها أن تتبوأ مكانة تركيا – فى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى – فى قيادة وزعامة العالم العربى(٤١) وبهذا يحق لتركيا التدخل فى شئون سوريا بعد أن وجدت المبرر لعملها هذا .

ان لبنان وتركيا هما الدولتان اللتان ذكرتا الآن متاعبهما ومعاداتهما لسوريا وان كانت لبنان بدأت تهدىء من الموقف المتوتر فى شهر اكتوبر(٤٣) ولكن تركيا أصرت – بمساندة أمريكا لها – بحشد قواتها العسكرية على الحدود السورية ، وأن القوات التركية كانت تتراوح مابين ٣٢٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ جندى(٤٤) ·

أنكر ايزنهاور Eisenhower أخيرا بأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تشجع تركيا على غزو سوريا ، وأكد بأن تركيا تنتهج سياسة مستقلة تماما(٤٥) ولكن ماذا تعنى هذه التأكيدات على ضوء ارسال الطائرات المقاتلة ، والقوات المسلحة ، وتحريك الاسطول السادس الى شرق البحر المتوسط ، ودعم أمريكا لتركيا فى دهاليز الأمم المتحدة ، كل هذه الاجراءات العسكرية تدعو الى التساؤل ؟

ولكن الأقليم السورى كان مضطرا الى الارتماء فى أحضان الاتحاد السوفيتى كدولة كبرى فى امكانها مواجهة هذه الضغوط من قبل أمريكا وحلفائها فى المنطقة • وأعلن الاتحاد السوفيتى عن عزم خروتشوف Khrushchev وبولجانين Bulganin القيام بزيارة لسوريا ، وقدم الاتحاد السوفيتى المساعدات الاقتصادية وكذلك بعض قطع الاسطول الحربية ، وتم ارسال العتاد الحربى كما تم اعداد الطائرات النفاثة وكثير من أنواع الأسلحة الأخرى فى طريقها الى سوريا(٤٦) واتهم الاتحاد السوفيتى الولايات المتحدة الأمريكية باعداد الخطط للتدخل فى شئون سوريا الداخلية بواسطة حليفتها تركيا • وقد حذر الاتحاد السوفيتى بأنه لن يقف مكتوف الأيدى قبل أى تحرك أمريكى تجاه الاقليم السورى(٤٧) •

وحينما عرضت مشكلة سوريا على الأمم المتحدة - فى شهر أكتوبر - نظرت اليها نظرة واقعية واعتبرت أن هذه المشكلة هى جزء من صراع الحرب الباردة فاذا كان الاتحاد السوفيتى منح كل دعمه ومساندته لسوريا ، فان الولايات المتحدة كانت تقف وراء تركيا من خلف ستار تدفعها للتحرش بها •

ان التحرك العدوانى الأمريكى - التركى تجاه سوريا يقوى موقف الشيوعيين فى سوريا ، وأن شعبية السوفيت العارمة فى

سوريا كانت تحكمها الظروف الخطيرة التى تعيشها سوريا فى ذلك الوقت · وكانت النتيجة أن ساد التوتر الحاد منطقة العالم العربى ، فكثيرا من الدول العربية كانت تؤيد قرار الرئيس ايزنهاور بكل جدية نظرا للظروف التى تعرض لها القوميون العرب فى سوريا مما زاد من نفوذ الاتحاد السوفيتى ، وكانت مصر ــ بطبيعة الحال ــ تساند سوريا فى موقفها تجاه تركيا ، اذ كانت الدول الغربية بما فى ذلك الولايات المتحدة الامريكية تشكل عدوانا على سوريا ·

وناشدت المملكة العربية السعودية الولايات المتحدة الأمريكية بأن تلتزم جانب الهدوء والعمل علي تخفيف حدة التوتر تجاه سوريا وكذلك الأوضاع العربية بصفة عامة · وفى منتصف أكتوبر وقفت كل من : العراق ولبنان والأردن مع العربية السعودية ومصـــر في دعم سوريا ومساندتها(٤٨) ·

ان الأزمة السورية جعلت العرب يقفون فى الحال صفا واحدا متحدين عملا بالمثل العربى القائل (وقت الشدائد تعرف الاخوان) بشكل لم يسبق له مثيل منذ عام ١٩٤٨ ، أو فى عام ١٩٥٦ في الحرب ضد دول العدوان الثلاثى ، وكثير من الدول العربية أعلنت تضامنها مع سوريا ليكون أمرا واقعا عندما يكون عدوهم يشـــكل تهديدا لهم جميعا · والآن هذه الدول العربية نفسها ــ على اختلاف أوضاعهم ــ عادت الى التمسك بالقومية العربية ضد التهديد الأمريكى لسوريا فى الوقت الذى أصبح التيار الشيوعى فى سوريا أمـــرا واقعا ·

ان قرار ايزنهاور من شأنه أن يتصدى لمثل هذه التهديدات والمخاطر التى أصبحت حقيقة واقعة وتشكل تهديدا لسيادتها · ان الدعم للقومية العربية أصبح الشغل الشاغل للعرب ، وأصبح هذا

الشعور هو الدعم الحقيقى للازمة السورية ولكى يحد من اندفاع سوريا للارتماء في احضان الاتحاد السوفيتى ·

هكذا تبلورت الأوضاع المتناقضة التى تشهدها منطقة الشرق الأوسط وكأنها ميدان للصراع بين القومية العربية بزعامة ناصر وبين القوى الغربية بزعامة امريكا على اعادة رسم مستقبل منطقة الشرق الأوسط ·

ان النظام المصرى فى هذه الظروف اهتم بالموقف اهتماما بالغا · وأن سوريا تحت قيادتها البعثية كانت على علاقة وثيقة بمصر منذ عام ١٩٥٥ بالاضافة الى التيار العربى المناهض للغرب كان يمنع سوريا بأن تنطوى تحت النفوذ السوفيتى · وأن تتفق سياستهم مع منهج السياسة المصرية صديقة الاتحاد السوفيتى ، ولهذا فقد كان الصراع يقوم على مظهرين متناقضين بين هؤلاء الناصريين العرب فى المنطقة ، وبين ارتباط تركيا بأمريكا للتصدى للاتحاد السوفيتى فى المنطقة ·

ان موقف المملكة العربية السعودية كان موقفا متوازيا مع السياسة السورية فى ذلك الوقت ، وكانت مصر وسوريا تقفان فى خندق واحد ، وأصبحت الحكومتان متقاربتان على أعلى مستوى ازاء هذه الأحداث المتلاحقة التى تشهدها سوريا وذلك من خلال ممثل مصر فى ذلك الوقت محمود رياض فى سوريا ·

ونتيجة للضغوط الغربية وازدياد النفوذ السوفيتى فى سوريا اتخذ المسئولون السوريون خطوة ايجابية فى وقت مبكر فى شهر سبتمبر ١٩٥٧ أدت الى الاتحاد فيما بعد بين سوريا ومصر(٤٩)

وناصرت مصر وأيدت القضية السورية أمام الأمم المتحدة يؤيدها فى ذلك الاتحاد السوفيتى(٥٠) وسارعت مصر بارسال قواتها العسكرية الى سوريا فى شهر أكتوبر ١٩٥٧ لتدعم موقف سوريا الدفاعى الأمر الذى أغضب المملكة العربية السعودية(٥١) واشتدت درجة التوتر نتيجة للضغوط والحشود التركية على الحدود السورية . مما اضطر سوريا الى أن تلجأ الى ناصر منقذها مما هى فيه ، بطلب اتحادها مع مصر تحقيقا لرغبة البعثيين ، فهم يرون ذلك هو الحل الوحيد ، خاصة منذ تفجر الأوضاع فى الداخل ولكى يكون هناك توازن مع تزايد النفوذ الشيوعى فى المنطقة(٥٢) .

وتلقفت مصر عرض الوحدة مع سوريا والذى باركه وأيده كثير من الاحزاب السياسية السورية ، وطبقا الى تقرير السفير الأمريكى السابق راموندهير Raymond Hare والذى يؤكد بأن ناصر أخبره شخصيا أن مصر لم تكن مستعدة تماما لهذه الوحدة ولكن قبل هذا العرض من أجل انقاذ سوريا من أيادى الشيوعية(٥٣)

وأعلنت الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا فى أول فبراير ١٩٥٨ ، وبمثل هذه الخطوة اعتبر ناصر كقائد وزعيم للقومية العربية ، وبهذا أصبح فى امكان ناصر أن يملأ الفراغ الذى يدعى الغرب أن المنطقة تعانى منه ويسعى الى ملئه ، وكانت هذه هى الخطوة الأولى من قبل ناصر بصفة شخصية وهو الذى استطاع أن يحجم الحزب الشيوعى فى سوريا(٥٤) .

ولقد ذكر فى الأوساط السياسية أن قرار ايزنهاور فشل فى مواجهة الأزمة التى تعرضت لها كل من الأردن وسوريا ، كما سبق الاشارة بعاليه ولاشك أن الفشل كان من جانب المسئولين

الأمريكيين الذين لم يتفهموا ويدركوا أبعاد القوميـــة العربية التى أصبحت أمرا واقعا فى العالم العربى فى ذلك الوقت ٠

ان عدم ادراك المسئولين الأمريكيين الفرق بين القومية العربية والشيوعية أوقعهم فى خطأ جسيم ، وان كان من المعروف أنه لايمكن التوفيق بين النزعتين ، حيث أن الشيوعية ترفض القومية ، وتعمل ضدها ، والقومية العربية لايمكن أن تقبل النزعة الشيوعية ، ومع حرص أمريكا على أن تستأثر بالنفوذ والهيمنة بمفردها فى منطقة الشرق الأوسط جعلها تخلط بين الأمور ، ولاتعرف كيف تتعامل مع شعوب المنطقة(٥٥) ٠

لقد سبق أن حذر ناصر العرب بقوله : « بأن الأحلاف العسكرية التى تريد أمريكا أن تفرضها على دول المنطقة ماهى الا بمثابـــة مطرقة للغرب Western Hammering بالنسبة للأحلاف الداخلية وما يترتب عليها ، وكان من المفروض أن المســـئولين الأمريكيين يقدرون أهمية تحالف دول المنطقة فيما بينهم تحت مظلـــة القومية العربية ، وكان من المفروض على أمريكا أيضا أن تقدم مساعدتها ودعمها لهذه الدول ٠ ولذلك رأينا العراق وتركيا استخدمتا سلاح الغرب فى الضغط على سوريا لابعـــادها عن الاتحـــاد السوفيتى واجبارها لقبول قرار ايزنهاور ٠

* * *

وجدير بالذكر أن سوريا كانت فى صيف ١٩٥٧ ميدانا لصراع القوتين العظميين وأصبح الموقف على وشك الانفجار ، ووجـــدت سوريا نفسها ميدانا للحرب الباردة بين المعسكرين وان كانت الغلبة للمعسكر الشرقى ٠

ومن الملاحظ أن قرار ايزنهاور جاء نتيجة حتمية للعلاقات التى كانت بين مصر وأمريكا اثناء أزمة السويس ١٩٥٦ ، اذ كانت أمريكا

تتوقع أن يسارع ناصر بتأييد هذا القرار عرفانا وتقديرا للــدور الأمريكي طوال شهور الأزمة فى ١٩٥٦ ، وضغطها المستمر على اسرائيل للانسحاب من الأراضى المصرية ، اذ كان من المفروض أن يرحب ناصر بالسياسة الأمريكية الجديدة فى المنطقة .

ولكن الملاحظ أن ناصر بعد ان انسحبت القوات الاسرائيلية من أرضه انقلب الى النقيض ، ووقف يرفض السياسة الأمريكيـة ويتحداها ، بل ويحذر بقية الدول العربية الأخرى من قبولها ·

ومن الطبيعى أن يعارض ناصر السياسة الامريكية ويتحداها فى المنطقة ، بعد سلسلة الانتصارات التى احرزها على المسـتوى العالمى والمحلى ، اذ رأى ناصر أن أحلامه قد تحققت ، وما عليه الا تطهير العالم العربى من بقايا الاستعمار الغربى ، ثم بعدها يقيم صرح القومية العربية على أسس راسخة ·

ان هذا الصدع والتباعد الذى حدث فى العلاقات المصــرية الأمريكية كان يزداد عمقا كلما حدث مزيد من الدعم للملك سعود وايضا بمساندة الأردن تنفيذاً لقرار ايزنهاور ، وكذلك ضغوط أمريكا على سوريا فى وقت كانت هناك حقيقة أكيدة وهى : أن ناصر كان يعارض أى قرار غربى يتنافى مع سياسته ومبادئه أو يحول دون تحقيق القومية العربية ، وأن من أسباب فشل السياسة الأمريكيـة هو عدم مقدرتها على التمييز بين القومية العربية والشيوعية ومن هنا كانت سياسة الأمريكيين وردود أفعالهم ، الأمـــر الذى دمـر العلاقات المصرية ــ الأمريكية فى ذلك الوقت ·

ان المسئولين الأمريكيين نظروا الى القرار الأمريكى على أنه محاولة لعزل مصر ، ولاحتواء تأثيرها فى العـــالم العربى وذلك

بتقوية المنافسين لها ، وقد صيغت وجهة النظر الأمريكية كالاتى : ـ
« كانت أمريكا تسعى الى اقامة تحالف عربى يضم البيت السعودى والاسرة الهاشمية ـ فى العراق والأردن ـ لكى تقيم توازنا مع التيار الناصرى فى المنطقة العربية »(٥٦) ٠

وعارضت مصر السياسة الأمريكية الجديدة الممثلة فى قرار أيزنهاور والذى كانت امريكا تسعى الى أجبار الدول العربية لقبوله لكى تحطم سياسة الحياد الأيجابى وتقف سدا منيعا أمام الاتحاد السوفيتى ٠

وفى منتصف عام ١٩٥٧ أعلنت أمريكا عن تدخلها فى الأزمة السورية وكان هذا المسلك من أسباب تدهور السياسة الأمريكية فى المنطقة ، ان القومية العربية بزعامة ناصر وقيادته كانت أهم سند ودعم لسوريا فى أزمتها خاصة حينما توثقت العلاقات بينهما وبين البعثيين السوريين وبهذا أمكن ملء الفراغ السياسى الذى حدث ٠

وقد أثبت ناصر أن القوى المحلية فى امكانها أن تتعامل مع مشاكل المنطقة أفضل من تدخل القوى الكبرى بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية والذى كان قرارها فى حقيقة الأمر يعد تدخلا سافرا فى شئون سوريا ، واذا ما كان هناك ثمة تهديد من قبل الاتحاد السوفيتى أو الشيوعية قد تمكن فى الأقليم السورى ، فان مصر وليست الولايات المتحدة الأمريكية هى التى فى امكانها ان تتصدى لمثل هذا ٠

ومن المفروض الاعتراف بمقدرة القوى المحلية التى فى امكانها أن تتعامل مع مشاكل المنطقة السياسية ، ليس بالأسلوب الذى تتعامل به أمريكا فى المنطقة ، ومن البديهى أن يرفض العرب التعامل

مع أمريكا والثقة بها لأنها تساند وتدعم اسرائيل على حساب المصالح العربية ·

وفى الوقت الذى تقدم أمريكا كل دعم ممكن لاسرائيل تحاول أن تحط من شأن وامكانية الاقتصاد المصرى · ومن المؤكد أن مشاكل المنطقة تأتى فى المقام الثانى من اهتمام المسئولين الأمريكيين اذ أعرب عن ذلك السناتور ميشيل ماتسفيلد Michael Mansfield بما يلى : « ان استخدام القوة العسكرية يكون حينماتفشل السياسة وعلى هذا يجب علينا استخدام السلاح مادام ثبت فشل السياسة »(٥٧) ·

وفى عام ١٩٥٧ أصبح أمرا واضحا تماما لدى المسئولين الامريكيين باستحالة وصولهم الى منطقة الشرق الأوسط الا اذا أمكنهم فهم دوافع القومية العربية التى هى محل اهتمام ناصر ومحور سياسته كما لايمكنه أن يتعاون بعمق مع من ينكر هذه القومية ·

وفى الحقيقة ان السياسة الأمريكية تبذل جهدا فى مقاومة قوة ونفوذ القومية العربية ، ولاتستطيع انكارها أو تتجاهل قوة تقبل الجماهير العربية لها ·

وأخيرا أدركت الولايات المتحدة أنها تستطيع أن تحقق هدفها بالوصول الى مصر بعد عام ١٩٥٨ ، وحدوث الأزمة فى لبنان والعراق · ولكن عندما أدرك المسئولون الامريكيون الحقيقة على الرغم من معارضة التدخل الغربى فى شئون المنطقة ، فان القومية العربية أصبحت حقيقة واقعة ، وأنها لم تخضع الى الشيوعية ولا الى الاتحاد السوفيتى ، وأنه لا يمكن التضحية بالحرية والاستقلال فى الوطن العربى · وهكذا مضى المتصارعان - مصر وأمريكا - كل منهما فى طريق مغاير ولكن الى حين من الوقت ·

* * *

N O T E S

(1) Eisenhower, **Waging Peace**, P. 178.

(2) U.S. Department of State, **Bulletin**, 10 December 1956, P. 918. This statement was chiefly motivated by reports of a Soviet build-up in Syria.

(3) U.S. Department of State, **Bulletin**, 21 January 1957. PP. 83 — 86.

(4) Ibid., P. 86.

(5) **Public Law 85 — 7.** 58th Cong. 1st sess., House Joint Resolution 117, 9 March 1957.

(6) Eisenhower, **Waging Peace**, PP. 180 — 81. The American definition of its defense periphery had excluded Korea.

(7) U.S. Department of State, **Bulletin**, 27 May 1957. P. 841.

(8) Eisenhower, **Waging Peace**, P. 181.

(9) Unpublished Background Press Conference, 24 March -957. **Dulles Private Papers.**

(10) The Communist Party remained outlawed, and on 30 August 1957, 18 Egyptians were arrested and charged with members. Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 30 August and 19 October, 1957.

(11) Murphy, **Dulles Oral History Collection.**

(12) **Egyptian Gazette**, 20 January 1957.

(13) Adams says that Eisenhower told Republican Congresstional leaders that his principal aim was to strengthen Saud for this purpose (**Firsthand Report**, P. 278).

(14) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 10 21, and 22 February 1957.

(15) **New York Times**, 31 January and 9 February 1957.

(16) See Eisenhower, **Waging Peace**, P. 190.

(17) The countries visited were Lebanon, Libya, Turkey, Paskistan, Afghanistan, Iran, Iraq, Saudi Arabia, Yemen, Ethiopia, Sudan, Greece, Israel, Tunisia, and Moracco.

(18) Eisenhower ,**Waging Peace**, PP. 193 — 94

(19) **Documents on American Foreign Relations**, 1957, PP. 214 — 15.

(20) Eisenhower, **Wagnig Peace**, P. 194.

(21 None Egyptian spokesman Ali Sabri's announcement in April that he would welcome a visit by Ambassador Richards and that the Foreign Ministry was making diplomatic preparations for the visit. **New York Herald Tribune**, 25 April 1957.

(22) Mansoor, ed., **Tho Arab World** (3), 22 and 25 October 1956.

(23) The government extended its thanks for Soviet support to the Arabs during the Suez Crisis, and for the first time since Communism was banned, a statement by the Jordanain Communist Party was published in the Jordanian press. Ibid., 7 and 18 November 1956. There were reports of Jordan's decision to establish diplomatic relations with the USSR and the People's

Republic of China. Ibid., 19 November 1956 and 3 April 1957. Premier Nabulsi gave indicatoins of Jordan's willingness to accept Soviet aid if offered, Ibid., 4 April, 1957.

(24) Ibid., 19, 22, and 26 January, 13 February, and 13 March 1957.

(25) Ibid, 10, 13 and 14 April 1957.

(26) Ibid., 16 and 17 April 1957.

(27) U.S. Department of State, **Bulletin,** 13 May 1957, P. 768; **New York Times,** 26 April and 1 July 1957.

(28) King Hussein, following the dismissal of the Naubisi government, rejected establishment of diplomatic relations with the Soviet Union. Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 27 April 1957.

(29) Eisenhower, **Waging Peace,** P. 197 — 98.

(30) Seale, **The Struggle for Syria,** P. 273.

(31) Loy Henderson to the author.

(32) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 8 May 1957 and 6 June 1957. See also Camille Chamoun. **Dulles Oral History** Collection.

(33) Scale. **The Struggle for Syria,** P. 278.

(34) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 5, 15, and 21 August 1957.

(35)**New York Times,** 14 August 1957. See Seale. **The Struggle for Syria,** P. 293. The United States responded by expelling the Syrian Ambassador and protesting against the Syrian accusations.

(36) **New York Times,** 19 and August 1957.

(37) **New York Times**, 5 September 1957. Note that Henderson had also conveyed to Eisenhower that «a surprising amount of rivalry among the Arabs» existed. Eisenhower, **Wagnig Peace**, P. 202. According to Eisenhower, «Syria's neighbors ... had come to the conclusion that the present regime ... had to go.» Ibid., P. 197.

(38) Ibid., P. 199; **New York Times**, 5, 6, and 7 September 1957.

(39) Ibid., 8 September 1957.

(40) Eisenhower, **Waging Peace**, PP. 198 — 200.

(41) Loy Henderson to the author.

(42) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 26 August and 17, 19 and 20 September 1957.

(43) Ibid., 8 October 1957.

(44) Eisenhower, **Waging Peace**, P. 203.

(45) Ibid., P. 201.

(46) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 28 August; 2, 4, 7, 18 and 19 September; 27 and 28 October 1957.

(47) Ibid., 24 August; 9, 10 and 11 September 1957.

(48) Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 26 and 28 September 2, 8, 17 and 20 October 1957.

(49) On 3 September, an agreement between Egypt and Syria was signed establishing a join committee to faclitate the economic unification of the two countries (Ibid., 3 September 1957). Efforts were also made to unify the two armies (Ibid., 11 and 12 September 1957).

(50) **Egyptian Gazette** 10 and 29 September 1957. See the

3 October declaration of Egyptian Foreign Minister Mahmoud Fawzi. Ibid., 4 October 1957.

(51) Ibid., 14 October 1957. The Saudi offer to mediate between Syria and Turkey was withdrawn at Syria's request. Mansoor, ed., **The Arab World** (3), 24 and 26 October 1957.

(52) Kerr, **The Arab Cold War,** P. 10.

(53) See also Seale, **The Struggle for Syria,** P. 312; Kerr, **The Arab Cold War,** P. 11.

(54) **Egyptian Gazette,** 2 February 1958.

(55) **Hearing, 1957,** P. 41. Also see H. H. Humphrey's criticism of the lack of attention to the threat of subversoin. **Congressional Record,** Senate, 85th Cong. 1st sess., 103, pt. 1, 7 January 1957 : P. 295.

(56) «The Americans in the UAR,» 7 : 7.

(57)«Beyond the Middle East Crisis» **Congressional Record** (Senate, 58th Cong., 2nd sess.) 104, pt. 13 16 August 1958) : 16,644. See also Dean Acheson's statement, 10 January 1957 before the House Committee on Foreign Affairs : «The Administration's New Middle East Doctrine, » **Congressional Dugest,** 36, No. 3 (March 1957) : 77.

الفهـــرس

صفحة

- تقديـــم ٧
- مقدمة المؤلف ٩
- مدخل تمهيدى : الشرق الأوسط من منظور الواقع . . ١٥

١ ـ صحوة القومية المصرية ٢٢

٢ ـ مصر زعيمة للقومية العربية ٢٧

٣ ـ مصر تتأهب للثورة ٢٨

٤ ـ تدخل أمريكا فى شئون الشرق الأوسط . . . ٣٢

٥ ـ تطور العلاقات المصرية ـ الأمريكية . . . ٣٨

- الفصـــل الأول :

العلاقات المصرية ـ الأمريكية قبل وبعد ثورة
٢٣ يوليو ١٩٥٢ . . . . ٤٩

- الفصـــل الثانى :

موقف أمريكا بين مصر وبريطانيا ٧٩

● **الفصـــل الثالث :**

صفحة

مصر واسرائيل والبحث عن حل ١١٧

● **الفصـــل الرابع :**

أمريكا ومعاهدة الدفاع المشترك

عن الشرق الأوسط ١٦١

● **الفصـــل الخامس :**

سـياسة الحيـــاد

ناصر يتحدى الغرب ٢١١

● **الفصـــل السادس :**

مشكلة مشروع السد العالى ٢٥٥

● **الفصـــل السابع :**

حرب السويس ١٩٥٦

الحرب الساخنة والحرب الباردة ٣٠١

● **الفصـــل الثامن :**

مشروع أيزنهاور ١٩٥٧

للدفاع عن الشرق الأوسط ٣٦٧

صـــدر من هــذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ ،
د . عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٢ ـ على ماهر :
رشـوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة :
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د . محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى
علية عبد السميع الجنزورى ، ١٩٨٧

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٧

٧ ـ صـــلاح الدين الأيوبى ،
د . عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية ،
د . على بركات ، ١٩٨٧

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د . محمد أنيس ، ١٩٨٧

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية :
محمود فـوزى ، ١٩٨٧

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٧

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير ،
د . نبيل راغب ، ١٩٨٨

١٣ ــ اكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ،
د . عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
١٤ ــ مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨
١٥ ــ المستشرقون والتاريخ الاسلامى ،
د . على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨
١٦ ــ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ــ ١٩٥٢) ،
د . حلمى احمد شلبى ، ١٩٨٨
١٧ ــ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د . محمد نور فرحات ، ١٩٨٨
١٨ ــ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ،
د . على السيد محمود ، ١٩٨٨
١٩ ــ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د . احمد محمود صابون ، ١٩٨٨
٢٠ ــ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ،
د . محمد انيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨
٢١ ــ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، حـ ١ ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨
٢٢ ــ نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨
٢٣ ــ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى حـ ٢ ، امام التصوف فى مصر : الشعرانى ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٤ ــ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ــ ١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩

٢٥ ــ المجتمع الاســـلامى والغربى ،
تاليف : هاملتون جب وهارولد بووين : ترجمة : د . احمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩

٢٦ ــ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د . سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩

٢٧ ــ فتح العرب لمصر ، جـ ١ ،
تأليف : الفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد ابو حديد ١٩٨٩

٢٨ ــ فتح العرب لمصر ، جـ ٢ ،
تأليف : الفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد ابو حديد ١٩٨٩

٢٩ ــ مصر فى عصر الاخشيديين ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩

٣٠ ــ الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،
د . حلمى احمد شلبى ، ١٩٨٩

٣١ ــ خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شـــــكرى القاضى ، ١٩٨٩

٣٢ ــ هؤلاء الرجال من مصر ، جـ ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩

٣٣ ــ مصر وقضايا الجنوب الافريقى : نظرة على الأوضـــاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د . خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩

٣٤ ــ تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصـــور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د . يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

٣٥ ـ **اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠

٣٦ ـ **المجتمع الاسلامى والغرب ، حـ ٢ ،**
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠

٣٧ ـ **الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،**
د . سليمان صالح ، ١٩٩٠

٣٨ ـ **فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى**
د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠

٣٩ ـ **قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) ،**
د . جميل عبيد ، ١٩٩٠

٤٠ ـ **الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،**
د . عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠

٤١ ـ **محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،**
د . رفعت السعيد ، ١٩٩١

٤٢ ـ **تكوين مصر عبر العصور ،**
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠

٤٣ ـ **رحلة فى عقول مصرية ،**
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠

٤٤ ـ **الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د . محمد عفيفى ، ١٩٩١

٤٥ ـ **الحروب الصليبية ، حـ ١ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم د . حسن حبشى ، ١٩٩١

٤٦ ــ **تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ــ ١٩٥٧) ،**
ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ــ **تاريخ القضاء المصرى الحديث ،**
د . لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ــ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،**
د . زبيدة عطـــا ، ١٩٩١

٤٩ ــ **العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ــ ١٩٧٩) ،**
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ــ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ــ ١٩٥٤) ،**
د . ســـهير أسـكندر ١٩٩٣

٥١ ــ **تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،**
(أبحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقـــافة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدها للنشـــــر :
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ــ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر ،**
د . الهام محمد علي ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ــ **اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،**
د . محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ــ **الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د . محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ــ **الحروب الصليبية جـ ٢ ،**
تأليف : وليم الصـــورى : ترجمة وتعليق : د . حســـن حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ــ **المجتمع الريفى فى عصر محمد علي : دراســـة عن اقليم المنوفية ،**
د . حلمى احمد شلبى ، ١٩٩٢

٥٧ ـ **مصر الاسلامية واهل الذمة ،**
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢

٥٨ ـ **احمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،**
د . ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣

٥٩ ـ **الراسمالية الصناعية فى مصر ، من التمصير الى التاميم (١٩٥٧ ـ ١٩٦١) ،**
د . عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣

٦٠ ـ **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣

٦١ ـ **تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،**
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٢ ـ **هؤلاء الرجال من مصر حـ ٣ ،**
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣

٦٣ ـ **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية،**
تاليف : د . سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٤ ـ **مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة وثائقية ،**
د . محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣

٦٥ ـ **موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ـ ١٩١٧)**
سهام نصار ، ١٩٩٣

٦٦ **المراة فى مصر فى العصر الفاطمى ،**
د . نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣

٦٧ ـ **مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الاصول التاريخية،**
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر : د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٣ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة : وتعليق : د . حسن حبشى ، ١٩٩٣

٦٩ ـ **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ ـ ١٩٥١)،**
د . محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ ـ **اهل الذمة فى الاسلام ،**
تاليف : أ . س ترتون ، ترجمة وتعليق : د حسن حبشى ،
ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ ـ **مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ ـ **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) ،**
أمينة أحمد امام ، ١٩٩٤

٧٣ ـ **تاريخ جامعة القاهرة ،**
د . رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، فى العصر الفرعونى**
د . سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ ـ **اهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،**
د . سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ ـ **دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتلال البريطانى) ،**
د . سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥

٧٧ ـ الحروب الصليبية ، د ٤ ،
تأليف : وليم الصـــورى ، ترجمة وتعليق : د حســـن حبشى ، ١٩٩٤

٧٨ ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥

٧٩ ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دى يونج ، ترجمـــة : عبد الحميــد فهمى الجمال ، ١٩٩٥

٨٠ ـ قنــاة السـويس والتنافس الاســتعمارى الاوربى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،
د . السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر اكتوبر ،
د . رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، د ١ ،
حمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، د ٢ ، القسم الأول ،
احمد شفيق باشا ، ط ، ١٩٩٥

٨٥ ـ تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،
د . حلمى احمد شلبى ، ١٩٩٥

٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى مصـــر الحرية الاقتصـــادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،
د . احمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ **مذكرات اللورد كلبرن ، حـ ١ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د . عبد الرؤوف احمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ **التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ **تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،**
د . عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ **معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،**
د . نريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ **تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،**
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) حـ ٢ ،**
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ **قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،**
د . نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ، جـ ٢ ،**
د . سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ **مصر وأفريقيا .. الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة ،**
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)
اعدها للنشر د . عبد العظيم رمضان .

٩٦ ــ عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ــ ١٩٧٠) ،
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة : د عبد الرؤوف أحمد عمرو

٩٧ ــ العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ،
د . ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ ــ هيكل والسياسة الأسبوعية ،
د . محمد سيد محمد

٩٩ ــ تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ــ الرومانى) جـ ٢ ،
د . سمير يحيى الجمال

١٠٠ ــ موسوعة تاريخ مصر عبد العصور : تاريخ مصر القديمة ،
أ. د. عبد العزيز صالح ، أ. د. جمال مختار ،
أ. د. محمد ابراهيم بكر ، أ. د. ابراهيم نصحى ،
أ. د. فاروق القاضى ، أعدها للنشر : أ. د. عبد العظيم رمضان

١٠١ ــ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،
اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/ عبد الحميد كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ــ المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ــ ١٩٥٢ ،
د . تيسير ابو عرجة

١٠٣ ــ رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره ،
د . على بركات

١٠٤ ــ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ــ ١٩٥٢) ،
د . فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ـ ١٩٨٧) ،

د . أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، د ٢ ،

د . سليمان صـــالح

١٠٧ ـ الأصولية الاسلامية فى العصر الحديث ،

تأليف : دليب هيرو ، ترجمة : عبد الحميد الجمال

١٠٨ ـ مصر للمصريين ، د ٤ ،

ســليم خليــل النقــاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين ، د ٥ ،

ســليم خليــل النقــاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر ســـلاطين المليك) ، د ١ ،

د . البيومى اسماعيل الشربينى

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر ســـلاطين المماليك) ، د ٢ ،

د . البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ـ اسماعيل باشــا صــدقى ،

د . محمد محمد الجوادى

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)،

د . اسماعيل عز الدين

١١٤ ـ دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر ،

احمد رشــدى صــالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، د ٣ ،
أحمد شفيق باشا

١١٦ ـ اديب اسحق (عاشق الحرية) ،
علاء الدين وحيد

١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ،
عبد الرازق ابراهيم عيسى

١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام زمن سلاطين المماليك ،
د . البيومى اسماعيل الشربينى

١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية « دراسة وثائقية »
حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث (١٧٧٥ ـ ١٩٥٢)
لويس جرجس

١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤) ،
محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ ـ مصر للمصريين د ٦ ،
سليم خليل النقاش

١٢٣ ـ السيد احمد البدوى ،
د . سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن ،
د . محمد نعمان جلال

١٢٥ ـ مصر للمصريين د ٧ ،
سليم خليل النقاش

١٢٦ ـ مصر للمصريين د ٨ ،
سـيلم خليـل النقاس

١٢٧ - **مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ - ١٩٥٨) ،**
ابراهيم ممحد محمد ابراهيم

١٢٨ - **معـارك صـحفية ،**
جمال بدوى

١٢٩ - **الدين العام (وأثره فى تطور الاقتصـادى المصـرى) (١٨٧٦ - ١٩٤٣) ،**
د . يحيى محمد محمود

١٣٠ - **تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧ - ١٩٩٧) ،**
سـمير فريد

١٣١ - **الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ - ١٩٥٨)**
جايل ماير

رقم الايداع ١٩٩٨/١٠٠٠٦

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 5846 — 1

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة

هذا الكتاب يبدأ بثورة يوليو، وينتهي بقيام الوحدة المصرية السورية، وهى فترة شهدت تغيراً جذرياً فى العلاقات المصرية الأمريكى، تبدأ بالتقارب وانتهى بالتباعد! والمؤلف هنا يتتبع - من موقعه الأمريكى وبالاستناد إلى الوثائق الأمريكية والمصادر المصرية المتاحة - هذا التغير بدقة وبموضوعية إلى حد كبير، وقد قابل من أجل ذلك عدداً من الشخصيات المصرية السياسية والصحفية، وأطلع على عدد من الوثائق التى لم تنشر، ورجع إلى الصحف المصرية.

والكتاب مهم، يعرض وجهة نظر أمريكية فى الصراع العربى الإسرائيلى، وتأثير هذا الصراع على العلاقات بين ثورة يوليو والولايات المتحدة.

٤٧٥ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب